الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون
دار الرشيد للنشر

الاحتجاج والصراع في الأدب الأفريقي

ترجمة
كاظم سعد الدين



تحرير
كوزمو بيترس
و
دونالد مونرو

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافــة والفنــون
١٩٧٩

دار الرشيد للنشر

سلسلة الكتب المترجمة
(٦٧)

الاحتجاج والصراع
في
الأدب الأفريقي

تحرير:
كوزمو بيترس
و
دونالد مونرو

ترجمة:
كاظم سعد الدين

Protest & Conflict in African Literature

Edited By

Cosmo Pieterse & Donald Munro 1969

Heinemann

London

المقـدمة

ما الادب الافريقي ؟

يمكن ايراد كثير من التعاريف المتقاربة . فمثلا ، عندما نشر الاستعمار الاوربي في القرن التاسع عشر سيطرته على أفريقيا ، قسمت القارة تقسيما تعسفيا اعتباطيا الى مناطق نفوذ سياسي بين القوى الاوربية الاستعمارية ... « لقد اثرت الخطوط الفاصلة في أفريقيا بطبيعة الحال في ادب الافارقة المستعمَرين . فحذا الكتاب في الاقاليم الناطقة باللغة الانكليزية باديء ذي بدء حذو بريطانيا وهو أمر طبيعي متوقع ، كما فعل اولئك الكتاب من الاقاليم الناطقة بالفرنسية فقلدوا بدورهم ما في فرنسا . وبهذا فان التوق للتعبيرالادبي الذييمكن للكتاب الافارقة اشباعه بثمن غال من الجهد والارادة والتضحية كان محصورا ضمن حدود النظام الاستعماري . « لقد حاول عدد من المؤلفين الخروج من ربقة هذا النطاق الضيق من اجل التشرب والاستشهاد والانطباع بروح حيوي من خارج نفوذ القوة الادارية الاستعمارية . ومع ان كل كاتب أو مجموعة من الكتاب المتحدين يستوحون مادتهم ويستمدونها من اجواءالبلاد الاصلية والمناخات السياسية المختلفة ، فان كلا منهم وجد نفسه ، كل حسب موقفه ، يعبر عن الاحتجاج والصراع في مكانه وزمانه . تلك هي الطريقة التي

نشأ فيها الادب الافريقي الحديث بخصوص الجرائم الاجتماعية ، واستطاع ان ينقل الصراع والاحتجاج في المشهد الافريقي والمجتمعات الافريقية الى مسارح القرن العشرين المختلفة الخاصة بهم » • لعل هذه الفقرة المقتبسة من وجهة نظر كوامي نكروما عن الفلسفة الافريقية تدل على سمة من سمات وجهة النظر وطريقة التفكير التي دخلت في تخطيط سلسلة الاحاديث والنقاشات المعنونة «الاحتجاج والصراع في الادب الافريقي» وتشكل المادة الرئيسةمنها محتويات هذا الكتاب •

تسعى هذه الاحاديث ان تضع بين يدي الجمهور المجموعة المتنامية مما يدعى عموما بالادب الافريقي ، وتحاول في الوقت نفسه ان تتجنب النقاشات التي تتضمن عبارات غامضة لا معنى لها • ان مسألة ايجاد خير السبل لاثارة اهتمام جمهور واسع من القراء والمحافظة على الدقة في الوقت ذاته حلّت باختيار الموضوع الذي لعله يهيمن اكثر من غيره على الساحة الادبية الافريقية كما نعرفها ــ ونعني بذلك الاحتجاج والصراع ، وكان البحث من الناحية التاريخية هو الامثل • من الجلي ان هناك افكارا لدى تحليل المؤلفات الادبية ضمن حدود الموضوع الضيقة ، ومع ذلك فان انتقاء نموذجا من الادباء ومؤلفاتهم قد تم من أجل ان ينسجم مع اطار الاشكال المتعددة للاحتجاج والصراع ــ وخصوصا الثقافية منها والسياسية ــ التي اختيرت لاغراض البحث • وكان الوقت عاملا مهما ، اكثر من غيره ، في عدم استكمال البحث في الموضوع وشموليته ، ونبدي أسفنا العميق في حذف التطبيقات العملية فيتحليل مؤلفات الادباء من شمال افريقيا العربية • ثمة تحديد آخر اعترض السبيل ألا وهو الاقتصار على المؤلفات المكتوبة بالانكليزية والفرنسية •

كانت الخطة تسعى من اجل شمول اربع « فترات » لربط كل مظهر ادبي بجذوره الثقافية ومؤثراته الاصلية ، والقاء الضوء في كل مرحلة ادبية على

ادباء او اتجاهات أو مناطق معينة ضمن نطاق الاحتجاج والصـراع • كانت الاحاديث الثلاثة الاولى لكوزمو بيترس وجيرالد مور وكلايف ويك تاريخية وتتنــاول الفترات مــن ١٨٩٠ ــ ١٩٣٥ ومن ١٩٣٥ الى ١٩٤٠ ومن ١٩٤٠ الى ١٩٦٠ • أما المقالات الست الباقية فقد تناولت التطورات في فترة ما بعـــد الاستقلال • واحدى الانطلاقات الصحية العديدة من ربقة التعليمات النهائية هي التغير الذي حصل في عنوان المقالة السادسة الذي كان « اسطورة التذويب » فأصبح « فكرة التذويب » وهو ما فضلت جانيت مكولي • ان هذا التغيير يوحي بجو الالفة في المناقشات التمهيدية واختلاف وجهات النظر التي تحملها هذه الاحاديث وتفعمها بالحيوية •

انطلقت الاختلافات في طريقة البحث والتقويم من ادق الامور وخلال جميع الفوارق الدقيقة حتى كليات الامور تلك • ان سؤال جيرالد مور فيما اذا كانت الزنوجة (على وزن عروبة ، نعني بها حالة الزنوج ووضعهم وصفتهم وكذلك حركة الزنوج ومناصرتهم ــ المترجم) تـدخـل في الكتابة « نوعا من الاهمية المستمدة من خارج الادب » تجيب عليه الى حد ما مناقشة لويس جميز التي تبين ان الزنوجة تؤكد القيم المضادة في الادب الذي لولا ذلك لغمره أمر مستورد وصاغه في شكل لا يتفق والقواعد النقدية • والخلاصة فان هـــذه الاحاديث تحقق تكاملا نافعا •

تزخر الاحاديث بالافكار والمقترحات التي لا يضاهيها الا النقاشـــات المفصلة التي تلتها ونفحت حياة جديدة ذات مغزى في عظام الجدل الهرمة الخاصة بالالتزام والتمدين والوسائل اللغوية والمستويات النقدية (عمقها واصلها) « وطبيعة الشخصية الافريقية » التي يعتبرها كلايف ويك « الشيء الذي يراد به صرف الانتباه عن المسألة الحقيقية » في الادب في القارة الافريقية • وممـا يؤسف له ان التعليقات والاسئلة النقدية الخلاقة التي تلت تلك الاحاديث لم

يمكن درجها هنا ، غير ان حذف هذه المادة قد يكون شيئا نافعا • ذلك لان هذه الاحاديث قد تؤدي مجددا الى تلك الافكار ، والمناظرات ، والجدل ، والنشاط الذي سعى اليه مؤلفو هذه المقالات في البدء • يمكنها ان تصف ، ولكن لا تفرض (او تنسب) سطورا أو صفات الى مؤلفين أفارقة يمكنها ان تشمل ارض الادب الافريقي في الماضي القريب من اجل كشف بعض امكاناتها الحية ومصادر قوتها الدافعة •

تكاد بعض الاحاديث التي وردت هنا أن تكون بلا ادنى تغيير عن شكلها الاصلي • وبعضها اجرى عليها أصحابها بعض التغيير لكي تتخذ شكل المقالة الانسب • ولم تفقد احداها بعد الطبع حيويتها او اتساعها او دعوتها أو وجهة نظرها •

للاقرار والتكيف أمران :

الاول :

« يحظى الادب الافريقي حاليا بمقدار كبير من الاهتمام من جانب النقاد بحيث يبدو نذيرا للاديب ومبشرا من اجل احالته الى الرياض الاكاديمية !

والثاني :

« ان الليالي وعطل نهاية الاسبوع والاسابيع يضاف اليهـــا الاشهر والسنين التي يمضيها الكاتب والقاريء في الندوات الادبية والمؤتمرات الادبية والصفوف الاكاديمية الادبية تعرفه بالادب الافريقي المتنامي في الوقت الحاضر ـــ الذي اولته الجامعات كثيرا من رعايتها ، بترتيبه وتصنيفه بعناية فائقة رقيقة كالتي تنفق على القطع التحفية • عند تناول الادب بهذا الشكل ، فمن الطبيعي اعتباره أثرا من آثار الفكر الانساني • وسرعان ما تصبح الآثار

محافظة على الانطباع الذي تخلفه لو انها تركت أي انطباع حقيقي ، لانها تظهر الانجازات في مرحلتها الخاصة من التاريخ •

لان الادب في مثل هذه الحالة سرعان ما يتوقف عن كونه نتاجا يتلوه التنظيم الاجتماعي الحي سرا ويمارسه ويكرره ، غير انه يصبح نتاجا جانبيا للصفوة المفكرة من اجل تمجيد فئة من النقاد الطفيليين •

يسعى أي ادب الى اعطاء وصف حي عن العالم في ظروف وأحوال زمانه • لان الادب حقيقة من حقائق التاريخ ، ونتاجه عامل ، وكاشف ايضا • على انه في الوقت الذي يقر الادب في الجامعات من اجل توضيحه فانه يفقــــد القوة الحيوية التي كان يمتلكها في اول امره ، ويبدد نشاطه وعلاقته الجدلية » •

تبالغ النتف السابقة من مقدمة « الوجدانية » في القضية ضد الجامعات في مواجهة الادب الى حد يكاد يبلغ درجة عدم الصدق المفتري • وهي علاوة على ذلك تؤكد على اخطار النقد الادبي الافريقي الجاف الخالي من العاطفة، في المجال الاكاديمي • تحتل الآثار محلها المناسب • ولعل ذلك يكون في المتاحف• ويحتل الادب مكانه في مجتمع دائم الحساسية • لعل في هذه المقالات خدمة من أجل ان لا ينجرف الادب الافريقي نحو مصير آثاري •

كوزموبيترس **دونالد مونرو**

- ١ -

الصراع في الاصل

(وليم بلومر وبيندكت ڤيلاكازي)

كوزموبيترس

من الممكن تصوير « الاحتجاج والصراع في الادب الافريقي » تصويرا كاملا لو ان المرء نظر الى الموضوع نظرة تاريخية ، ولو انه بحثه حسب التسلسل الزمني الذي تقترحه هذه الاحاديث ، ولو اننا نظرنا اليه من وجهة نظر تطور ما لعله اصبح السمة البارزة في الادب الافريقي ، ألا وهي مسألة الاحتجاج على .. ينبغي ان يسأل المرء : « الاحتجاج على ماذا ؟ » الامريختلف باختلاف المكان ، في غرب افريقيا يتخذ اشكالا معينة (وخصوصا أشكال الزنوجة والهجاء) ، وفي شرق افريقيا شكلا معينا ، وفي جنوب افريقيا مهد هذا التراث الادبي للاحتجاج الى حد كبير ، يتخذ نوعا من الشكل الذي سأحاول ان اصوره الآن من كتابات وليم بلومر ، الروائي والشاعر وكاتب السيرة ، و ب . أ . ڤيلا كازي ، شاعر الزولو المتوفى عام ١٩٤٧ .

ان بلومر ما زال على قيد الحياة ونرى اصل الاحتجاج الفكري والصراع الاجتماعي في كتابه الوحيد الذي سأشير اليه ، انه رواية «تيربوت وولف»[1] الذي يكاد يعتبر فاتحة عهد جديد . لعله أول كتاب ينشر له ، ولقد كان في الثانية والعشرين عندمانشره، وكتبه بين عمر الثامنة عشروالعشرين،وعندمارأى النور عام ١٩٢٦ كان وثيقة ثورية . كان « ثوريا » لانه كان في عهد مبكر في جنوب افريقيا كتابات قام بها أفارقة من جنوب أفريقيا ، من المستوطنين والمستعمرين على السواء وممن ولدوا في جنوب أفريقيا ، ويخطر على البال مثلا أسماء أناس مثل پرنگل . انهم أناس جاءوا الى جنوب أفريقيا ووجدوا فيها جوا غريبا جدا ، ارضا أكثر غرابة ، وشعبا اشد غرابة وحاول أن يصف ذلك الى حد كبير من خلال عيون المستوطن بصورة تدل على التعاطف الشديد في أغلب الاحيان ، غير ان ذلك التعاطف الممتد نحو ما وجد في جنوب أفريقيا كان تعاطفا يترك الاشياء عموما على ما هي عليه . والآن فما هي تلك الاشياء ؟ قد تكون تلك نقطة انطلاقنا .

جرت الامور كما يلي : عند حوالي نهاية القرن التاسع عشر ، أي حوالي ثمانينات وتسعينات القرن ، انقرضت آخر بقايا الصراع الجسدي والعسكري الحقيقي . وعند حلول عام ١٩٠٠ اوشكت جميع شعوب جنوب افريقيا من الاهالي الاصليين ان تكون قد غلبت على امرها . وقد حصلت انفجارات سخط عرضية ، قام بها الشعب الذي يعتبر نفسه صاحب الارض . ولكن عند مجيء عام ١٩١٠ كان من الممكن لبريطانيا وجنوب افريقيا ان تشكلا اتحاد جنوب أفريقيا ، وكان هذا الاتحاد الجنوب افريقي هو ذروة عهد تاريخي مهم وطويل للغاية ، عهد لعله بدأ في حوالي ١٦٥٠ تتخلله فترات رخاء وضنك ، وتغيرات ، غير انه بلغ غايته في عام ١٩٠٠ : في جنوب افريقيا بلغ الازدهار في عام ١٩١٠ أقصاه . فماذا يعني عام ١٩١٠ ؟ في ١٩١٠ وضعت اسس اتحاد جنوب إفريقيا .

---

(١) وليم پلومر ، تيربوت وولف . ط هواكارث ١٩٦٥ . الطبعة الاولى ١٩٢٥

وحرم السكان الاصليون واقعيا من جميع حقوقهم في البلاد • في عام ١٩١٠ اندمج التياران من البيض (تيار المستعمرين وتيار المستوطنين) من أجل قمع السكان غير البيض قمعا نهائيا شاملا • يمكن رؤية ذلك في الاتحاد على حقيقته وبصورة واسعة باعتباره نوعا من الاتفاق الذي يحرص على تأكيد بقاء السكان الاصليين غير البيض مصدرا دائما للعمل الشاق الرخيص قدر الامكان الذي يمكن نقله قدر الامكان بوسائل كثيرة • تلك كانت الحال التي واجهها الادباء، وواجهها الشعب الرقيق الشعور ، وسلّموا بها عموما •

لقد كان في متناول المرء كتاب شخص مثل اوليف شراينر ، كان في متناول المرء كتابات اناس مثل پولين سمث الذي صور بعضهم آلام المستوطنين الهولنديين وبعض عذابهم ، وبعض أفراحهم وجمال حياتهم • بيد انهم ، حتى تلك اللحظة ، كانوا بعيدين جدا في الميدان الادبي عن احدى المسائل الرئيسة للعصر ألا وهي حقيقة جنوب افريقيا ، تلك المعضلة الرئيسة هي : « ماذا يجب أن تكون العلاقة بين الاسود والابيض ؟ » في تلك البيئة بعد خمس عشرة او ست عشرة سنة فقط من خلق الاتحاد ، البيئة التي ضرب عليها الهدوء الاساسي التام ، البيئة التي شهدت ، وهي مطوقة ، التفوق السياسي والاجتماعي والاقتصادي للسكان البيض (الذين كانوا آنذاك يقدرون بعشر سكان البلاد) ، في تلك البيئة حصل الانفجار في « تيربوت وولف » الرواية التي كتبها وليم پلومر من سكان جنوب أفريقيا البيض •

كان يشارك پلومر في ذلك الوقت رجلان في غاية الاهمية ، احدهما الشاعر الجنوب أفريقي (روي كامپل) والآخر المؤلف والمستكشف الجنوب افريقي أيضا ، الذي يمكن للمرء ان يطلق عليه المستكشف الصوفي ، لورنس فان در بوست • اشتغل الجميع سوية فترة من الزمن في مجلة ادبية اسمها « فورسلاك » وكانت « الفورسلاك » النهاية ، نهاية سوط ، أو الاجتياح ،

فاستحث هؤلاء الثلاثة بالقوة ادراكا جديدا في وعي جنوب افريقيا ، وعي ثوري للغاية ، بالدرجة الاولى لانهم هاجموا مباشرة آنذاك ما كان مؤسسة : مؤسسة في السياسة ومؤسسة في الحرف • ومع ان مجلة فورسلاك كانت في حد ذاتها مجلة ثورية صارمة قاسية للغاية ، غير ان أيا من منشوراتها ما استطاع ان يبلغ الاثر الذي احدثته هذه الرواية « تيربوت وولف » التي لم يعاد طبعها بعد نشرها اول مرة الا في عام ١٩٥٥ ، وتحمل مقدمة ممتعة غاية الامتاع ولها أهمية بالغة بقلم فان در بوست نفسه • من ذلك الثلاثي مات روي كامپل منذ ذلك الحين • (ولعله من الاهمية بمكان والمتعة الاكيدة ان ينظر الى ما حدث لاولئك الكتاب الثلاثة بين فترة ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ ، تلك الفترة التي ظهرت فيها مجلة فورسلاك ــ وبين يومنا هذا ، غير ان هذا يتطلب منا بحثا منفصلا) ••

ان الاصل الذي سننظر اليه ، هو اصل الصراع ، اصل الاحتجاج الذي يمكن الحصول عليه متبلورا تبلورا حادا في كلمات تيربوت وولف وهويته • تيربوت وولف هو الشخصية المركزية في هذه الرواية الذي نلاقيه عن طريق راوية يدعى وليم پلومر في الرواية • فمن هو تيربوت وولف ؟ يقول وليم پلومر الراوية بضمير المتكلم « انا » عن البطل : « اظن ان تيربوت وولف كان يمكن ان يكون رجلا عبقريا • كنت أراه في النادر بين حين وآخر فقد كنت معه في المدرسة حتى اشرف على الموت ، في عمر ليس بالمـديد ، من جراء حمى اصابته في افريقيا (ص ٥٧) • وهنا يتجلى للمرء بعض المزايا التي جعلت تيربوت وولف رواية مثيرة للغاية ــ رغم مواطن الضعف الكثيرة فيها ــ وأقصد بذلك هذا النوع من الكلمات ذات الحدين • «مات من الحمى التي اصابته في أفريقيا » : انها لا ريب الحمى البدنية • غير انها لا ريب أيضا حمى اوسع ــ حمى الروح ، حمى الدماغ ، لاننا عندما ننظر الى تيربوت وولف والى مايفعله (يلاحظ المرء انه يقول ذلك بنفسه) يرى المرء ، قبل كل شيء ان روحـــه الحساسـة قد مسها مناخ أفريقيا وأثر فيها بطريقـة لعل أيا من المستعمرين أو

المستوطنين في افريقيا قد أثر فيهم قبله • ماذا سيحدث لتيربوت وولف بعـد قدومه من انكلترة الى جنوب أفريقيا ؟

يذهب الى محل صغير يدعى اوڤوزين حيث يفتح هناك محلا تجاريـا ويقول :

« امضيت وقتي بين التجارة والفولكلور (التراث الشعبي) والرسـم والكتابة والموسيقى ، بين النحت والدين والحرف اليدوية ، حتى اني عملت في فلاحة الارض • وكان من بواعث سرورهم ان يخبرني ، شخص أو شخصان من الذين واتتهم الفرصة واظن الفطنة أيضا ، ليحكموا ان العمل الذي قمت به خلال تلك الفترة كان له نفع كبير • ذلك لطف منهم فقد كان اطراء جميلا» (ص ٦٠) •

ذلك هو تيربوت وولف ، رجل ذو عبقرية فذة ، رجل متعدد القابليات كثيرا : التجارة ، التراث الشعبي ، الرسم ، الكتابة والموسيقى • لابد انه روح حساس ، روح متعطش يمكن ان ينتشر في جهات عديدة مختلفة • وحتى عمله في الزراعة ، كما يقول ، « كان ذا نفع كبير » • وانه يظن ان هؤلاء الناس « لهم الفطنة الكافية لاصدار حكمهم» •• ان في ذلك سمة من السخرية ،سمة من التهكم الرفيع في ابداء وجهة نظره •• « لقد كان ذلك اطراء جميلا » •

يلاقي تيربوت وولف ، فيمن يلاقي ، مبشرا اسمه نورد السكارد وكان نورد السكارد هذا ، كما يقول وولف :

« مثل بطارية كهربائية حاشدة هائلة الحجم ، مليئة بالطاقة العصبية على اتصال سري ، وتماس سري بروح كل مواطن (ولست هنا متحدثا عن التأثير الخلقي ، انما قلت تأثيرا هائلا) ويحدث هنا أو هناك ،سريعا أو بطيئا ، ردفعل يكون له كل مظاهر العفوية • كانت الاسلاك الكهربائية موجودة ، غير ان المفتاح ، لو انت ترى ما اعنيه ، لم يفتح الا بواسطة الظروف •

كان نورد السگارد نرويجيا ، من بقايا نوع قديم من المبشرين ، اللوثريين الكاثوليك ، وليس من المرتزقة • (من الجدير ملاحظة ليس من المرتزقة) •• عالما ، مهذبا ، يبغي من وراء عمله مايجزيه فقط بحب نابع من الوجدان شبه المستيقظ لروح الانسان الافريقي الصوفي الطفولي، الرجولي، الانثوي الجذاب الى حد الغموض •» (ص ٦٦) •

وفي مكان اسبق يقول وولف انه ليس ثمة مظاهر المسيحية القوية لدى نورد السگارد • ورغم النشاط الهائل الخاص بالانسان ، والصفة الحركية في عمله ، وفي نفسه ، فانه تتمثل فيه الى حد بعيد القابلية على التأمل • يمكنه ان يمتص التيار ، ثم يعيد شحن البطاريات الاخرى • كـــان نورد السگارد بدوره متأثرا بالاسقف كلودكوست الذي يوصف بانه « بطريرك مذهل،قرصان اسكندناڤي حديث ، رائد مدهش الى حد لا يصدق ، مستبد فطن (ص١٦٦)• يلاحظ المرء مدى الاستجابات العفوية والفورية التي تصدر عن وولف تجاه الناس • فقد كان الناس بالنسبة اليه لافرق بينهم في اللون والجنس ، يبدون في خلق ذكي يلفت النظر • ولا تظهر تلك السجايا في ما وصفه فحسب بل في ما كتب في تيربوت وولف • ثمة رجل آخر سرعان ما يصادفه ، رجل يختلف عن المبشرين ــ مستوطن انكليزي اسمه بلد فيلد ، وكان بلدفيلد هذا « رجــــلا نحيفا ، بشعا ، له رأس كرأس الدجاجة ، وعينان صغيرتان سوداوان يبدو فيهما الخبث في وجه نحيل أحمر • » (ص ص ٦٩ــ٧٠) ثم نصادف الثلاث شخصيات المتنافرة هذه بعدما تتعرف على تيربوت وولف المحتضر الذي يخبر، وهو على فراش الموت ، وليم بلومر عن تجاربه في اثوزين في افريقيا•ونستطيع الى حد بعيد بمعونة وولف ، ان نرسم صورة وصفيـــة لنصف السكان من المستوطنين في تلك البيئة بواسطة هذه الشخصيات الثلاث ، وان نبين جزء من أثرهم في البلاد التي جاء اليها •

ثم نلتقي بكيلب مسومي الذي يشتغل عاملا في مخزن وولف • كان كيلب مسومي ، كما يقول وولف :

« موسوعة ممتعة عن القضايا المحلية وقد نورني في الحال عن رجل اسمه فليشر ـ احد جيراني الاقربين واشدهم فحشا • ويقال ان فتاة من المواطنين الاصليين قد بصقت في عينه بالذات ازدراء محضا له • ذهبت (يقول تيربوت وولف) لارى فليشر • قد يكون في نفسي شيء من الجبن ، غير اني لم أر قط رجلا اشد جبنا واقل رجولة منه • كان كل ما فيه يتسم بالحقارة والتفاهة والخسة » (ص‌ص ٧١ـ٧٢) •

ثم لدينا بلد فيلد ، الذي ينم اسمه ، برأيي ، عن شخصه (لان اسمه يعني حقل الدماء ـ المترجم) ، والذي لا يعترف الا « بالنظام » الذي اوجده بالقوة البدنية المحض ، وبالتهديد المطلق والاكراه الشديد ، ثم هناك فليشر المنغمس بملذاته • وبسبب هذا الانغماس في الملذات الجسدية، وبسبب شهوته للمباهج الجسدية العابرة والسطحية للغاية في بعض الاحيان ازدرته الفتاة التي بصقت ذات مرة في عينه اشمئزازا منه •

ثم سرعان ما نلاقي الكاهن فوذرنگي وزوجه اللذين يعدان نموذجا لجماعتيهما شأن نورد السگارد وكلودكويست • فوذرنگي وزوجه في مخدعهما « الذي يلفه ضوء ضارب الى الرمادي مما يضفي عليه نوعا من الغرابة ، ومما يزيد في تلك الغرابة ، النبتات المرقدة المنقولة الى هذا المكان ، والاكداس ، والريش الكبير ورائحة الغبار الذي يعفر كل شيء ظاهر ويملأ كل ما هو غائر •» (ص ٧٨) هذه العتمة الرمادية التي تلفهما نتيجة للعتمة التي ينظران بها الى الحياة • في عالم الانسانية الحي المفعم بالنشاط (عالم نوردالسگارد) تكون الاشياء كاملة ، تكون الاشياء متميزة بالحركة ، أما في عالم فوذرنكي فان الاشياء ضبابية يلفها الغموض ، وزوجة فوذرنگي تشتاق دوما الى تفاح انكلترة ، تشتاق الى قلاع انكلترة : فبالنسبة لها لا يوجد الا وطن واحد ،

وطن في ما وراء البحار . فلا تطيق التفكير بافريقيا ، حيث تعيش اليوم وتحيا، باعتبارها وطنا لها . فالضباب هذا اذن الغشاوة عندها لا بد ان ينقلاهـا الى الريف والمناظر التي تعرفها .

ثم نلتقي أيضا بكوزي فان هونك القابلة في اوكامبستروم أي المدينة البيضاء . توصف كوزي فان هونك بما يلي :

« كان لقبها دليلا على مهنتها . فقد كانت تلقب محليـا « زوجـة او كامبستروم» . كانت زوجة للقرية جميعا . ولم تكن بغيا عادية ، بل كانت تشبه مؤسسة عامة كبهو البلدية . كنت ، عند الغسق ، ارى وجهها المغضن ملطخا بالاصباغ مثقلا بالمساحيق الرخيصة متجهمة بشكل يبعث على الازدراء. انه لقناع بشع . كانت تفوح بالنتن . كنت اسمع ، وانا واقف ، وقع خطاها الخفيفة على الشارع . وحفيف ثوبها الحرير وهي ذاهبة الى عملهـا بتؤدة وعزم ، وعلى لسانها حبة سكرية لتعطير النفس .

منتهى القذارة ، لقد كانت في النهار قابلة مأذونة » (ص ٨٤) .

وعند مرور كوزي فان هوك يشعر تيربوت « بنوبة من الغثيان عنـد اقتراب هذا المخلوق منه » ويضيف قوله: « لعلي لست شديد الحساسية صعب الارضاء ، غير اني اظن اني نظيف» (ص٨٤) . اسم كوزي فان هونك يدل على نسبها فلعلها من اصل هولندي ، بيد انها تمثل الى حد بعيد احدى شرائح السكان البوير[٢] او الافريقاني[٣] في اوكامبستروم . والمدينة نفسها عالم مصغر الى حد بعيد للحالة الاجتماعية في جنوب أفريقيا .

شخص آخر يترتب علينا ان نلتقي به فورا ألا وهو رجل يدعى فرنسيس ديلقادر :

---

(٢) البوير : من اصل هولندي ــ المترجم
(٣) الافريقاني : جنوب افريقي من اصل اوربي ــ المترجم

« يسميه الجميع فرانك العجوز ونستشف من شأنه شيئا مما اتصف به اسلافه • كان رجلا ضخما ذا شاربين معقوفين لهما حمرة النحاس اللامـــــع ينتصبان بشكل مهيب على وجهه الوردي •

وجدته واقفا امام احد اكواخه يصلح محراثا» (ص٨٥) •

هذا اذن فرنسيس ديلقادر الذي لا يعيش في بيت بل في كوخ له سقف دائري من القش ، ويصلح محراثه • بالنسبة له ، الجانب العملي من الحياة مهم كالحقيقة التي يعتقد بأنه يستطيع ان يتكيف للبيئة التي صار يسكنها • تتذكر من جهة عائلة فوذرنگي واين تقف ونرى هنا فرنسيس ديلقادر الرجل الذي يتجه اليه أغلب الناس من ذوي التبصر ، أمثال تيربوت وولف ورجل آخر اسمه فرستون ، سيكون احد اهم الشخصيات في الرواية بعـــد تيربوت وولف • ديلقادر بالنسبة للناس ذوي الاحساس من قبيل تيربوت وولف وفرستون ملاذ لهم يتجهون اليه ، يتحدثون ويعترفون ويستمعون •

دعنا قبل ان نلتقي بفرستون ان نلقي نظرة الى سفردت المستوطن الالماني الاصل • (لاحظ انه بلمسات قليلة انيقة ، لا ريب انها لمسات واسعة جدا ، غير انها مع ذلك انيقة جدا ، استطاع بلومر ان يلون مجمل ســـكان جنوب أفريقيا) • فمسومي يمثل اهل البلاد الافارقة السود ، بـــكل قوة وبصورة نموذجية : لدينا الى جانب « المؤسسات » عددا هائلا من التداخلات اللونية التدريجية ، والفروق التي تمتد من نوردالسگارد حتى فليشر • ونجد بينهما شفردت المزارع المستوطن الذي يحتمل انحداره من اناس من المبشرين الالمان والمستوطنين الالمان الذين عاشوا في الكيب الشرقية •

« كان اسم المزرعة (التل الفضي) واسم المزارع شفردت • وكان المافيا، يتراوح عمره بين الثلاثين والاربعين ، كان اشقر ، مشوه البنيـــة ، عريض الكتفين ، له حدبة بشعة ، وعينان شاحبتان لا توحيان بالثقة ، جاحظتان قليلا

تحت حاجبين كثين ، وله أنف قصير وذقن طويل راجع الى الخلف ، وحدبته تجعله يطأطيء رأسه ، وكانت عيناه الدامعتان تنظران دوما اليك نحو الاعلى، تحملان تعبيرا غريبا كله مكر • ويغطي فمه النتن شارب اشعث اصفر اللون • هو ايضا غير نظيف • مراوغ •

كنت اكرهه دوما ، حتى ان سمعته كريهة بغيضة اكثر من مظهره ، ويبدو انه كان لا يمتلك اي شيء من الخلق الحميد اطلاقا » (ص ١٠٦) •

هذا هو شنفردت •

زكري مسومي شخصية مركزية اخرى رسمت رسما سريعا وهو ابن عم لكيلب • ثمة فرصة مواتية عندما يرى وولف « شخصا خارقا آتيا تحت اشجار السرخس المحتضر ، من الخفاء واتجه نحوي » ويظن ان الشخص ذلك امرأة ثم يقول :

لقد كان ذلك الشخص في الحقيقة ، زكري مسومي ، ابن عم كيلب ،وكنت قد رأيته قبل هذا لدى فرانك ديلفادر • « سيكون قسا »• قال فرانك العجوز• وتذكرت مصافحتي اياه ، وانا مفعم بالافكار الجريئة عن معارفي البيض (الذين لن يتقبلوا مصافحة مواطن افريقي أبدا) •

تقدم زكري في الطريق كأنه ملك في رقته وجلاله • كان عريض المنكبين والصدر ، واثقا بأن العالم ملكه (رغم انه كان يقاوم الريح) ضيق الخصر ، نحيل الوركين ، مفتول عضل الذراعين والساقين ، طويل الكفين دقيقهما •كان شيء من المكر باديا على وجهه ، غير انه كان وسيما : يهيمن على طلعته أنف معقوف كأنه منقار نسر حاد ، وذلك شيء غريب في فرد من ابناء اللمبو ، ولعله جاءه من جد غريب ، أحد اسياد الارض في بارباري •

ولكن لم يأت الي ، بل حياني ، ومر حول ركن البيت الى مأوى الخدم (فلعله كان يروم لقاء ابن عمه كيلب) ص ١١٦ •

ولاجل تصوير الجو الذي نحن بصدده ، يقول وولف ان

« قطرات كبيرة من المطر كانت تنهمر : وازدادت كثافة وسرعة بحيث اصبح انهمار المطر الغزير يصم الاذن ٠ أما أنا فقد رحت اسير جيئة وذهابا في الستوديو ٠ ولمست بيدي قطعة من منحوتاتي التي كانت تنتصب على قاعدة في موضع منعزل ، وكانت موضع اعجاب : ربتها بلطف كأنها انسان ٠ ووقعت عيناي على صورة معلقة على الجدار وعلى صندوق تحته يضم غيرها٠ وكانت ادراج المكتب مليئة بالمخطوطات ــ من نثر وشعر وموسيقى » (ص ص ٦ ــ ١١ ــ ١١٧) ٠

ذلك أذن هو تيربوت وولف ، المبتعد الى حد ما عن العلاقات بالآخرين كما سنرى فيما بعد ، انما يعقد علاقات مع الاشياء ــ الاشياء الجذابة ، غير انه يبتعد عن التفاعلات البشرية البدنية القوية الفعلية ٠

يقترب اكثر الى الناس عندما يلتقي بالمبشر الجديد الذي حل محــــل نورد السگارد ، وهو مبشر شاب من انكلترة اسمه فرستون ، يلتقي بهفرستون ويقدم نفسه اليه ٠

« اسمي فرستون ٠ والمفروض ان اكون مبشرا ٠ وقد جئت حديثا الى مقر البعثة التبشيرية في هلانزيني هذا هو الاحد الثالث الذي يمر عليّ هنا في الحقيقة ٠ فبدلا من ان اذهب الى الكنيسة خرجت في نزهة طويلة هذا الصباح٠ فلم اكن على ما يرام ٠ اعتقدت ان النزهة ستنفعني اكثر ٠ فكانت في الحقيقة أمراً لعينا تناولت الشاي في مزرعة هناك فوق التلال مع رجل اسمه بلدفيلد ٠ لقد ظن اني رجل مجنون ٠ انه رجل كله مساوىء » ٠

اذن ليس وولف وحده يعتقد ان بلدفيلد رجل دنيءالخلق ٠ هذا ايضا فرستون شقيق روحه ٠

« ارجو ألا يكون من اصدقائك ؟ ويقول فرستون بالمناسبة • وهو رجل حسن التقدير » • انه يسيء لكل شيء يقع عليه لسانه عدا نفسه • انه شخص مريع • لقد حدثني بحكايات شريرة عن هذا المكان فجئت الى هنا بدافع الفضول • وجدت أحد المواطنين في الخارج فادخلني » •

ثم توقف

« لعلك دهشت لرؤيتي وانا أصلي • في الحقيقة اني وجدت بعض الصور الداعرة هنا فاحرقتها • » (كان يشغل بيتا اشغله قبله احد المستوطنين) ••• فصليت من اجل التعساء الذين صنعوها ــ ذلك هو السبب الذي وجدتني من أجله راكعا • تذكّر ، أنا لا اعرف اني أؤمن بالصلاة • (وهذا موقف غريب يقفه احد المبشرين) • وبيني وبينك ، كانت في مثل هذه الحالة مجرد نزوة • فقد كنت أريد تنقية الجو • » •

« تكلم هذا القس الشاب بصراحة غير معتادة • فكرت في نفسي (هذا ما يقوله وولف) فقد رأيت في موقف تجاه الحياة انعكاسا لما في نفسي (وقد سررت بما رأيت) • أباطيل • او لعل انفعالا حصل لدى اتصالي بوجهة نظر جديدة فانفصل شيء من وجهة النظر المعتادة السائدة في ارض ليمبو • لعل فرستون هذا كان يبدو صريحا جدا بالقياس الى اغلب جيراني البيض ، اولئك الناس الذين كانت عيونهم وافكارهم مراوغة •• وكان كلامهم يخرج من أفواه مليئة بالسم بدل اللعاب ، اناس مثل بلدفيلد الذي رآه توا ، والذي ظن ان هذا الشاب الرائع الخلاب مجنون • ص‌ص ١٢٠ــ١٢١ •

كانت استجابته لفرستون استجابة منعشة أيضا • والآن وقد التقينا بالجميع تقريبا : فرستون دلقادر ، زكري مسومي ، وشفردت ، عدا واحد جاء ذكره عابرا ، قابله وولف وجها لوجه •

كانت فتاة اسمها نهليز يومبي • واليك الانطباع الذي تتركه فيه عندما يقابلها وولف • « دخلت الفتاة في المخزن فسلبت انفاسي • لقد سلبت انفاس وولف العفيف » ص ٨٧ (كان يلقب بالعفيف لانه لم يقم بأية غزوة أثناء اقامته في اڤوزين وهذا شيء غريب ، على غير ما جرت عليه العادة) • بدت الفتاة له انموذجا للانسان الهمجي اللطيف النادر ، من نمط لا تجد له الآن مثيلا ، نمط ابادته البعثات التبشيرية ، والبيض والمدن » ص ٨٧ • اذا تذكرنا اننا نتحدث في ١٩٢٠ ، واذا تذكرنا انه في ١٩١٠ صدر مرسوم الاتحاد باقامة اتحادجنوب افريقيا ، ذلك الكيان السياسي الذي صار يعتبر السود حشودا وافرة من احط أنواع الهمج ، الميئوس من اصلاحه ، كأنهم علف رخيص، علف رخيص للاشغال الشاقة • وعندما خرجت هذه الرواية من قلم كاتب أفريقي ابيض أصابت في الصميم بعبارات امثال تلك الشبكة العصبية لاحساس المثقفين والمفكرين في جنوب أفريقيا • « كانت نموذجا للانسان الهمجي اللطيف النادر » وكلمـة « همجي » تستعمل هنا بشكل جمالي من النوع المفهوم ضمنا في عبارات مثل (الهمجية النبيلة) التي يلاحظ المرء فيهافورا اتجاه الروح الروسوية ، والاتجاه الرومانتيكي الذي تخيلته بمعونة وولف • « كانت نموذجا للانسان الهمجي اللطيف النادر ، من نمط لا تجد له الآن مثيلا • نمط ابادته البعثات التبشيرية والبيض والفقراء والمدن • » ان لم يكن ذلك كلام وولف ــ بلومر متحدثا به ، فالمتحدث هو گوگان • وولف هذا هو الرجل الذي يجد الجمال حيث هو ، ولا يحاول ان يفرض نمطا من الجمال قد يكون غريبا على المحيط •

«سنحت فرصة ، في الوقت الذي تعلم فيه اولئك السود باديء ذي بدء ايقاف القتال ، سنحت فرصة آنذاك لبناء مسيحية جديدة • واستطاع الرجال الصالحون بناء اورشليمهم الجديدة • رأيت غير قليل من المواطنين ، ولدي ايمان عظيم في خلقهم • ولكن فات الاوان الآن فقد سلبوا المواطنين كل شيء ــ كل تلك الطرق البدائية الغامضة في تفكيرهم التي توجه حياتهم ، بشرف في

غالب الاحيان ، وحتى بكل نبل ، بصورة منظمة ، ولكن ماذا اعطوهم بدل ذلك ؟ مثلا ؟ لا شيء ! قالوا انهم كانوا معلمين ، ولكن في دار بعثة تبشيرية كانوا يعلمونهم شيئا مغايرا • اعرف مكانا توجد فيه ثلاث بعثات تبشيرية قريبة الى بعضها ، على مبعدة اميال قليلة من بعضها البعض • احداها كاثوليكية ، متزمتة جدا بحيث لا تجد الا قليــلا من الناس تحت توجيههم • والاخرى بروتستانتية وهي لا تزيد عن كونها دارا سيء السمعة في قرية ريفية ذات حدائق • وليس لها أي توجيه مهما كان ولا ارتياد للكنيسة • أما البعثة الثالثة فهي تنتمي الى فئة اجنبية من غير الملتزمين بتعاليم الكنيسة الانكليزية الذين يبــدلون تعاليمهم الدينية الشفوية ، وأشكال طقوسهم ، وحتى عقيــدتهم المســيحية بصورة مستمرة • حسنا ، فماذا يقول المواطنون : أنا اعرف قليلا من الرجال الذين يقومون بالعمل التبشيري غير انهم قلة ومتباعدون عن بعضهم • المسيحية ميتة • وهي قضية خاسرة» (ص‌ص ٨٧ــ٨٨) •

هذه هي الافكار التي خطرت ببال وولف لدى لقائه بنهليز يومبي • « هذا نمط يحتضر » النوع الافريقي الطاهر كما رآه في البيئة الطبيعية ، كما رآه في أناس مثل كيلب مسومي • كما يراه الى حــد ما في رجل مثل زكري مسومي فقط الذي في عينيه شيء من المكر • مثل بلدفيلد ، ربما ؟ ــ رجــل لا يستطيع مواجهة الطواريء بجرأة ويقظة تامة • ولكن ثمة أمل •

وما دمنا الآن مستغرقين في الصورة ، صورة الشعب ، فاننا نستطيع أن نتوغل أبعد قليلا في صورة الافكار • الافكار من النوع الذي يتبادله فرستون وديلڤادر وتتسم بما يلي : اولا ديلڤادر بطريقته وباسلوبه الطبيعي الساخر يهزأ:

« ليس في العادة أن يأتي قس الى هنا » صرح قائلا « آخر من جاء كان كاهنا تتنا منشقا على الكنيسة الانكليكانية وسألني ان كنت نجوت من الخطيئة فغنيت له بناء على ذلك اغنية صغيرة اعتدنا أن نغنيها قبل سنوات :

آمن بين ذراعي عيسى
آمن في سجن برتوريا
اسبوعان بالاشغال الشاقة
لبتر ذيل حمار ..

« لا تكفر » قال القس الكريه عندما انهيت غنائي .

« ولم لا ؟ » قلت له : « لا تشوش على روحي الخالدة » (لقد كان دلقادر متمسكا بالنهج الفردي المستقل تمسكا شديدا !)

« غير ان ذلك من واجبي . » قال لي .

« بالعكس . فالامر يخصني » قلت له .

« انك عنيد جدا . » قال لي .

« اعلم ذلك . وانك لوقح جدا . » قلت له .

« لا تجعل قلبك قاسيا ». قال لي .

« لا لن اجعله . ولا تجعل نفسك مغفلا ابله . » قلت له .

« أتعرف من أنا ؟ » قال لي .

« كلا ، ولا اريد أن اعرف . ولكني اعرف اين يجب أن تكون .

آمن بين ذراعي عيسى
آمن في سجن برتوريا

وضحك دلقادر من أعماق قلبه وهو ينظر الى فرستون ليرى ان كان قد أصابه بصدمة (ثم طفق الاثنان يتناقشان) .

« فهذا اذن مستر فرستون . (يقول دلقادر) . لا يبدو عليك انـــك كاهن » .

« ولكنه كاهن » قلت انا (وولف) « انه قس من الكنيسة اللوثرية ــ الكاثوليكية . وهو المبشر الذي حل محــل نورد السگارد في هلانزيني . »
فصرخ فرانك العجوز قائلا: «مبشر! لاتحدثني عن المبشرين! هل اخبرتكعنتوم فريسكاي اسقف باثو بازلو؟. » انهالآن مبشر، طرد في اول الامر منكنيسة روما الى كنيسة انكلترة . ثم طرد من هذه أيضا . ثم فتح كنيسته الخاصة . وكانت تدعى الكنيسة المقاتلة . نعم كانت .. وكانت مقاتلة جدا . فيقال لو ان شيئا وقف في طريق توم ، فقد كان يدمره . كان مبعوثا يسحق المعارضة دون رحمه » . (ص‌ص ١٣١ــ١٣٢) .

ثم يقول لفرستون ما يعتقده في الناس . ويعبر عن رأيه في المبشـــرين قائلا ان :

«هناك أنواع منهم مختلفة ..انهم فيهذا البلد جميعهم تقريبا يشربون . وجميعهم تقريبا يتخذون نساء سوداوات : اما عن البلدان الاخرى فلا اعرف شيئا . هناك ، طبعا ، قلة من الحمقى الرافضين . غير انهم نادرون ، هناك من لا يأبهون باللعنة الابدية . فينغمسون فيشرب المسكرات دوما ويفقدون رشدهم . ثم كثير من يسعى للاثراء السريع ، وهم اذكياء جدا . وثمة مــن ادعوهم الباحثين العقلانيين ــ وهم اندر المبشرين : اناس لا يعتقدون بشيء عموما حتى يختبروه ، اناس يريدون حقا ان يعاملوا الناس بالحسنى ، ولــكن عندما يتأكدون فقط انهم سائرون على طريق الصواب. سيصبح مسترفرستون باحثا عقلانيا » .

ثم التفت الي .

« وانت (تيربوت وولف) ستكون باحثا عقلانيا أيضا لو كنت مبشرا . والآن سأعطيك مثلا عن الحمقى الرافضين . انه مثال نادر . وهو الكاهن فينيس كرو ، معمداني امريكي . جاء الى هنا مع زوجة وطفل مزعج ، غير انهما

حالا بينه وبين عمله ، فاعادهما الى الوطن . وصادف مستر كرو ذات يوم في المرج مواطنا أفريقيا عاريا الا من قطعة جلد حول وسطه وبعض الخرز . فقال له المبشر : « صباح الخير يا هذا . لو اعطيتني ملابسك لاعطيتك ملابسي . »

ظن الزنجي ان الرجل مجنون ، وحاول ان يذهب عنه ، غير ان الكاهن كال له الضربات المتكررة . وكانت آخرها ضربة صارعة . عاد فينيس كرو الى بيته شبه عار ، في حين ظل الزنجي يلهث على قفاه وهو بملابس تحتانية من الكتان ، وصدرية صغيرة ، وياخة من السلولويد ، وبدلة سوداء من السرج ، وجوارب سود ، واحذية سود ، وساعة رجالية وسلسلة ، وقبعة عريضة الحافة ، سوداء . تعود كرو على العيش في كوخ من الطين ، وانتهى الى العيش مع امرأة سوداء بلهاء اهتدت الى الدين الجديد » (ص‌ص١٣٣—١٣٤) .

هذه هي وجهة نظر دلڤادر عن الحياة . وهذا هو البديل الذي سيهيء فرستون اليه حياته التبشيرية في افريقيا .

فكيف سيستجيب فرستون ؟ سرعان ما يقترن فرستون بشخص من نوع نادر . نادر في نطاق هذه الرواية ، نادر قبل اربعين سنة في نطاق السياسة والواقع الافريقي الجنوبي . انها امرأة من أصل افريقاني ــ اسمها مابيل فاندر هورست . والاسم له دلالته ، ليس عن الاصل فقط ولكن عن نوع هذه الامرأة . مابيل فان در هورست لها رشاقة خميلة ، أيكة ، وطاقة حصان ، ولها قابلية شخص يرى الحالة على الوجه فيجد نوع الحل الذي يراه ضروريا فتستغله في تلك الحالة . انها انسان جدير بالحب .

ان مابيل فان در هورست وفرست وكيلب مسومي وزكري مسومي يكونون منظمة ، والى هذه المنظمة تتجه ، وهي في الحقيقة محور الرواية . المنظمة تدعى افريقيا الفتاة واهدافها هي :

« بايجاز نعتقد : ان افريقيا ليست بلد الرجل الابيض

[هذا رقم واحد ، ورقم اثنين] ان تزاوج الاجناس هو الطريق الوحيد امام افريقيا لتكون مضمونة للافريقيين ٠

٣ ـ وان ذلك أمر محتوم ، صحيح ومناسب ٠

٤ ـ وان استطعنا ان نبين ذلك ، فاننا سنضع الاسس الصحيحة لمستقبل العالم الملون ٠

٥ ـ واننا الرواد ٠ (ص ٨٤٤) ٠

انها نوع من حماسة الشباب ، عرض مضحك لوجهات النظر ، ولكن المرء يسأل أخيرا : هل الامر مضحك الى هذا الحد وقد سمع قبل هذا بقليل ان فرستون يكاد يلتقي في الرأي مع فرانك دلڤادر الذي يشعر ان مستقبل افريقيا الجنوبية ، وبتحديد اكثر ، جنوب أفريقيا يكمن في التزاوج ، في الاختلاط ثم يسمع بعد ذلك مابيل فان در هورست التي وجهة نظرها معقولة ونابهة اصلا ، تدلي بالشيء نفسه ٠ وتشرع المنظمة بانجاز هذه الاهداف ٠ فكيف سيفعلون ذلك ؟ سوف يبثون آراءهم ، ويعقدون الاجتماعات وسوف يكسبون الناس الى مذهبهم ، وينشرون فكرة تمازج الاجناس بالزواج ٠

واخيرا فان الحدث جميعه في الرواية يتطور باتجاه الانقسام الحاصل في الجمعية ، ذلك لان فرستون يعشق مابيل ، وكذلك يفعل زكري مسومي فتحصل الفرقة بين الجماعة ٠ ويحصل الامر نفسه لتيربوت فيجد نفسه فيما يشبه مفرق طرق : هل سأجعل قلبي متعلقا بنهلزيومبي ، أم أنسى حبها ؟ » فبين الرجلين اذن هذا النوع من الشجار ، هذا النوع من الصراع ٠ غير انهما رجلان متورطان ، رجلان يشعران ان هذا الصراع بحاجة الى عمل سريع ، ولكنهما أيضا رجلان يشعران ان لكل منهما مصيراً بحاجة الى حل سريع ٠

يكاد يكون واضحا من ذكرنا سابقا كيف سينتهي هذا الصراع ٠ غير ان النتيجة ليست أمرا يمكن التنبوء به ، لان التنافس واكثر الاحداث تنتهي

بالتجاء فرستون الى تدخين عقار وقع عليه ويأمل ان يجد فيه السلوان ، ولكن سبب له نوعا من الشيزوفرينيا (انفصام) في شخصيته . لذا فانه ينتقل من انقسام الى انقسام آخر في ذاته : فرستون الرجل ذو المثل العليا التي تسعى من اجل خلاص الشعب الافريقي ، وايجاد حل لمشكلة جنوب افريقيا ، وفرستون الرجل الذي يشعر بالحب فجأة تجاه مابيل فان در هورست ، وما دام منقسما في ذاته ، وخارج نفسه في اكثر الاحيان ، فانه لا يستطيع ان يعلن أهليته لحب مابيل الفطنة التي ترى في مسومي شخصية متكاملة ، التي ترى شخصا ليس قريبا الى الخلاص بل يؤكد ذلك لنفسه وبنفسه بأنه سوف يقوم بانجاز الخلاص : وليس عن طريق الكتب والموسيقى (التي اختارها تيربوت فأبعد نفسه عن حياة الواقع ، ولا عن طريق المخدرات التي سلكها فرستون بالصدفة تقريبا للحصول على تحليقات خيالية تثيرها المنبهات التي فصلته عن جوهر الزمان والحياة) وانما عن طريق العمل المادي .

وعندما يعود فرستون الى رشده ، يجد ان هذا هو الحل الاكيد الذي كان عليه أيضا ان يتقبله . ويقام احتفال حيث يرأس قداسه ، ويقترن مابيل ومسومي . وعندما يتزوجان ، يشعر فرستون ان الكلمة التي استعملوها سابقا ألا وهي « تمازج الاجناس » امر مغلوط . وان كل ما شرعوا بانجازه ليس الا خلطا للعناصر المختلفة التي تؤلف أفريقيا الجنوبية . وأخيرا ولاجل ان يجلب نوعا من الشفاء على شكل قشرة جرباء فوق القرحة التي فتحت في كبريائه ، وفي ذاته التي اندحرت ، فانه يخرج الى البراري حيث ينفق هناك . أما تيربوت وولف ، الذي يموت موتا بطيئا خلال الرواية من اولها ، فانه يترك وحيدا مع رسائل موجهة الى فرستون ، واحدة منها من أمه تقول فيها :

«انك لست صريحا عن هلانزيني ، غير اني استطيع ان ارى من الطريقة التي تكتب بها انك تستمتع بحياتك استمتاعا تاما .. »

انها مصيبة ومخطئة الى حد التهكم .

« لا تكن حمارا (كتبت له امه) مثل جميع المبشرين الذين التقيت بهم • ولاتكن ، بالله عليك مطران جاليـة• انهم ضرب من الناس كريه • كلهمغرور وابتذال • لقد اصبح ابوك تقيا في شيخوخته ، بيني وبينك ، انا لا اظن انه في كامل عقله • » (ص ١٩٦) •

وهذه سخرية أخرى لان فريستون نفسه في احدى المراحل لم يكن في كامل عقله •

« بالله عليك لا تقل اني قلت ذلك •

هاري يكتب من الهند انه يتمتع بوقت رائع • اظن اني اخبرتك انـه أصبح معاونا لحاكم چيربراندي •

ودم لامك الحنون » •

ومن الاشياء الاخرى التي تركت لدى تيربوت وولف مجموعة منالقصائد التي كتبها فرستون ، وعنوان واحدة منها : لا امل في العودة •

ايماءة منها ، ثم غادرت
ولم تنبس بكلمة
اوراق الصيف ، ساكنة ،
الاثر الوحيد للاصوات لم يسمع

غرب الزمان وغار المكان ،
كسبنا هذه الدنيا
ضاع علينا كثير غيرها
أمام حفيف ثوبها ،
الزهرة التي ترتديها •

لا امل في العودة ،
لانها ، عند رحيلها ، كانت تعرف
ما يفتقر اليه الصمت من اصوات
قليلة فيها الحماسة :
ولم نقل شيئا جديدا • (ص ٢١٤)

يقينا ، ان هذه القصيدة مهداة الى مابيل فان در هورست • وهي النوع الذي تتوالى فيه سلسلة من الاحداث الخيالية ، كان تيربوت وولف نفسه يود كتابته من اجل نهليز يومبي • وهناك قصيدة اخرى ، (غريب في حفلة الزفاف) وهي القصيدة التي نشرها بلومر نفسه في صحيفة زولو في مدينة ناتال واسم الصحفية « ايلانگا لايس ناتال » أي « شمس ناتال » •

هل ستتحد الروح والعقل
منذ البداية ؟
ام سيجد ان البهجة
تزهر على مهل ويستخلصان
استقراءهما الروحي
كالعسل من القرص ؟
ذلك لكي يعرفاه
غير اني (والجرس يرن مع الجرس)
يجب ان اطبع بكل سرور
قبلة السلام ، عند الصلاة ،
على خدي العروسين • (ص ٢١٥)

تلك اذن البركة الختامية التي منحها الكاهن عند خلط هذه العناصر في هذا البلد المنقسم انقساما غريبا الغارق في الدمار •

فما هو اذن اصل هذا الصراع ، او الصراع في الاصل ، الذي تعبرعنه (تيربوت وولف) الرواية ؟ اظن انها تعبر عن مجموعة منوعة من الصدامات التي يمكن ان تحدث ، انها تدل على ان هناك روحا يمكن ان ندعوه روحا حساسا مدركا ليس لحقائق زمانه السياسية والاجتماعية فقط ، وانما لجميع المعاني الخفية في العشرينات التي لابد قد شهدتها جنوب أفريقيا « البيضاء» المهيمنة باعتبارها مستقبلا يتألق بالهدوء الدائم والسلم المتواصل • غير انذلك بالنسبة لبلومر يجب ان لا يحدث ، ولا يمكن أن يحدث : وانه بسبب روحه الحساس فهناك جميع احتمالات الصدام ، الصدام بمعنى الاجتماع ، بمعنى الامتزاج ، ستكون هناك شخصيات المبشرين ، اولئك الناس الذين اندفعوا أمدا طويلا من الزمان في اخضاع روح افريقيا ، روح افريقيا الجنوبية • هناك أمثال فوردالسگارد ، وكلودكوست الغريبي الاطوار الذين جلبوا معهم نوعا من الجمال الرائع الغريب ، نوعا من الانفتاح في الروح الذي كان على صلة حميمة ، الى حد ما ، وتعاطف مع المناخ ، وعلى انسجام مع وجهة النظر الافريقية • غير انهم بسبب من التشبث العنيد بالرأي الغاضب ، فان طاقتهم طمست معالم ما هو موجود وفرضت على البيئة شيئا لعله غريب عنها تمام الغربة ، لذلك فانهم يبدو عليهم انهم سيبتعدون • كل شيء مرتب ، حسن التنظيم ، مثل محرك حيث كل قطعة في مكانها المناسب، اجزاء الآلة والمحرك المجازي للرواية ، غير اني اظن ان الرأي واضح جدا وعظيم للغاية ، وهو جزء من أصل الصراع لانه ، حسب اعتقادي ، يوشك ان ينبيء بما سيكون رأيا قويا وواضحا جدا على المسرح الافريقي الجنوبي ، على المسرح الافريقيعموما، في أواخر الاربعينات واوائل الخمسينات وخصوصا في الستينات حيث ظهر في المقدمة الموقف الجريء لعائلة نوردالسگارد مع فلسفة ووجهات نظر الزنوجة مثلا •

وهناك من الجهة الاخرى ، فكرة المزج ، فكرة بلوغ الــــكمال ، التي رأيناها ، كما أظن ، بوضوح تام في موقف فرستون ودلقادر على الاقل ، كل حسب ترتيبه . وهذا موقف آخر يظهر بقوة شديدة بحيث يمكن للمرء ان يقول بهذا الخصوص ، بأن الرواية هذه القوية الهائلة في فكرتها لعلها تقوم ، كما يعتقد بعضهم ، بما لا يجب أن تقوم به الاعمال الفنية فهي تفشل ان تكون مقنعة قطعية . ويظن آخرون ان هذا هو ما يجب ان يقوم به العمل الفني ،يجب أن تكشف ، غير انها يجب ان لا تلتجيء الى طريق ثابت محدد في العمل ، وهذا ما اظنه ختاما اعظم الوجوه سحرا وفتنة في هذا الجانب من الصراع في الاصل : انها تكشف الحقائق ، حقيقة تيربوت وولف نفسه ، باعتباره شخصية مركزية مثل أفارقة الجنوب الذين ولدوا في جنوب افريقيا ، ولكن يجب أن يرحلوا عنها . وهنا أيضا يجد المرء في رواية (تيربوت وولف مادة ظهرت بشكل قوي في كتابات اناس مثل نادين گور دايمر في رواية (عالم الغرباء) مثلا . ان رواية تيربوت وولف نوع من الاحصاء السكاني ، نوع من الدلالة التي تحمل بذور المستقبل التي تبين الطريق الذي سيسلكه ادب جنوب أفريقيا والاتجاهات السياسية فيها ، وهي لا تحمل فقط بذور المستقبل لادب جنوب أفريقيا والفكر السياسي فيها ، بل لجميع افريقيا الى حد بعيد ، لان شرق أفريقيا ــ وكثير من غربها الواقع تحت التأثير الانكليزي ــ لديه كثير من المواقف (وقد عبرت عنها في الخمسينات والستينات) التي عبر عنها هنا في روايته في العشرينات ، في حين تعبر افريقيا الواقعة تحت النفوذ الفرنسي عن مواقف أخرى التي عبر عنها أيضا بلومر في (تيربوت وولف) .

علينا اذن ان نختتم رواية بلومر الاولى ــ ولعلها الرواية « الصادقة » الاولى في افريقيا ، بالبركة التي منحها في النهاية فرستون ، واثنى فيها على القران والتآلف في المزج الذي سيحصل جراء زواج زكري مسومي ومابيل فان در هورست : حيث سيتكون كيان جديد من ملغمة اجود نموذجين واضحي المعالم .

لننتقل الآن وبشكل موجز الى الشعر : يبدو ان بندكت ووليت ڤيلاكازي الشاعر من الزولو انه ، رجل وأديب ، يمتلك الكثير من الصفات التي يمتلكها بلومر . يجد المرء لديه نوعا من الرؤية المراوغة الشديدة التركيز ، الصراعات نفسها ، التصادمات عينها التي يجدها في (تيربوت وولف) الاولى تعبر عن نفسها على هذا النمط ، فقد كتب ڤيلاكازي قصيدة بعنوان « في عيد الفصح»:

هذا القمر الذي أراقبه الآن يبزغ
قوسا كسيرا يتألق فوق
كامل السماء الغربية
يذكر الجميع بجليل الاحداث :
من أجل هذا يا الهي ،
نحن نشكرك . وتتذكر أيضا كيف انك
تجولت في أرض أفريقيا هذه ،
ارض الناس السود ،
ولم تلازمك زمرة من الخدم !
ولهذا ، يا الهي ، ذهلنا .
كان بامكانك ان تجرد جنسنا القديم
من الفضة والذهب والاحجار الكريمة .
التي تزين تيجان وثياب
امراء الكنيسة والدولة ،
غير انك اغلقت عينيك عن كل هذا :
من أجل هذا ، يا الهي ،
نحن نشكرك .

رقدت على الارض فوق حصير ،
وجلست على مقاعد من خشب مع اناس بسطاء
هم عشيرتك ، الغارقون بالكوارث والذنوب ،
وعلاوة على ذلك فان أخي الابيض ،
ينبذني ويشمئز مني ويستغلني :
ولهذا يا الهي ،
اين سألتجي ؟

القمر عال ، والسماء مرصعة بالجواهر ،
القمر أنت ، والمجرة تتألق
بالنجوم ـ تلك هي دموعك ودموعي .
أيا من هام مشردا في هذه الدنيا ،
اشرق على الارض وبدد ظلامها !
فعند ذلك حتى نحن يا الهي ،
قد نبتهج .

وتستمر القصيدة وتتناول الصلب وأخيرا :

فاهدني ، أنا الاسود ،
مثالك وطريقة حياتك
انت يا من جاهدت كي تجعلنا ننتبه
الى الحاجة ، الحاجة الماسة لقول : لا ،

في الفكر والعمل !
ولهذا السبب يا الهي ،
اقدم شكري[٤] .

يبدو لي انه في الجزء الاول من قصائد ڤيلاكازي (المنشورة اصلا بلغة الزولو) وفي قصيدته هذه يوجد هذا الربط في المواضيع ــ موضوع الغضب العارم « وعلاوة على ذلك فان أخي الابيض ، ينبذني ويشمئز مني ويستغلني »، نجد هنا امثال بلدفيلد وفليشر ، ومع ذلك فان المرء يجد أيضا فكرة « مثالك وطريقة حياتك » : يجد المرء امثال فرستون ، يجد المرء الند الغريب للغضب المتكرر دوما الذي يسعى من أجل ايجاد التعبير في العمل السياسي مثلا ، وهنا أيضا يتجلى السبب الذي يجد الانسان فيه أصل الصراع ، ثمة تخبط في سبيل ايجاد اكتشاف تجريبي غير أكيد لباعث يدفع على الهجوم وانسحاب من ذلك الهجوم . نجد ذلك في رواية (تيربوت وولف) ، نجد ذلك في قصائد ڤيلاكازي حيث يبدي اعجابه احيانا بالثقافة والموسيقى الغربيتين . احدى قصائد مديح رائع لشوبرت وبتهوفن وشوبان ، وهناك من الناحية الاخرى ادراك هذا الميل المتناقض تماما لدى اولئك الذين جلبوا هذه الثقافة من اجل تشويه وانكار ونفي الاشياء التي جلبوها بواسطة المواقف التي يتخذونها . اظن ان ذلك يجد اوسع تعبير له في قصيدة « في مناجم الذهب » وهي قصيدة مطولة فيها اغراض عديدة جدا تجد تعبيراً لها فيها . ولا يسعنا النظر الا الى قليل منها وعنواقها بلغة الزولو : اسينكومپوني :

اهدري دون انقطاع يا مكائن المناجم ،
اهدري من الفجر حتى يهبط الظلام ،

---

(٤) فيلاكازي : « في عيد الفصح » من مجلة آفاق زولو . وقد نقل قصائد فيلاكازي الى الانكليزية د . م . مالكولم وفلورنس لوي فريدمان ونشرتها في لندن ، بيلي وسوينفن عام ١٩٦٢ــ ص ص١٥ــ١٦ .

سوف أسهر ، اتركيني وشأني ،
اهدري ايتها المكائن وظلي صماء لا تسمعين
انين الرجال السود وهم يكدحون .
تعذبهم آلام عضلاتهم ،
يلهثون في الهواء النتن ،
يترنحون من الاوساخ والعرق .
يهزون أنفسهم دون جدوى .
اهتف ايها الفتى ، فقد بعُد ،
كثيرا بعُد المكان الذي صهرت فيه ،
ذلك الاتون الذي جعلك قويا :
بقي الفحم وارسلت أنت .
راقبناك تعبر البحار الهائلة ،
ثم جلبتك الينا ها هنا في گولي ،
وعندها رأيتنا ــ كالارانب المتدافعة حشودا ــ
كانت صرختك من الاندهاش عالية .

حشود الارانب جميعا كانت سوداء ،
وليس لها أذناب ، مسكتها جميعا !
وفي اسفل المقلع استنزفت قواها .
دوري ثم دوري ايتها العجلات الحديد ،
فانت من أجلنا ، من اجلنا جئت هنا ،
فلم يكن لك حق الاختيار ، رغما عنك أتيت .

وها انت الآن تهدرين وتدورين وتكدين ،
حتى يلقى بك بعيدا بعدما تستهلكين ، فتبلين ٠
على مزبلة مهملة٠

هذه ثلاثة مقاطع من قصيدة تتألف من خمسة عشر مقطعا ٠ وفيها اولا ، حسب ما اعتقد ، ادراك واع ملموس للرعب الذي تعنيه الماكنة والمنجم لدى الافريقي ٠ لقد سلبت منه انسانيته ، وهناك علاوة على ذلك نوع من الادراك الكابوسي لعجز مزعوم في الانسان الاسود ، المواطن الافريقي ، عن القيام بأي شيء مادي ، أي شيء عملي ، أي شيء يمكن أن يحل له مشاكل عجزه حلا حقيقيا ٠ « اهدري دون انقطاع يا مكائن المناجم ٠٠ دعيني وشأني ٠٠ »٠ انها صرخة يأس ، صرخة من النوع الذي سمعناه في صوت كيلب مسومي عندما كان غير عارف الى اين سيأخذهم ابن عمه زكري ــ عندما كان خائفا من النتائج المحتملة ٠ انها الصرخة التي يسمعها المرء بلا ريب عند فرستون ، الذي اصبح نتاجا للنظام في جنوب أفريقيا ٠ كما حصل للناس الذين ولدوا هناك فعلا ٠ لقد جعل فرستون من نفسه شيئا مماثلا جدا لوضعهم بحيث تعرض للامر نفسه وهو : « كيف سأواجه هذا الوضع ؟ » بواسطة المخدرات ، ويغرق في الاوهام قدرته المادية ، ويحقق اكمال حلم احدثه المخدر ٠ وهذا ما يريده الى حد ما ڤيلاكازي : « دعيني وشأني » ٠ دعيني انام ٠٠ دعيني احلم ٠٠ دعيني انسى ٠ ومع ذلك فان هناك وعيا بأن هذه المكائن ما هي الا آلات ، ادوات ، وانها بطريقة ما وفي مكان ما يجب ان تعمل ليس من اجل جماعة واحدة فقط ــ من أجل بلدفيلد فقط ، من أجل فليشر فقط ، من اجل نورالسگارد فقط ، وانما من أجلي أنا أيضا ، من أجل كيلب وزكري مسومي ، ومابيل فان در هورست وفرستون من اجل الجميع ٠ « من أجلنا ، أنت ٠ من اجلنا جئت هنا ، فلم يكن لك حق الاختيار ، رغما عنك اتيت » ٠ وانها لن تكون نظرية « الحضارة

التي جلبت الى هنا بلحقيقة كون الحضارة موجودة هنا هي ما تبدو لڤيلاكازي حقيقة بارزة .

ان ادراك ذلك يبدو له أمرا وشيكا ، امرا لابد ان يأتي وليس قريبا فقط، بل متأصلا .

غالبا ما كنت ، وانا عابر في سبيلي ،
التفت وانظر اليك واتساءل ،
ان كنت انت ستتكاثر ،
تزداد ، تتضاعف : لا !
ومع ذلك فنحن ، اخوتك الكبار مثلك ،
نحن ، أيضا ، نشيخ ويأخذنا الوهن في المناجم ،
وسرعان ما تنهد قوانا ، وتتهرأ رئاتنا ،
فنسعل ولا نستطيع أن نرتاح ــ فنموت
غير انك تستثنى من هذا السعال فلماذا ؟

وفي صرخة القلب هذه النابعة من انسان معذب يقاسي الآلام تدخل هذه النظرة المتفلسفة .. هل هذا العذاب عذاب خارجي فقط ، هل هو عذاب فرضه الغزاة ، الرجال الذين جعلوني عبدا في المنجم ، أم انه شيء في طبيعة الاشياء ؟ لماذا تستمر هذه الماكنة ؟ لاحظ الانقسام مرة اخرى : في البدء سنلقي الماكنة بعيدا ، وهنا « لماذا انت لا تسعل ؟ » هذا هو التلمس في سبيل ايجاد مخرج، التلمس الذي كان بالنسبة لتيربوت وولف أيضا النوع الوحيد من الاشـياء الحقيقية . وأخيرا يجد الانسان ، حسب ظني ، ان تيربوت وولف لا يختلف عن فوذرنگي ، وان الحل بالنسبة لتيربوت هو الموت . وهذا الى حد كبير يصدق على ڤيلاكازي ، وهذا هو سبب اختيارنا للعنوان « الصـــراع في الاصل » : فالحلول لا ترى واضحة جدا في نضاليتها ، وليست فريدة ، ولا صادقة كتلك

التي يجدها المرء في حركة الزنوجة ، ليست مخلصة كتلك التي يجدها الانسان في تراث الاحتجاج فيما بعد في جنوب افريقيا (ضمن نطاق الفروق الحقيقية لها) في كتابات لويس نكوزي أو دينيس بروتس او نادين گوردايمر مثلا .

يكثر في كتابات تراث حركة الزنوجة ، كما يبدو ، محاولة فعلية صريحة لا لبس فيها من اجل التحرر : قد تكون الحقيقة الفنية المادية المتكاملة في المزاوجة ، ولكنك من وجهة نظر حركة الزنوجة تنبذ كل ما تعتبره غريبا . وما زال هنا نوع من « الى اين ؟ » نوع من التردد غير الحاسم .

سمعت ان في المقلع
كثيرا من قبائل الناس السود ،
انهم هم الذين يرفعون المستودعات البيضاء العظيمة .
التي اذهلت اسلافهم كثيرا .
قالوا : صرخت ذات يوم امرأة اسطورية
فجاء على اثر ذلك ارنب اسود
مسكين مشوش الفكر ،
ومسكوه وحولوه الى خلد :
راح يحفر في الارض فرأيت الذهب .

صورة جميلة ، فيها استعارة غنية عن الافريقي الاصيل الذي اصابه الذهول عند مواجهته حضارة القرن العشرين الصناعية الجديدة ، أو عند مواجهته صناعة التعدين في منعطف هذا القرن ، ذلك عالم جديد تماما عليه، عالم تحت الارض . هذه الارانب التي تعيش على وجه الارض ، في الشمس تتمشى وتستمتع بنعيم الراحة والشبع ، تحول الى حيوانات خلد .. تحفر الجحور في الارض . « ورأيت الذهب ، ثم حشودا من الخلد راحت تحفر

عميقا .. تلك هي الفكرة التي عبر عنها رجل مثل فرانك في روايـــة تيربوت وولف : بالنسبة الى الكثيرين ذلك موقف اقتصادي ومادي صرف ، من الفرد من القلة ثم الى الاكثرية ذلك هو الواقع عام ١٩١٠ ، وذلك هو الشيء الذي يقاومه ڤيلاكازي في الثلاثينات والاربعينات دون جدوى ، غير انه الشيء الذي لا يجد فنه الشعري مخرجا واضحا من خلاله ، الشيء الذي قاومه وليم بلومر على لسان تيربوت وولف .. ؟ ولكن لعله وليم بلومر ايضا .

وهذا شيء آخر يصل الرجلين ببعضهما ، الصلة بين الاثنين هي ان وليم بلومر هو « الانا » ــ الراوية ، العين الثالثة التي ترى طريقها في القصة التي يسردها وولف والرسائل والدفاتر التي احتفظ بها فرستون: كان تيربوت وولف بالنسبة له شخصا عبقريا . فهو يستهل الرواية بقوله : لعل تيربوت وولف كان شخصا عبقريا . « العبارة تحمل وجهين ، وهي شديدة الغموض : لعله كان .» قد تعني فعلا « ولعله كان .. » قد تعني انه يمكن ان يصبح .. « ولعلـــه كان .. »لست ادري ان كان ذلك صحيحا . « ولعله كان » ولكني ادري ان كنت اتفق مع آرائه ، فقد كانت رائعة ، كانت مثيرة ، ولكن هل هي صحيحة ؟ ومعانٍ اخرى غيرها . ان وليم بلومر « الانا » الراوية ، سيجد نفسه ، في الطريقة نفسها ، ممزقا بين جميع الاحتمالات الموروثة في الوضع الذي يكتنف جنوب أفريقيا ، كما يجد فيلا كازي نفسه ممزقا ، غير انه الشاعر : فهل هو أيضا عامل المنجم الذي يقول :

دمدمي بهدوء أكثر أيتها المكائن !
لان الرجل الابيض من حجر ،
أفلا تستطيعين ، يا من انت من حديد
ان تكوني اكثر رقة ؟
اخمدي هديرك في المناجم ،

واسمعي ما سنقول لك ،
والا فلا نأبه به
عندما يشرق ذلك اليوم البعيد ، الخفي ،
وسنصرخ أخيرا « ايتها المكائن !
انت الآن لنا ، نحن الرجال السود ! » (ص ١٧٣) •

اذن سوف يشرق ذلك اليوم بطريقة ما ، والطريقة بعيدة ، خفية بين الضباب • لا بد أن تكون هناك طريقة للخلاص • وماذا ستكون العملية التاريخية ، وماذا ستكون القوة التاريخية ، لعلها ستكون شيئا مثاليا ، بطوليا، كتمازج الاجناس في رواية تيربوت وولف • ويمكننا ان نذكر هنا وظيفة التدخل في التجربة الاجتماعية وانعكاسها التي يقدمها أسلوب كل كاتب : فعند كليهما يصنع مقياس طريقة البحث والقياسات المناسبة لحالة المحتوى وتنقيته وايمانا اعظم في اعادة عرض الصراع الناجز) •

فهل هذا هو الحل الحقيقي ، هل الحل من الناحية الاخرى ، ان تكون المكائن لنا نحن الرجال السود ، الآن ؟ وكيف سيحدث ذلك ؟

في وسط القصيدة تأتي صورة موجزة عن كيفية ذهابه الى بيته
وماذا وجدت ؟ سيقان ذرة جافة
وأكواخا خاوية • فحككت رأسي
وسألت عن زوجتي واقربائها :
فقالوا لي : اوه ، اذهب واسأل الرجل الابيض •
فختمت على شفتي وابتعدت (ص ١٧٢)

وفي المقطوعة الختامية :

اهدري دون انقطاع يا مكائن المناجم !

ايدينا تؤلمنا ، دوما تؤلمنا ،
واقدامنا المتورمة تؤلمنا أيضا ،
وليس لدي مرهم يمكن أن يشفيها ـ
فأدوية البيض تكلف غاليا .

اهدري أيتها المكائن ، ولكن لا تقلقي راحتي !
لقد احسنت خدمة الاغنياء السادة البيض ،
ولكن روحي مثقلة بالهموم !
قللي من صوت هديرك ، ودعيني اهجع قليلا ،
واغلق عيني وانام ثم أنام
ولا افكر بما يأتيه الغد .

دعيني أنام ثم استيقظ بعيدا ،
في سلام حيث جميع اسلافي
وحيث لا توجد أية يقظة بشرية !
دعيني أنام بين ذراعين زالا منذ أمد بعيد ،
آمنا تحت مراعي العالم الخضراء . (ص ١٧٤)

لعل أقوى قصائد ڤيلا كازي هي « في المناجم » ـ وتلك هي خاتمتها ، ولعل أشد روايات بلومر تفجرا روايته « تيربوت وولف » وخاتمتها موت تيربوت وولف ، الرجل الذي اسمه يعني العمل ، الذي اسلوب حياته مثل هاملت . كثيرا ما يجد المرء الشاعر « في المناجم » راغبا في الارتفاع الى مستوى العمل القومي الفعال ، واحيانا اخرى يجده راغبا في التوفيق بين ذاته وبين حياة ملؤها الاحزان ، حياة الهروب ، والنهاية هذه أيضا « دعني أعرف

بأن هناك كثيرا سيطفح من أجل الانبات • ولا أعرف أي نوع من النبات سوف ينمو •• دعني اقيم في هذا الحلم ، هذا النوم ، دعني أهيم » •

ان بدايات الصراع الافريقي الذي يتجلى في الادب عبرت عنه بكل ثراء مؤلفات وليم بلومر وبندكت ڤيلاكازي ، تلك المؤلفات التي تحمل بعض البذور التي ينبت منها كثير من الحوالق الممكنة : التي روعتها المعبرة ، تشكل فنـــا لايستطيع ــ ولاينبغي ان يتوقع منه ــ ان يبين في أي اتجاه سيهب الصراع الكامل • ومع ذلك ، فان جميع احتمالات الازدهار المقبل تتجلى هنا في مؤلفات كتاب جنوب أفريقيا في اولى مراحل التطور اثناء ١٩٢٠ ــ ١٩٣٠ •

- ٢ -

سياسة الزنوجة

(فرانز فانون ، ليوبولد سنغور ، ليوداما ، ايماسيزير ، ديفيد ديوب ، شيكا اوثامسي)

جيرالد مور

أملي وطيد ان اقول شيئا جديدا بخصوص السياسة والزنوجة ، مع ان ذلك ليس امرا هينا لانه ميدان كثر ارتياده . واني اريد ان القي عليكم اراء لعلها مألوفة لديكم .

ولهذا فقد فكرت انه يمكن ان تتخذ منطلقا لها من ملاحظات فرانز فانون الكاتب المارتنيكي ، الزنجي الاصل ، الذي امضى ردحا طويلا من حياته في فرنسا ، ثم اصبح رئيسا لدائرة الطب النفساني في الجزائر . وهو ينظر الى مشكلة اللون من وجهة نظر احد سكان الانتيل . لايدعي فانون انه افريقي. ويصر على ان ما يقوله يصدق على اهل الانتيل . ولا يقول ان ذلك يصدق على أي مكان آخر . انه ينظر الى هذه المشاكل باعتباره طبيبا نفسانيا مهتما بمعالجة اناس قد تعزى حالاتهم النفسية الى الصراعات والضغوط الناجمة عن الاتصال العرقي . يقول في كتابه « بشرة سوداء ، اقنعة بيضاء » ـ واظن ان عنوانه يعطي فكرة صائبة عن القضية التي يهتم بها ـ الاسود انسان اسود . اي انه نتيجة لبعض الاضطرابات النفسية ـ وما هي في الواقع الاضطرابات النفسية ـ فقد نشأ في صميم عالم يود لو يستطيع الافلات منه . المشكلة هذه امر مهم .

ولا يهمنا شيء سوى تحرير هذا الانسان الملون من نفسه • سنسير الهوينا ، لان هناك معسكران ـ الابيض والاسود • وسوف نقوم بالتحري متحمسين سنتطلع وجهات نظر الفلسفتين وسوف نرى انهما متمازجتان في اغلب الاحيان• ولن تأخذنا رأفة بالاداريين القدماء والمبشرين القدماء• وهكذا، فان الذين يحبون الزنوج الى حد العبادة هم في حقيقتهم مرضى كاولئك الذين يكرهونهم • ولو اخذنا الامر معكوسا ، لوجدنا ان الانسان الاسود ، الذي يريد ان يبيض أبناءجنسه، مريض مثل اولئكالذين يعظونبكراهيةالبيض»[1]•

ثم يستمر قائلا بان اتخاذ لغة معناه اتخاذ عالم ، وان اللغة الفرنسية ، بصورة خاصة ، لغة يتسلط فيها ذلك الاسلوب الذي يمكن ان ندعوه بالتفوق العرقي ـ اي فكرة التسلسل الهرمي المستنده على اللون التي تضع مَن هم اشد سواداً في القعر ومن هم اشد بياضا في القمة ـ يتسلط على الانسان الملون • انه ، بطبيعة الحال ، يتحدث من وجهة نظر ابناء الانتيل الذين ليس لهم الخيار في تلك اللغة • انها اللغة الوحيدة التي امامهم ، اللغة التي نشأوا عليها ، وبواسطتها يجب ان يثقفوا انفسهم ، وبواسطتها يضطرون ان يتقدموا في الحياة •

يتصل اتصالا وثيقا بمسألة التسلسل الهرمي في اللون التسلسلالهرميفي القيم الاجتماعية : القيم شبه الارستقراطية لاصحاب المزارع البيض في جزر الانتيل :، القيم البرجوازية التي تستحوذ عليها فكرة الاحترام ، التي تستحوذ عليها فكرة صعود سلم اللون وعدم نزوله لدى الطبقة الوسطى من المولدين ؛ وما يدعوه دونية الانسان الاسود ، في اسفل هذا النظام من جميع النواحي •

---

1. **Frantz Fanon, Peau Noir, Masques Blancs, Editions de Seuil, 1952 - trans. Black Skin White Masks by Charles Lam Markmann, Mac Gidbon and Kee, 1968. (Moore's own translation, cf. Markmann trans. P. 10).**

ويستشهد بامثلة من هذا الاستحواذ الفكري من كتب امثال « نيني » وهي رواية عن السنغال، وكتاب يدعى «أنا مارتينيكية»، وكتاب من تأليف رينيه ماران ، زنجي من اصل گوياني • هذا استحواذ فكري يخص الزواج الصاعد في نظام اللون وليس النازل وهو لا يستشهد بامثلة من هذا القبيل عن النساء فقط ، بل عن الرجل ايضا • إنه قرار فصل : مهما يفعل الانسان فانه لم يعـد تا مالسواد ، مهما يفعل الانسان ، فانه يتحتم عليه ان يتزوج من هو افتح منه لونا • وإن تفشل الفتاة في فعل ذلك ليس معناه الاساءة الى قيمها الخاصة فقط ولكن معناه ايضا الاساءة الى جميع الاقارب ، لان والديها قد يقولان :

« انظري ، انك بهذا قد القيت جانبا ما استطعنا بلوغه • فقد استطعنا ان نجعلك افتح لونا ثلاث درجات • والآن رحت وتزوجت رجلا اسود • اننـا سنعود ونصبح سوداً مرة اخرى • »

هذا هو السبب الذي يؤدي الى تمزقات خطرة داخل النظام الاجتماعي القائم عندما يفعل الناس ذلك • لم يقل ، طبعا ، انهم ينبغي الا يفعلوا ذلك ؛ انه يسعى ان يجعل هذا النوع من الوضع امراً موضوعياً •

والآن ، اظن ان بعض ما نعتقد انه سياسة الزنوجة يبدأ هنا من هاتين الفلسفتين ، واظن اننا نراهما قد صورهما بصورة جميلة ، في قصيدة لعلكم تعرفونها للشاعر ليون داماس من اوائل الادباء المرتبطين بحركة الزنوجة • انها قصيدة تدعى « الفواق » • ليون داماس رجل ملون وليس اسود • يمكننا أن نقول انه وسط ، انه رجل اسمر من گويانا • يمكن للمرء ان يستنتج من هذه القصيدة ان جذوره الاجتماعية هي من البرجوازية الصغيرة التي تستحوذ عليها تماما فكرة الصعود اعلى في سلم اللون ، وما يرافق ذلك : سلم المقام الاجتماعي ، سلم التأثير الاجتماعي ، وهلم جرا :

عبثا ابتلع
سبع جرعات من الماء

ثلاث او اربع مرات يوميا
مع ذلك تخرج طفولتي في فواق
وتهز قوتي كما
يفعل الشرطي بالهمجي
الكارثـة
حدثني عن الكارثة ،
حدثني كبو .
ارادت امي ابنا يجيد آداب المائدة
اليدان على المائدة
الخبز لا يقطع
الخبز يكسر
خبز الرب لا يبذر
خبز عرق جبين والدك
خبز الخبز
العظم يحث بلطف وتحفظ
والمعدة اللطيفة هي التي تعرف الادب ولا تتجشأ
الشوكة ليست عيدان تنظيف اسنان
يجب الا ينفض الشخص انفه
امام الاخرين
ثم كن منتصبا
ولا تمسح الاناء بانفك

ثم وثم

وثم باسم اب

الابـــن

ذي الروح القدس

في نهاية الطعام

وثم وثم

وثم الكارثة

حدثني عن الكارثة

حدثني كيف

ارادت امي ابنا متعلما

ان لم تدرس درسك التاريخ

فلن تذهب الى القداس يوم الاحد

سلوكك يوم الاحد

يا هذا الطفل خزي للعائلة

ايهذا الطفل باسم الله

كن هادئا

الم اقل لك ان تتكلم الفرنسية

الفرنسية كما في فرنسا

فرنسية أهل فرنسا

فرنسية الفرنسية الحقيقية

الكارثـــة

حدثني عن الكارثة
حدثني كيف
ارادت امي ابنا ، ابنا لامها
(لاحظ ان « ابنا لامها » ـ اشارة الى نوع السلم الموسيقي الذي
كنت احاول اقتراحه)
انك لا تحيي الجيران
ومرة اخرى عاد حذاؤك وسخا
واذا مسكتك مرة اخرى في الشارع
في الادغال او المروج
في ظل النصب الحربي
وانت تلعب هناك
وتراكض احدا
احدا لم يعمد
الكارثــة
حدثني عن الكارثة
حدثني كيف ارادت امي ابنا
حقا دو
حقا مي
حقا فا
حقا صول
حقا تي
حقا دو

ري ــ مي ــ فا
صو ــ لا ــ تي
دو
والان لابد ان اسمع عن هروبك ثانية
من درس الكمان
البانجــو
هل قلت آلة البانجو
ماذا تقول
بانجو احقا تقول بانجو
لا يا عزيزي
يجب ان تعرف اننا لا نخضع
للبان (أي التحريم)
ولا للجو (أي الحبيب)
المولد لا يفعل ذلك
انما يتركه للزنوج[٢] .

هذا اذن الوضع الذي يحاول داماس الخلاص منه ، والتوتر الموجود في شعره المبكر ، في ديوان « الخضاب » هو التوتر بين هذا النوع من الخلفية وصعوبة ايجاد شيء آخر . هناك قصيدة اخرى له يرفض فيها المعوقات في المجتمع الاوربي :

اشعر اني مضحك عندما ألبس احذيتهم

---

2. Léon Damas, Hiccups, (trans. S. Akanji), in Black Orpheus, No. 7.

وعند لبس الياخة كأني مدخنة المعمل
وكذلك قدح الماء الحار الصغير
الذي يقدمونه لك عند العصر[٣] .

انه يرفض هذا وفي الوقت نفسه لا يستطيع ان يدمج نفسه بافريقيا لا يعرفها . انه ليس كاتبا من الكتاب الذين يتغلبون على ذلك بواسطة الخيال الدائر حول عصر ذهبي زائل اقتلع الجميع منه بواسطة الرق ـــ باعتبار ذلك وجها من اوجه النظام الرأسمالي الحديث . انه لا يريد الالتفات الى الخلف والنظر الى افريقيا باعتبارها شيئا موجودا مثل ما يشبه النعيم قبل الولادة في رحم الزمن بالطريقة التي يقوم بها بعض الكتاب الكاريبيين الاخرين في تلك الفترة وخصوصا في الثلاثينات . وعلاوة على ذلك فانه يريد ، الى حد ما ، ان يسترد نوعا من انواع وحدة الوجود ، واظن ان البحث العظيم في بواكير أدب الزنوجة ، سواء كان اتنيلي الاصل أو أفريقيه ، هو من أجل هذا النوع من الوحدة في الوجود . يدوانه ، بين حين وآخر ، يبحث عن نوع داخلي من البدائية ، غير اني اظن انها عند داماس مسألة مزاج ـــ وليست قضية مبرمجة . وانا الان افكر بقصيدة اخرى شهيرة له هي « الدمى السود » :

اعد لي دماي السود
كي اشتت صورة البغايا الشواحب ـــ بائعات الحب
غاديات رائحات في جادة ضجري المشجرة .
اعد لي دماي السود
كي اشتت الصورة الازلية
الصورة الهاذية للدمى المتحركة المثقلة بالثياب

---

3. **Black Orpheus, No. 2.**

التي تجلب منها الرياح الشقاء .
شـــكرا
اعطني الوهم الذي لن يشبع
الحاجة المكشوفة للطلبات الهادرة
تحت انفة العالم اللاواعية .
اعد لي دماي السود
كي التزم بالقواعد البسيطة لمواهبي
كي استقر في ظلال قوانينها ،
كي استعيد شجاعتي ، جرأتي ،
كي اشعر ان نفسي هي نفسي ،
نفس جديدة كنتها امس :
أمس عندما حانت ساعة الاجتثاث .
هل سيعرفون احقاد قلبي هذه ؟
في عين ارتيابي التي انفتحت بعد فوات الاوان
سرقوا مني حتى فضائي ،
تقاليدي ، ايامي ، حياتي ، اغنيتي ، ايقاعي ، جهدي ، طرقي ،
مائي ، بيتي ، ارضي السمراء ، حكمتي ، كلماتي ، نقاشي ،
اجدادي ، نعمتي الختامية ، يدي ، قيمي ، مشيي على الارض(٤).

يبدو ان القصيدة صارت ، عند هذه النقطة ، تسير في نوع من الضباب ، ويبدو ان في داخل القصيدة نوعا من الاحساس بان الدمى السود لا تضع ما

4. **Léon Damas, Black Dolls, (Limbé), Black Orpheus, No. 2.**

يبحث عنه ضمن مبدأ عام ـ وتصبح الحركة حركة تلمسية • ثم ينسحب الى الدمى السود في البيت الاخير ، «اعد لي دماي السود ، الدمى السود ، الدمى • » أظن ان قصيدة مثل هذه يمكن ان تكون قطعة من الفن البدائي المنزوي ، ان نحن تغاضينا عن غرضها الساحر • وكان ذلك ، بطبيعة الحال ، احد الجوانب الهروبية التي شهدها بعض الناس • غير اني اظن أنها تنم عن الحالة التي لعل (جينيه) خير من يشخصها في لعب دور يطرحه عليك الجنس الآخر •

يردد كثير من الناطقين بلسان جماعات اوربية منذ نهاية الحرب الاولى (التي أدت الى زوال الافتتان بالحضارة الاوربية):«انظر الى الانسان الاسود» انظر الى فرحه العفوي ومرحه ، وقواه الغريزية ، وتحرره من وجودها المفعم بالعقلانية ! » من الممكن الاستجابة الى هذا النوع من الامور كما فعل كثير من الشعراء وخصوصا في جزر الانتيل في مستهل حركة الزنوجة بقولهم : « اجل ، يحسن بنا ان تقوم بهذا الدور • لنحتفل بكل النواحي التي نختلف فيها • لنستمتع بالايقاع ، بالروح البدائية ، بطقوس المابو_جامبو، والبونكو ـ بونكو ، وكل شيء • » ويمكنك ان تجد قصائد تعود فعلا الى البونكو ـ بونكو في بعض النقاط من بنائها • غير اني لا اظن ان هذا هو الغرض الحقيقي لقصيدة داماس • انما اظن ان الغرض منها هو في الحقيقة البحث عن هذا النوع من وحدة الوجود ، ويراه فقط ، من اجل مرامي هذه القصيدة ، بلغة اعادة الدمى اليه • ولا يتوقف البحث عند ذلك الحد ، كما تبين القصيدة عند النقطة التي تبدو ، كما ارى ، انها تسقط الدمى لحظة وتستدير لتواجه هذا الوجود الضبابي المعارض الذي تتلمس طريقها خلاله سعيا وراء الشيء الذي تبتغيه •

حقا ، ان سيزير اعظم شعراء الانتيل في حركة الزنوجة هذه • وهو ايضا

في اول قصيدة له « دفتر العودة الى الوطن »(٥) يبدو احيانا انه يقدم النوع نفسه من الدور المتمم للزنجي • هذا هو العالم الابيض ، أذن دعنا نكون ذلك • ان العالم الابيض عالم سباق ، فهو تستحوذ عليه مفاهيمه الخاصة عن القوة ، تستبد به السرعة ، وهو صلب كالفولاذ ، انه كتلة ذات زوايا حادة ، وهو يبرر كل شيء ، ويجرد كل شيء • دعنا نكون كل شيء الا ما هو من العالم الابيض ، لكي تتمم العالم الابيض ونبني حضارة جديدة تماما • واظن ، مرة اخرى ، ان سيزير يصبح غير راض عن هذا النوع من الادوار — حتى ضمن حدود تلك القصيدة — لان له منهجا ضمن القصيدة لانقاذ الزنجي ، الانسان الاسود ، من فقره وفساد المجتمع الذي يعيش فيه في جزيرة مثل المارتنيك • ويبدو هذا المنهج نفسه يتحدى اساس العنصرية ، ولذلك يتحدى اساس أي فلسفة تبين ان بعض المزايا حقيقة جوهرية في جنس ، ومزايا اخرى جوهرية في جنس آخر • ان سيزير ، ماركسيا ، يفينا بالغرض على الاقل في تأمل فكرة ان التمييز العنصري في الاصل ظاهرة اقتصادية ، وانك اذا استطعت ان تتصور مجتمعا يكون فيه جميع الناس في القمة من السود — في القمة بكل ما في الكلمة من معنى (واقصد بذلك من حيث الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) — والسمر في الوسط والبيض في القاعدة ، فانك بذلك سوف تحصل على نقيض الاتجاهات العنصرية المألوفة لدينا ، نسخة بالكاربون ، ولكنها مقلوبة راسا على عقب • تلك هي وجهة النظر الماركسية الصرف • واني ، في الحقيقة ، سمعت كثيرا من الماركسيين يقولون بذلك • انه من الخطأ الشعور بالمرارة بصدد التمييز العنصري ، ذلك لانه مظهر للنظام الاقتصادي وسوف يتغير بتغير النظام الاقتصادي • اننا ، بطبيعة الحال ، نعرف ان ذلك يحتاج الى فترة طويلة من الزمان ، حتى لو اننا تقبلنا الاطروحة الماركسية • اننا نعرف ان ذلك يحتاج

5. Aimé Cesaire, Cahier D'un Retour Au Pays Natal, Paris 1939, 1956.

الى فترة طويلة من الزمان ، لان الناس تتطلب بعض الوقت ليتكيفوا وفقا للوضع المتغير • غير انني ، في الوقت نفسه ، لا اظن اننا نستطيع ان نرفض هذا النوع من الصيغة ، ويجب علينا ان ندرك ان هذه الصيغة تحوم حول حدود الزنوجة ، وخصوصا من النقطة التي يتفق فيها ، لاسباب سوقية صرف تخص الحياة السياسية الفرنسية ، كل من الحزب الوطني الافريقي الرئيس ونواب المارتنيك وگوادلوي وگويانا مع الحزب الشيوعي في الجمعية الوطنية الفرنسية •

اظن اننا نجد في تلك الفترة اهتماما خاصا بقوة الاطروحة الماركسية عن موضوع العنصرية والاقتصاد في«مقالة عن الاستعمار »(٦) ، لسيزير مثلا• بيد انني لا اظن ان سنغور ، على سبيل المثال ، مقتنع بذلك او بالماركسية تمام الاقتناع • لذلك نجده مبكرا يبحث متلمسا عن مفهوم للاشتراكية الافريقية • نوع من الاشتراكية التي ليست مجرد جزء من الشيوعية العالمية او الاشتراكية العالمية ، وانما شيء خاص متأصل في النظام الاجتماعي الافريقي ــ في طبيعة الافريقي الاصيلة ، الافريقي الزنجي ــ عبارة تتردد مرارا وتكرارا في اعمال سنغور • ذلك شيء يتميز به ، وهو ما يناسب عبقريته الى درجة استثنائية ، ويناسب المأثرة التي يقدمها للحضارة العالمية • ان الاشكال الاخرى للانظمة ستكون دوما مغايرة لخط تفكيره يجب ان تكون لديه اشتراكية افريقية على وجه التخصيص ــ افريقية فريدة في نوعها ــ تختلف عن اية اشتراكية اخرى •

اظن اننا عند بحثنا سياسة حركة الزنوجة يترتب علينا ان نتخذ قرارا بصدد هذه المسألة ، اذا كنا نريد ان نرى بجلاء اين يقف بقية الناس منها • علينا ان نقرر الى أي حد تكون العنصرية ظاهرة اقتصادية صرفا في جوهرها ، والى أي حد هي غير ذلك • وما مدى صحة القول ان هناك عداء غريزيا بين الاجناس يستند بصورة واضحة على اللون • وما مدى هذا الشيء الذي تتحكم

6. Aimé Cesaire, Discourse on Colonialism, Paris 1955.

به تماما فكرتي عن وضعك يتحكم به لونك ، لانني اصبحت متعودا على موقف استطيع فيه ان احكم على وضعك ، وقوتك ، ومركزك بالنسبة لي بواسطة لونك . اني لست متأكدا ان الكتاب الذين تتناولهم بالبحث قد اتخذوا قرارا بصدد هذه المسألة ، غير انني اظن انه يترتب علينا ان تتخذ قرارنا بصددها لكي نرى ، كما قلت ، اين يقفون فيما يتعلق بهذه المسألة .

يقدم سنغور في قصيدته « نيويورك » ، حسب ظني ، المقولة الكلاسيكية عن الرأي المتمم لدور الزنجي ، ويختتم القصيدة بالمناشدة غير المرجحة الحدوث تماما الموجهة الى نيويورك بقوله : « دعي الدم الاسود يجري في دمك » ، وانها لاشد النصائح بؤسا ، كما اظن ، قدمها انسان .

نيويورك ، اقول لك : يا نيويورك ، دعي الدم الاسود يجري في دمك
هل يمكنك تتصور الضواحي البيض تسمع تلك النصيحة اليوم ؟
لعله يزيل الصدأ عن مفاصلك الفولاذية ، مثل زيت الحياة ،
لعله يهب جسورك انحاءه الارداف وليونة المتسلقات .
والآن اعيدي اقدم الازمان ، والوحدة المستردة ، والوفاق
بين الاسد والثور والشجرة .
الفكرة ترتبط بالعمل ، والاذن بالقلب ، والرمز بالمعنى .
انهارك في خريرها تمور بالتماسيح المعطرة ، وخراف
البحر سرابية العيون .
ولا حاجة لابتكار الفاتنات المهلكات .
ولكنه يكفي ان تفتحي العيون فترى قوس قزح نيسان
وتفتحي الاذان فوق كل الاذان ، لتسمعي الله الذي خلق
من ضحكة السكسوفون السماء والارض في ستة ايام .

وفي اليوم السابع نام نومة الزنجي العظيمة(٧)

(الفاتنات المهلكات في التراث الاغريقي هن سيرين) أي فاتنـــــات لهن رؤوس نسوة واجساد طيور ، يسحرن الملاحين بغنائهن فيوردنهم موارد الهلاك • قاموس المورد)

ذلك هو المقطع الاخير من قصيدة « نيويورك » • المعنى الكامـــل للقصيدة (الطويلة جدا) هو : هذه منهاتن ، ذات الجمال الباهر لانها حادة ، ذات زوايا ، باردة ، ملفعة بالبلاستك ، تناولتها مختلف الفنون • ثم هنـــاك هارلم التي فيها ثمار عنبة الحب تتدحرج تحت حوافر خيل الشرطة ، الى غير ذلك • انه يريد ان يزاوج هذين العنصرين وينجب امريكا كاملة • ولعل جيمز بالدون يريد ان يفعل ذلك ايضا ، غير ان بالدون ، بطبيعة الحال ، لا يعبر عن ذلك بمثل هذه الجرأة :: « دعي الدم الاسود يجري في دمك • »

بلقائنا مع سنغور نلتقي ببعض الاشياء التي تحدث او قد لا تحــدث للزنوجة عندما نعود الى افريقيا الوطن • كانت هناك اشياء كثيرة جدا مشتركة بين مجموعة من الطلبة الزنوج الذين وجدوا انفسهم في باريس في الثلاثينات والاربعينات • كانوا يشتركون في الخضوع الى سياسة التذويب التي اصبحت، بعد جعلها عقلانية ودائمة ، ما يمكن ان نعتبره جزءا من القوى الفطرية المحركة للوضع ، اذا رغبنا ان نكون ماركسيين • وبقول اخر ، أن هناك وضعا حيث كانت السلطة بيد البيض وليست بيد السود مهما كانت التربية او السياسة ، سواء كانت سياسة تذويبية أم لم تكن ، ولكي تتحرك بحرية ـــ ولو بصورة نسبية ضمن نطاق تلك السلطة فانك تحتاج الى معرفة بالفرنسية ؛ تحتاج الى ان تكون قادرا على فهم الثقافة التي يتمتع بها الفرنسي والرجوع اليها • غير ان

7. **Léopold Seughor, New York (trans. Arnold Von Bradshaw, Modern Poetry from Africa, Penguin, 1963, 1965. 1966).**

نظام التربية كان تسويغا هائلا لنظام القوة هذا ومحاولة لجعله ابديا : محاولة لجعله ابديا بجعله السلسلة الوحيدة من الموازين التي يمكن بواسطتها قياس أي نوع من القيم . واصبحت درجة التقدير التقريبي «للانسان المتمدن» هي اختبار كل شيء .

كانوا يشتركون في تجربة اللون ، وكانوا يشتركون في وضع من الاستغلال النسبي بالمعنى الاقتصادي والسياسي . غير انهم لم يشتركوا في تجربة عن افريقيا ،افريقيا الحالية . افريقيا المعاصرة ، وهنا ، حسب ظني ، بدأت الزنوجة على التربة الافريقية تكتسب صفة مميزة خاصة بها . واظن انها لم تعد عالمية في وجهة نظرها ، وخصوصا في مؤلفات سنغور والمؤلفين الاخرين . ثمة توكيد شديد في ادب حركة الزنوجة في اواخر الثلاثينات على المسألة العالمية للاجناس المستغلة . وقد عبر عن ذلك ، طبعا فانون في كتابه الاخير « المعذبون في الارض »[8] . ثمة توكيد على حقيقة وجود الشيء الكثير الذي يشترك فيه الزنجي من الهند الصينية ، ومدغشقر ، وافريقيا والكاريبي. ليس الاستعمار الفرنسي فحسب بل النظام باكمله ايضا هو الدي يجعلهم خاضعين ويهدف الى جعل خضوعهم ابديا ، وهي امور متشابهة في جميع هذه الامكنة . لذلك فان برامجها يجب ان تكون متشابهة ولذلك فان ادبها وثقافتها يجب ان تمجد هذه العناصر المشتركة وهذه الشمولية التي تمكنهم جميعا ان يكونوا قوة . وبكونهم قوة سيغنون الحضارة الانسانية .

اظن أن حركة الزنوجة في أفريقيا تميل ان تكون ميدانا للمراجعة اكثر محلية ، وينشأ هذا من التأكيد على الاشتراكية الافريقية منهجا للعمل السياسي والاجتماعي . يرافق ذلك محاولة ايجاد تركيبة جديدة ، ثقافة جديدة ثقافة افريقية جديدة (كما يسميها « جان ») تدخل فيها كل عناصر الحضارة

8. Frantz Fanon, The Wretched of the Earth, trans. by Constance Farrington, Penguin 1967.

الافريقية التقليدية التي يحس انها ستكون صالحة للعالم الاتي حيث ستصب افريقيا كل ثرواتها في بركة مشتركة • واظن ، انه يمكن ان يضللنا الادعاء ان سنغور حالة خاصة بسبب تقواه المسيحية العميقة ، بسبب علاقته بالتوفيقية ، بسبب رغبته الدائمة في ابداء تلميحة الامتعاض الاولية ، تلميحة المرارة ، ووضع كل شيء في خاتمة القصيدة في نهاية منسجمة • لذا فاننا غالبا ما نقع في شعره على ظاهرة توفيقية ، ظاهرة الانسجام ، والتوكيد على الطبيعة المتممة فـي الحضارة الافريقية والاوربية • يمكن ان ندعي ان ذلك امرا خاصا لدى سنغور، غير انني اظن ان شاعرا اخر يمكننا ان نقابله به ، لاسلوبه المشرق فقط ، سيكون فعلا حالة اكثر خصوصية • انني افكر « بديفد ديوب » • فرغم كونه ينحدر من اصل افريقي ــ فهو نصف من الكامرون ونصف اخر من السنغال ــ فانه يرى افريقيا من على بعد عظيم • اظن انه شيء لا يعرفه حقيقة المعرفة ، ولـم يجربه على عواطفه • لذا فاننا نجد في كل شعر ديوب ، مع انـه كتب فـي الخمسينات ، التوكيد على حيرة الانسان الملون الشاملة ــ تحيز شامل ، نداء لوضع الحواجز امام جميع القادمين من الهند الصينية الى الكاريبي « استمعوا يا رفاق النضال عبر القرون »[٩] وغير ذلك • نجد في شعره اشارات الـى مدغشقر ، نجد اشارات الى الهند الصينية والى امريكا الزنوج ، ولا نجـد لدى ديوب هذا التوكيد على التوفيقية • لا نجد أي بيان بان الشيء الضروري هو مزاوجة ما يمكن ان تهبه افريقيا الى اوربا ، او ما يمكن ان يعطيه العالم الاسود الى العالم الابيض من اجل القيام بحضارة اكثر ثراء • النغمة في كل مكان هي نغمة الرفض ــ رفض كل ما يمثله العالم الابيض ، في صالح كل ما يمثله العالم الاسود ضمنا • انه رفض مجموعة قيم ونظام ، لصالح اخر •

---

9. David Diop, Liston Comrade, Modern Poetry from Africa, ed. Moore and Beier, Benguin 1963.

في تلك الايـــام
عندما رفستنا الحضارة في اوجهنا
عندما صفع الماء المقدس جباهنا المنكمشة خوفا
بنت النسور في ظل مخالبها
نصب النفوذ الملطخ بالدماء
في تلك الايام
دوت الضحكة المؤلمة فوق جهنم الطرقات المعدنية
وايقاع الصلاة الربانية الرتيب
حجب العويل في المستعمرات
ايتها الذكريات المرة عن القبلات المغتصبة
عن العهود التي تخرق عند تسديد البندقية
عن الاجانب الذين لم يبدوا بشرا
الذين يعرفون كل الكتب ولكن لا يعرفون الحب
ولكن نحن الذين تلقح ايدينا رحم الارض
رغم اغانيكم عن الكبرياء
رغم القرى الخربة في افريقيا الممزقة
فقد صنا الامل كأنه في حصن
ومن مناجم سوازيلاند الى معامل اوربا
سوف يولد الربيع ثانية تحت اقدامنا اللامعة[١٠] !

حسنا ، فما هو المنهج الذي يؤكد هـــذا النوع من الشعر ؟ هـــل هو

10. David Diop, The Wultures, Modern Poetry from Africa, P. 59.

اشتراكية افريقية ؟ • هل هو اشتراكية عالمية ؟ هل هو شيوعية عالمية ؟ يبدو واضحا انه غير ذلك • هل هو حضارة افريقية بديلة عن الحضارة البيضاء ؟ ازاحة واحدة واحلال اخرى مكانها ؟ مرة اخرى ، لسنا متأكدين تمام التأكد من ان الامر هو ذلك ؟ لذا فاني اظن ان ديوب شاعر غير اولئك يجعلنا نفكـــر بالذي يدافع عنه هو نفسه ، وما موقفه الخاص من ظاهرة التفرقة العنصرية ــ وليس ظاهرة العنصر (فيجب ان لا نتورط في ذلك) بل التفرقة العنصرية •

اني الان افكر في هذا الادب جميعا حتى اواخر الاربعينات واوائـــــل الخمسينات ، ادب الزنوجة هذا في موقف مواجهة العالم الابيض • ان التعبير الذي يلبسه على وجهه قد يختلف ، قد يكون تعبيرا توفيقيا ، قد يكون تعبيرا عن الكراهية ، قد يكون تعبيرا عن الرفض ، قد يكون تعبيرا عن الامل ؟ قد يكون تعبيرا عن الخيبة ، قد يكون تعبيرا عن الاسى ، غير ان الوجه نحوالعالم الابيض ، نحو اوربا •

أنا لا اريد أن انتهك حرمة أرض كلايف ويك التيأظن أنها تبدأ في حوالي عام ١٩٥٠ ، غير اني اظن اننا ينبغي ان نفكر الان في مسألة اخرى ، ما دام موضوعي هو حركة الزنوجة ، وموضوعه ليس عنها : ما مدى كون الزنوجة وليدة لحظة تاريخية خاصة ، كما بين سارتر في (اورفيوس الاسود)[11] • لقد دعاه الشعر الثوري الحقيقي لعصرنا هذا[12] (كتب ذلك قبل قرابة عشرين عاما) وكان يبين انذاك ان الشعر الثوري هو نوع من المشعل الذي ينتقـــل من يد الى اخرى • وفي تلك اللحظة الخاصة من الزمن التاريخي ، صار في يد الزنوج لانها كانت لحظة ثورتهم ، انعتاقهم ، تخلصهم من انحلال العبودية فهو يقول :

---

11. Jean - Paul Sarter, L'Orphée Noir, trans. Black Orpheus by S. W. Allen Presence Africaine, Editions Gallimard, P. 11.
12. Sartre, P. 7.

« ماذا توقعت ان تسمع عندما رفعت الكمامة عن هذه الشفاه ، هل توقعت ان تسمع الثناء والحب الذي يغمرك ؟ »[١٣] .

لفانون تعليق على ذلك . فهو يقول « لا تتوقع ان ترى في عيني غير سؤال ابدي . » لقد اقتبست تلك المقولة عن الشفاه ، غير ان سارتر يقول : « وأي تعبير كنت تتوقع ان ترى في تلك العيون بعد ان رفعت الغماضات ؟ » وهكذا . يساعد تعليق فانون ان يأخذ بايدينا حتى العصر الحاضر . هل الزنوجة ذلك ، أم أنها كما يقول (جان) ، السبيل الوحيد الصالح لكتابة الشعر الافريقي[١٤] . أم أنها مجرد مسألة من نوع القيمة المستخرجة ، كما يبدو ، من الادب ، الذي يمنح وسام الاستحسان لكل شيء يحمل رسوم الزنوجة ، ويعلن ذلك باعتباره الادب الافريقي الوحيد الصحيح ؟ أم انها شيء متغير غير ذلك ـ شيءليس وليدلحظة تاريخية خاصة،ليس الاسلوب الوحيد الصالح للافارقة لكتابة الشعر ، انما هو طريق يصلح لكتابة الشعر الافريقي ، طريق دائم التغيير لهيئته بحيث اذا ما حاولنا ان نثبتها في لحظة تاريخية ونقول « ان هذه زنوجة وتلك ليست كذلك » فاننا نقصر عن ادراك الموضوع ؟ هل هي قادرة على التطور مع الوضع المتطور ؟ هل هي قادرة على تغيير مستوطنها والوجه الذي تبديه للعالم ، ومع ذلك تبقى زنوجة ؟ حسنا ، لن أقدم جوابا لذلك السؤال لانني في الحقيقة لا اعرفه . غير انني اميل الى الرأي الاخير ، لانني اظن انه رأي اكثر اثراء ، وهو رأي يملي على الادب شيئا قليلا ، فأنا رجل يكره الناس الذين يملون اوامرهم على الادباء ـ ما يجب وما لا يجب ان يكونوا او حتى ما هم عليه .

اود ان انهي كلامي بعد ان اتخطى ، قليلا ، الحدود الكرونولوجية

13. Sartre, P. 7.

14. Janheinz Jahn, Muntu - au Outline of Neo - Africa Culture - Fabre 1961, PP. 140-55.

(أي التواريخ الدقيقة للاحداث وترتيبها وفقا لتسلسها الزمني ـ المترجم)
والقي نظرة على شاعر يبدو لي انه ـ ان كان ثمة شيء يدعى زنوجة وان كان لها أي نوع من الفعالية الجوهرية ـ يبدو لي انه شاعر يحملها قدما الى الفترة التي لم يعد وجه افريقيا متجها نحو العالم الابيض ، بل نحو نفسها ، وعندما تكون الكراهية ليست لاوربا بل للافارقة الاخرين ، من اجل ما يفعلون وما لا يفعلون ، او يفعلون لبعضهم البعض • قد يكون رفضا لبعض الاشـياء المتأصلة في المجتمع الافريقي وليس لاشياء يمكن ان لا يبالي بها احد لانهـا من استيراد القوة الاستعمارية يمكن أن يكون الامل أملا أفريقيا متميزا ، والالم ألما أفريقيا خاصا ، واظن اننا نجد ذلك لدى الشاعر چيكايا اوتامسي من الكونغو (برازافيل) • انه يكتب في ايام تمرد الكونغو عام ١٩٦٠ عندما هبط المظليون ثانية في البلاد ، وحدث صراع شديد ـ ليس بين كاتانگـا والاخرين فقط ، ولكن في مناطق اخرى ، في كاساي ومناطق مختلفة اخرى من الكونغو • كان هناك صراع عنصري من جهة وقبلي من جهة اخرى ، وغير ذلك • كان ينظر الى كل ذلك من پاريس ، وكان لا يحب لنفسه ان ينظر الى الامور من پاريس • قال ذات مرة : « اني أبصق في نهر السين مثل كل الشعراء الشرفاء »[١٥] ، غير انه ينظر الى ذلك بكامل روحه ، وكل انتباهه موجه الى الكونغو ، وما يحدث فيها ، في افريقيا ، في بلاده ـ لان هذه الحدود بـين الكونغو البلجيكية والفرنسية شيء لا معنى له ، بالنسبة لچيكايا وكثير من الناس الذين يعيشون على جانبي ذلك النهر العظيم :

لا بد انك من بلادي
فاني ارى ذلك من نبضات

---

15. Felix Tchicaya U'Tamsi; This and the following translation are by the author of this article and come from the collection published by Editions Oswald, Paris.

روحك حول الاهداب
ثم انك ترقص عندما تحزن
فلا بد انك من بلادي .

واظب على التقدم فان الزمن ينتظر من اجل اغوائنا
تعلم من هذا ان الزيت في مصباحك
هو في حقيقته دمي الذي يطفح
واذا ما فاض فلا يجب ان تشعل مصباحك
يجب أن تكون لدينا زاوية مظلمة في مكان ما
لاجل صلاتنا القديمة .

نحن جميعا من الحبل السري نفسه
ولكن من يعرف اين نستخرج
رؤوسنا السمجة
ان الصمت الطويل
الذي يفوح باليود
كثيرا ما يدمرنا
بقرارت داعرة
ولاجل ضميري الشاب
يدمرنا وحدنا .

لاحظ عبارة نحن جميعا من الحبل السري نفسه ولكن من يعرف اين نستخرج رؤوسنا السمجة » .

يبدو لي ان المشكلة في النظرية التكميلية للعلاقة بين الاجناس ، اذا جاز

لي ان الخصها بذلك الشكل ، سواء جاءت من مصدر افريقي او من مصدر ابيض ، كما يحصل مع شخص مثل لورنس فان در بوست ، هي انها تملي الدور الاخر للانسجام . فهي تقول اني اريد ان اكون هذا ، لذا يجب ان تكون انت ذلك ، لكي نستطيع كلانا ان نصنع شيئا لطيفا بشكل البيضة . اريد ان اكون عقلانيا . فيجب ان تكون انت عاطفيا . لا ، لا يجب ان لا تكون انت عقلانيا فذلك دوري ، يجب ان تكون عاطفيا ويجب ان تغذي وجودي الشاحب المفرط الذهول بعنفوان حياتك . والان ، أنا ادري ، ولكن يبدو لي اني لا اود ان يوجه لي امر بهذه الطريقة ، واظن ان جيكايا احد الناس الذين لا يمكن ان يؤمروا ولا يرغبون ان يؤمروا بالدور الذي يجب ان يقوم به . ويظل يشير في شعره الى سماجة رأسه . انه الرأس الذي يمنعه من قبل الدور الاستعماري التقليدي . انه الرأس نفسه الذي يجعل الامر صعبا عليه في قبول ما يحدث الان :

انك واقع في الفخ
فتصرف !
سوف اعطيك رأسي
مقابل خوفك المتواني من الماء
او حمم الطاعون الثائرة
من قلبي
لتضغط عورتك على شهوتي .

انه شاعر يضرب دائما على اوتار من اجزاء تشريحه . احدى صوره المفضلة انه يجد صعوبة بالغة ان يخضع للايمان المسيحي . شعره مليء بالاحساس الهائل بالام المسيح ، وغيرها كالبعث ، لكنه لا يستطيع ان يخضع لها لانه يقول انه فقري مترابط والمسيحية بالنسبة له دين لا فقري (أي تعوزه

القوة) • لذا فهناك رأسه الذي يجعله سمجا ويجعله يرفض ان يقوم بدور تكميلي ، وهناك عموده الفقري الذي يجعل الامر صعبا عليه أن يخضع • ان جميع اجزاء جسمه تصبح تدريجيا مفعمة بالحيوية في شعره بنوع من الاهمية الموضوعية من هذا النوع • خطوط يديه هي صورة النهر نفسه ، نهر الكونغو العظيم « يجري منتشرا خلال قدر يكشف الزمان » • ويختتم هذا المقطع من قصيدته :

وهكذا تتبع صراحتي مجرى هذا النهر
الى البحر لتختلط بالتيار المالح
يوزع علامات المد من البحر حتى المنبع
عند نزوة الارادة الكونغولية
ثم تجعــل
جميع زهور الماء تكدح من اجل الرحمة
وتضع نبات الرشاد الطري على مفاصل الالام العصبية
وليس الوشم على خدود الكونغوليين
بحيث يرقص حزينا
كل من يراها جميلة ،
وكذلك الكادحون
فحشي ، والمياه البطيئة ،
حزني ،
تتبع سبل هذا النهر الى البحر
اذا ترتب على العشب ان يأتي الى خدود الساقانا •
انسى ان اكون زنجيا كي اغفر

انا لن أرى دمي على ايديهم

وسوف يكافئني العالم من أجل رأفتي •

لذا فاننا لا نجد في سلسلة قصائد چيكايا هذه التي كتبها في أيام أزمة الكونغو ذلك النوع من التوفيقية السنغورية ، وانما توفيقية تمليها حاجته الخاصة للنمو ، حاجته الخاصة الى مواصلة الجريان ، لذا فانه يقول مرتين أو ثلاث مرات في هذا المقطع من القصيدة (وقد اقتبست مثلا واحدا قبل قليل) « لن ارى دمي على ايديهم ، اغفر لهم لكي اكون زنجيا • » ـ استعملت كلمة « زنجي » هنا بمعنى الكمال ، لكي يكون شخصا كاملا • انه لا يبين ان غير الزنوج ليسوا أناسا كاملين ، ولكن « لكي أكون انسانا كاملا ، سأرفض ان ارى دمي على ايديهم • »

أظن انه من الممتع ان تلقي نظرة في السنوات القليلة القادمة على الشعر الذي سيخرج من افريقيا ، وخصوصا افريقيا الناطقة باللغة الفرنسية ، لانني اظن انه يجب علينا ان ندرك ان الزنوجة قد اصبحت ظاهرة واسعة في الادب الافريقي باللغة الفرنسية • وانه لمن الممتع ان نرى مقدار ما يهبنا الكتاب انفسهم من دليل يمكننا ان نرسي عليه قرارا بصدد هذه المسألة التي عرضتها عليكم سابقا ـ ما هي الزنوجة ؟ وما علاقتها بتيار الزمان ؟ وما علاقتها بمسألة « الصفات العنصرية الجوهرية » او ، من الناحية الاخرى ، علاقتها بالصفات الجوهرية في منظمة خاصة فيمجتمع يضع عنصرا هنا ، واخر هناك ؟

- ٣ -

الثورة السياسية والثقافية

(ليوبولد سنغور ، حميدوكان ، كمارالاي ، ج ٠ پ كلارك وآخرون)

كلايف ويك

لم يكن ظهور افريقيا المثير للاعجاب شيئا غير متوقع ولا شيئا مفاجئا ٠ فقد كان لها جذورها الضاربة في اعماق النزعات الحاضرة في فترة ما قبل الحرب واذا ما عدنا الى القرن التاسع عشر ، فاننا نجد رفضا اساسيا لقبول الاحتلال الاوربي لاوربا ، متمثلا في المقاومة التي ابداها القادة امثال ساموري والمهدي٠ ومن الجلي في واقع الامر ان افريقيا لم تقبل منذ عهد مبكر السيطرة الاوربية اطلاقا ، وقد بلورت الحرب العالمية الثانية هذه الاتجاهات باضفاء وضـــوح اكثر على الاهداف المتعلقة بالنقاشات السياسية والمطامح المبكرة ، ثم اخـــيرا الاطاحة بالمستعمر الاوربي من على قاعدته العالية ٠

اثرت الحرب في تقويض سلطة قوى الاستعمار الاوربي التي كان يبدو انها لا يرقى اليها الشك في قوتها ، وذلك عندما أظهرت لهم ضعفهم وتشتيت اغلب طاقاتهم ، من اجل الدفاع عن انفسهم اولا ثم من اجل مهمة اعادة الاعمار في الوطن ٠ اشترك كثير من المفكرين الافريقيين ، وخصوصا من غرب افريقيا الناطقة بالفرنسية ، جنودا في الحرب ، فاستطاعوا ان يروا اوربا عن كثب وهي

تقاوم قوة اوربية واحدة تسعى من اجل السيطرة على جاراتها • لابد ان الاثر النفسي لهذه التجربة كان هائلا • فقد تناول سنغور هذا الموضوع بصورة مفصلة في قصائده الاولى ، وخصوصا تلك التي نشرت بعد الحرب بعنوان « الضحايا السود »[1] التي يصف فيها رد فعله لهذا الصراع باعتباره افريقيا ويستعمل العبرة المستخلصة منها من اجل افريقيا • نقلت هذه التجربة الى شعب افريقيا نفسه نتيجة المشاركة المباشرة من جانب المستعمرات الفرنسية في الاحداث •

منذ نهاية الحرب صرنا نشهد ازديادا في سرعة نيل الاستقلال في افريقيا حتى لم يبق الان سوى جنوب افريقيا وروديسيا وثلاثة اقاليم اخرى ما زالت تحت سيطرة الاوربيين • لا اريد ان اناقش الاحداث السياسية التي جرت في افريقيا منذ ان بدأت الحرب • فكل من له اهتمام في افريقيا يعرف الملامح العامة لتاريخها القريب دونما حاجة الى ان يعول على ما اقوم به من توسع فيها • على انه من الجلي ان النهضة الادبية في افريقيا ترتبط ارتباطا مباشرا باليقظة السياسية التي لعلها سبقتها واملت عليها ، كما سنرى ، شروطها على الطريق الذي سارت عليه • لذلك فسوف اهتم بالجانب « الثقافي » من عنوان مقالتي، غير اني سوف اقتصر على حدود ضيقة للثقافة الا وهي تطور ادب جديد في اللغتين الانكليزية والفرنسية • يعرف الجميع ان الثقافة يمكن تعريفها بطرق مختلفة ، واننا عادة عند الكلام على الثقافة نفكر بها بمعناها الاوسع المنطلق بطبيعة المجتمع وتعبيرها الفني ايضا وان ذلك كما هو واضح تمام الوضوح موضوع واسع ، وهو اقرب الى ميادين علم الاجتماع منه الى النقد الادبي المعاصر في افريقيا المعاصرة • وسوف اعتبر ان التطور السياسي الحديث امر أساسي ، وسوف أحاول أن أبين الى أي مدى يمكن للمرء أن يتحدث عن

1. Léopold Senghor, Hosties Noires, Seuil, Paris, 1948 (cf. Senghor, Prose and Poetry, ed. Reed and Wake, 3 Crowns (Oxford University Press), 1965, PP. 121-38).

الثورة في الثقافة بالطريقة نفسها التي يستطيع ان يتحدث من الثورة في السياسة والسلطة ، على اعتبار ان الثورة تعني قلب النظام الراهن •

لما كانت المشاركة الافريقية في الحكم بمقدار ضئيل للغاية قبل الحرب فقد كانت الكتابات الخلاقة باللغات الاوربية قليلة جدا كذلك • كان هناك كاتب كبير واحد هو جان جوزيف رابيار يفيلو في مدغشقر ، تتسم كتاباته بالغموض ، تحت تأثير الشعر الفرنسي في اواخر القرن التاسع عشر في اول الامر ، غير انه صار ينظم ، بعد ذلك ، شعرا بلغ شأوا عاليا من النجاح ، وذلك بالاستفادة من الشعر الفرنسي الحر المعاصر وربطه بالشكل الشعري في ملاگاسي المدعو (هين ــ تيني) • كان ثمة ، قبل سنغور وقبل حركة الزنوجة ، اندماج مقبول تماما قابل للتطور بين الاشكال الاوربية والافريقية ، استعمل للتعبير عن الادراك الذاتي وعن العالم الخارجي • تستحق اعمال ربيار يفيلو دراسة اكثر دقة مما حصل • غير انه بصرف النظر عنه ، فان المناقشات التي ادت الى ايجاد فكرة الزنوجة في باريس في الثلاثينات انتجت شيئا قليل الاهمية في المادة المنشورة ، بل ان اكثر « الادب » المنشور قبل الحرب كان من انتاج المبشرين، ويتناول المواضيع التي تهم البعثات التبشيرية في ذلك الوقت ، وبهذا عكس الحالة المعاصرة لافريقيا ورسم صورة الشعوب الخاضعة التي تكتب انقيادا لما تمليه ارادة المبشرين والسلطات الاوربية • وهو وضع شبيه بما يزال يطبق في داخل جنوب افريقيا وروديسيا حتى الان • في مثل هذه الخلفية التي عرضناها لا يمكن للمرء الا ان يذهله الانفجار الهائل في النشاط الادبي في السنوات الحديثة •

يحدثنا سنغور في شعره كيف بلورت الحرب رغبته ان يصبح بوقا لشعبه وسفيرا لهم ، على حد تعبيره • يفصح شعره عن الحيرة العميقة التي يعانيها كثير من المفكرين والكتاب الافارقة وهي : هل يمكن التوفيق بين الكتابة الخلاقة مع الحاجة للانهماك في العمل السياسي ؟ من اشد قصائد سنغور امتاعا

من هذه الناحية هي قصيدته الدرامية الطويلة « شاكا »[2] ، ولو انها ليست اجود شعره • ان الوضع التاريخي المذكور في هذه القصيدة محور تمام التحوير من اجل ان يناسب الحيرة التي تسعى الى تصويرها • الجواب : على الشاعر ان يدمر مصدر الهامه من اجل ان يركز على تحرير شعبه • ومما هو جدير بالاعتبار الكبير ، دلالة على الضغوط الموجهة على الكاتب الافريقي نتيجة لمكانته الاجتماعية ، ان قرار سنغور في حقيقته لم تكن واضحة جدا معالمه ، ذلك لانه استخدم موهبته الشعرية من اجل تعزيز قضية شعبه السياسية ومع ذلك فأن شدة حيرته الذاتية ونفاد بصيرته واتساع افقه الثقافي منع شعره من ان يكون مجرد كراريس شعرية • ان هذا الوضع ، بالنسبة لسنغور واكثر ادباء افريقيا ، يذكرنا كثيرا بالأدب الفرنسي ، وخصوصا الشعر منه ، ابان الحرب وبكلمات اخرى،لقد ثبت عمليا انهيستحيل علىالكاتب الافريقيالمعاصر ان يتجنب عكس التحولات الاساسية الجارية في افريقيا في ايامه ،ولميسع هو الى القيام بذلك ، حتى ولو لم ينهمك هو نفسه بالعمل السياسي • لقد اثرت التحولات ، رغم كل شيء ، بالمجتمع ايضا ، فتجد الانسان مشغولا بامور حياته الخاصة • ان هذا هو العامل ، كما بينت اعلاه ، الذي تحكم ، اكثر من غيره ، بطبيعة الكتابة الافريقية المعاصرة الخلاقة • ان المشتغلين بالسياسة ، امثال سنغور ونكروما وحتى سيكوتوري ، قد اثروا تأثيرا واضحا ، عن طريق كتاباتهم السياسية ، في الكتابة الخلاقة واستهلوا المناقشات التي لا نهاية لها حول طبيعة الشخصية الافريقية التي اضحت المسألة الرئيسة لتلك الفترة •

ان العامل المهم هنا الذي لا ينغبي ان يغيب عن البال هو وحدة الحياة الفكرية الافريقية الحديثة • لست هنا بصدد الاشارة الى وحدة الثقافة التراثية الافريقية التي غالبا ما تقدم باعتبارها دليلا على الطاقة الكامنة للزنوجة • تلك

---

2. 'Chaka' from Ethiopiques (cf. Senghor, Prose and Poetry, PP. 142 - 55).

قضية اخرى معقدة غاية التعقيد • انما انا هنا بصدد الاشارة الى المشاغل السياسية والاجتماعية والادبية المشتركة لدى الكتاب الافارقة • انها وحدة موجودة رغم اختلاف الاراء او التعبير عنها ، ورغم ان بعضهم يكتب بالفرنسية وتحت تأثير الثقافة الفرنسية ، في حين ان آخرين يكتبون بالانكليزية تحت تأثير الثقافة الانكليزية • انها وحدة تبين ان الثورة السياسية والاجتماعية هي التي الهمت الكتابة الافريقية المعاصرة الخلاقة ، هناك بطبيعة الحال استثناء واحد او استثناءات ، مثل آموس توتولا • ومن الجهة الاخرى لن اعتبر سنغور استثناءا ، رغم حركة الزنوجة ، لان افريقيا التقليدية في شعر سنغور سمة مفروضة عليه فنيا ، مثل صورة لم تلتصق تماما ، وليست الجوهر الحقيقي لاي من الهامه او سبله التكنيكية •

انها وحدة خضعت لتغير واحد مهم على الاقل في الاتجاه منذ ان بدأت المسيرة نحو الاستقلال • انه في الحقيقة تغير طبيعي للغاية • وبما انه ما زال هذا التغير فنيا فانه يمكننا ان نميز جيلين من الكتابة الافريقية • ويمكن تقسيمها الى فترتين : فترة ما قبل الاستقلال وفترة ما بعد الاستقلال • اما التاريخ الذي يعين زمن التغير فانه يختلف بطبيعة الحال ، غير ان عام ١٩٦٠ يمكن ان يعتبر تاريخا تقريبيا بالغ الاهمية • على ان هناك بعض الكتاب الذين ينتمون الى كلا الفترتين او انهم كتاب انتقاليون • وعلى العموم فان الجيلين يتميزان بالمشاغل المختلفة التي خلقها التغير في طبيعة الموقف •

كانت الفترة الاولى يسودها الكتاب الافارقة الذين يتكلمون الفرنسية • ولم يكن النشاط البارز في افريقيا التي تتكلم الانكليزية الا نشاطا ضئيلا : فلم يكن يوجد فيها شعر ذو اهمية كبيرة ، اما في مجال الرواية فليس هناك سوى الروايات الاولى لاشيب ، واكوينسي واكثر روايات توتولا • وتميل كتابات هذه الفترة ان تهتم عموما بموضوع الصراع الثقافي بين افريقيا واوربا وتجد اقوى تعبير لها لدى الكتاب المتأثرين بالزنوجة • كان هناك الشعراء

المتحلقون حول سنغور ، امثال بيراگو ديوب ، وديفيد ديوپ ، وجاك رابيما نانجارا . وكانت هناك جماعة من الروائيين غير انهم لا يدينون بشيء من الولاء للزنوجة : وهم كامارا لاي ، ومونكو بيتي ، وفرديناند او يونو . كانوا يكتبون في وقت كان يبدو اساسيا ، كما يراه سنغور ، من اجل خلق اسطورة تمنح حركة الاستقلال زخما داخليا . ولو ان الصراع الثقافي كان الموضوع المركزي لعمل الروائيين أيضا ، فانهم كانوا أقل ميلا لاستخدامه أساسا للايديولوجية الجماعية مما كان يفعل الشعراء . اما في افريقيا التي تتكلم الفرنسية فان طريقتهم كانت اميل الى الهجاء ، واحيانا الى السخرية ، منها الى الاسلوب البلاغي ، باستثناء كامارا لاي . اما مونكو بيتي فقد وجه هجاءه لكل من افريقيا واوربا ، مبينا كلا المجتمعين في حالة من الخراب ، والنتيجة النهائية هي النفور من الوضع الانساني الذي يسمو على الموضوع الافريقي المباشر . وقد وجه او يونو هجاءه الى الاستعمار بقسوة شديدة وبين كيف جعل الاستعمار شعب افريقيا غرباء عن انفسهم . لقد كانت موهبة كامارا لاي المثيرة للجدل الكثير صوفية في اساسها مستمدة دون ادنى ريب من الاسلام وراسخة الجذور في مزاجه اكثر من رسوخ المسيحية في نفوس كتاب اخرين . في افريقيا الناطقة بالانكليزية كان اشيب الذي يتمتع بقسط وافر من حدة الذهن والموضوعية العظيمة ، قد صور الاثر الاوربي في المجتمع الافريقي المرتاب بقضاياه التراثية . في الوقت نفسه اعاد توتولا سرد حكايات اليوروبا في نصوص حديثة ومجموعة في شكل روايات باللغة الانكليزية التي يتكلمها مواطنون في نيجيريا . غير ان موهبة توتولا ليس لها مستقبل ، رغم تبشيرها بالنجاح ، وذلك بمعارضة المفكرين الافارقة من جهة ، ومن جهة اخرى لانها فشلت ان تبين اية امكانية تحتمل التطور .

منذ الاستقلال فقدت الهيمنة الناطقة الفرنسية وحركة الزنوجة صانعة الاسطورة الاساس الذي تستندان عليه . فقد سكت سنغور سكوتا مطبقا ،

ولم يقل شيئا شعريا منذ الاستقلال • وبدلا من ذلك رأينا ان الكتابة المزدهرة في افريقيا الناطقة باللغة الفرنسية تفسح المجال للكتابة النيجيرية الجديدة التي تتميز في بعض الوجوه بكثرة تنوعها • وحدث هناك ايضا أنتقال في أتخاذ المواقف الحاسمة • فمن الطبيعي ان موضوع العلاقات بين افريقيا واوربا ما زال مهما ، غير ان هناك انشغالا أعظم بما يجري في افريقيا نفسه ، وحصل الى حد ما ابتعاد في الشعر الجديد في افريقيا الناطقة باللغة الانكليزية عن المواضيع السياسية والاجتماعية •

ان الزنوجة ، كما بينت سابقا ، موضوع قليل الحيوية ويبدو انه سوف يتلاشى من الميدان تماما • ولكي لا نجانب الحقيقة ، علينا ان نبين ان سنغور نفسه ، أوضح في مكان او مكانين ـ في مستهل (الحبشية) مثلا ـ ان الزنوجة اسطورة موقتة ، ضرورية في لحظة معينة من تاريخ افريقيا[٣] • وتنبأ باليوم الذي لن تكون فكرة الزنوجة ، باعتبارها الملهم للحركة ، وثيقة الصلة بالموضوع • ويمكن ان يعزى السبب الذي من اجله فقدت الزنوجة اساسها ، ولو جزئيا ، الى زوال الحاجة الى مثل هذه الاسطورة لدى احراز الاستقلال التام • اظن انه من الامور ذات الشأن ان تتوسع في السنوات الاخيرة ، فكرة سنغور عن الثقافة من الاستهلاك في افريقيا الى فكرة الثقافة العالمية • على ان تدهور الزنوجة يعزى أيضا الى تنامي المعارضة لها في أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية ، وخصوصا بين المفكرين المتطرفين من الشباب الذين يعارضون سنغور باعتباره سياسيا ورئيس دولة • يميل رد الفعل هذا ان يبين ، مرة اخرى ، العلاقة الوثيقة بين ادب افريقيا المعاصرة والسياسية • لم تضيع افريقيا الناطقة باللغة الانكليزية ، حيث لم تكن الفكرة هذه شائعة بين عامة الناس ، اية فرصة في النحيب على توقف الفكرة عن النشاط • وما زال كثير من النشاط الادبي في افريقيا الناطقة بالفرنسية ، غير انه ليس من الوزن نفسه الذي كتب

3. Postface to Ethiopiques, Seuil, Paris, 1961.

في اوائل الفترة او ما يكتب الان في افريقيا الناطقة باللغة الانكليزية • يجب اعتبار شيكايا اوتامسي ، طبعا ، استثناء مهما ، وكذلك رواية حميـــدوكان الرائعة (الرحلة الغامضة)[٤] • لقد كتب سمبين عثمان ، الغزير الانتاج ، المتفاوت الجودة ، رواية ممتازة (اطراف غابة الله) ولكنها رغم نشرها عام ١٩٦٠ ، فانها في الحقيقة تعود الى فترة اسـبق • وقد سكت مونكو بيتي واويونو ، اما كامارا لاي فيبدو كتابه الاخير (حلم افريقيا)[٥] تحت مستوى الاثنين السابقين له • ان التدهــور العام في افريقيا الناطقة باللغة الفرنسـية ــ الذي نأمل ان يكون قصيرا ــ قد يعزى الى هذه الحقيقة وهي ان الكتاب الافارقة الناطقين باللغة الفرنسية قبل عام ١٩٦٠ قد انشغلوا بمشاكل ما قبل الاستقلال واعلان الزنوجة بحيث وجدوا انه لم يبق لديهم ما يقال ، بعد ان أنجز الاســتقلال • لقد زال المحفز الاول ولم يكيفوا أنفســهم الى الوضع الجديد • يبدو لي انه حتى شيكايا اوتامسي له جذوره الخاصة التي تمتد في الفترة السابقة من ناحية المضامين والاسلوب الذي يستمد عمله من قوته ، مثل سنغور ، من التعبير القوي عن التجربة الذاتية •

لم يكن شعر ما قبل الاستقلال في افريقيا الناطقة بالانكليزية شعرا جيدا للغاية ، ولم يكن كذلك ملهما ، بل اعتمد كثيرا على اشكال الشعر الانكليزي المهجورة • على انه ، منذ الاستقلال ، برز عدد لا يستهان به من الشــعراء المجيدين ، وخصوصا في نيجيريا : وول سوينكا ، ج•ب• كلارك ، كرستوفر

4. Hamidu Kane, L'Aventure Ambiguë, Julliard 1962.

5. Camara Laye, Dramouss, Librairie Plon 1966 (trans. as A Dream of Africa, Collins 1968).

اوكيگبو ، گبرائيل اوكارا ، لينري بيترز ، وجورج اوونر ــ وليمز • تستند اشكالهم الشعرية على اشكال الشعر الانكليزي المعاصر ، وتنهج نهج الشعر الحديث في اوربا الغربية ، وان كتاباتهـم لهي تعبير عن المدركات الحسـية والعملية للعالم اكثر من كونها مجرد وصف ، كما كانت الحالة سابقا • استمر اشيب على الكتابة وهو بصدد اخراج اعماله الكاملة • لقد وجه اهتمامه الى أفريقيا اليوم بدلا من أفريقيا الامس ، ولو ان عقد مقارنة بين روايته الاولى « الاشياء تتفكك » وروايته الاخيرة « رجل الشعب » تجعل المرء يتسـاءل فيما اذا كانت الصفات الخيالية المطلوبة من اجل تصوير بيئة في الماضي تؤدي الى رواية افضل من مادة علاقات الوئام ، مهما كانت نبوئية مذهلة ، دخلت في عمل كتابه الحديث • جيمز نكوكي كاتب شاب يسعى من اجل ايجاد عمل ثمين ، لا ريب انه ممثل جيل الشباب الذي ينتظره مستقبل مرموق •

يظهر من تعليقي على رواية اشيب الاخيرة ومن تجربة الزنوجة ، ما يمكن ان يكون مسألة حيوية تواجه الادب الافريقي المعاصر : هل الادب الافريقي منهمك في الوضع الراهن لافريقيا بحيث ينسى مستقبله كأدب ؟ يعيدنا ذلك الى المسألة الحساسة عن حفظ التوازن بين التقييد والابداع • يمكن للتقييد ان يكون خلافا مبدعا بالمعنى الادبي ، غير انه يمكن ان يدمر الابداع • وبمعنى آخر : هل سيكون الادب الافريقي في الحاضر والماضي القريب من النـوع الذي يهم عالم الاجتماع والمؤرخ فقط ، أم المؤرخ الادبي الاكاديمي ؟ انه حتى في الوقت الذي يلقي اهتماما كبيرا من علماء الاجتماع يبدو امرا منذرا بسوء بالنسبة للناقد الادبي • الخطر، أساسا، يتمثل بوجود اغراء جدي للكتابة للتأثر كثيرا بالمظاهر الزائلة في الحاضر ، مما يجعل الكتابة المبدعة اداة للثـورة

السياسية • وتفشل في جعل جذورها تمتد اعمق في تربة اكثر سخاءا من اجل احداث ثوريتها الخاصة ، ولو انهما متماثلان • الادب ، أي ادب ، مهما كان عظيما ، يصبح ، لا محالة ، عتيقا في بعض الوجوه ، غير ان كثيرا منه ، ولعل اغلبه ، سرعان ما يصبح عتيقا ويغوص في ثنايا النسيان لانه يعتمد كثيرا على الملامح الخارجية للحظة التاريخية • وشعر المقاومة الفرنسية خير مثال على ذلك ثم ان الانشغال بالمضامين واهمال الشكل ، والفشل بهذا في الاهتمام بتوطيد التراث ، لضعف خطير ايضا • يبدو لي ان وول سوينكا ، من بين جميع كتاب افريقيا في الوقت الحاضر ، يمتلك اصدق الاحساس لما هو ضروري • انا افكر بمسرحياته عموما ، اما روايته (المترجمون) ولو انها قد تكون غير ناجحة تمام النجاح ، تعد جزءا من نفاذ بصيرته في مجمل احتياجات الادب ، وخصوصا الادب الافريقي • تبدو لي مسرحياته راسخة الجذور في افريقيا الماضي ، والحاضر والمستقبل المعقدة في افريقيا ستظل محافظة على سماتها الافريقية رغم ما خلفته فيها اوربا من اثار لا تمحى ـــ وهو مهتم في الوقت عينه ـــ كما كان اشيب في روايته الاولى ، بالمضامين العالمية المتعلقة بالوضع البشري بطريقة تتخطى زمان ومكان الاحداث المعاصرة في مؤلفاته •

ان الزنوجة ، باعتبارها بحث عن الجذور الثقافية الافريقية ، لم تنجح في الحقيقة في هدفها ، حتى ولو انها نجحت باعتبارها اسطورة سياسية موقتة• وظلت ، حتى شعر سنغور (الا على مستوى الحنين الى الماضي) نظرية فكرية • واعترف بالصعوبة البالغة على الاوربي ان يحكم على ذلك • وقد عرض ج • ب • كلارك وجهة نظره في مقدمته لـ « قصبة في التيار » : كيف يستطيع المرء ان يتحدث عن الاوزان الشعرية العامية أو يستبينها ، وكذلك المؤثرات والمصادر الحقيقية والخيالية في اعمال المؤلفين الافارقة المبدعين في

اللغتين الانكليزية او الفرنسية ما لم يكن المرء متضلعا في لغة ذلك المؤلف العامية[6] ؟ المعنى الضمني هو ان الناقد الافريقي فقط يستطيع ان يكتب بذكاء عن اساليب الشعر الافريقي الحديث في اللغات الاوربية ، حتى انه يجب ان يسير حذرا ان هو تكلم بلهجة عامية تختلف عن لهجة الشاعر . كأنك تقول ان القاريء الانكليزي لا يستطيع حقا ان يقدر النقاط الرائعة في الشعر الامريكي . يبدو لي ان نجاح سنغور شاعرا يكمن في كتابته شيئا من الشعر الرائع جدا . ان شعره مهم لاسباب تاريخية ، باعتباره معبرا عن اليقظة الافريقية ، غير انه سيظل ادبا ويسهم في رفد الثقافة الافريقية في المستقبل ، وكذلك تحقيق حلم سنغور في الحضارة العالمية لانه شعر ذاتي جيد للغاية ، وليس لان اوزانه قد تكون افريقية او قد لا تكون . يعبر شعره عن الوضع الافريقي الحديث في برهة معينة من تاريخ افريقيا ، ومع ذلك فهو تجربةتفوق زمانها ومكانها الراهنين . اما سوينكا ــ الذي ينم عمله عن لا ذاتية اكثر ــ فانه يسير خطوة ابعد من ذلك . وشأنه شأن سنغور تتخطى مضامينه الحاضر ، بينما هي في الحقيقة جزء منه ، غير ان لغته الشعرية اكثر حيوية لانها تستند على انكليزية افريقيا وليس على النقل البطيء للخصائص اللغوية الافريقية الى اللغة الاوربية ، وهي الفكرة التي كانت تكمن وراء الزنوجة . ان مساعي الزنوجة تذكر المرء ، بعد اجراء جميع التغييرات الضرورية ، بشعراء كوكبة الثريا الفرنسيين في القرن السادس عشر الذين حاولوا محاولة مشابهة لتوطيد ثقافة قومية عند سعيهم لابتكار مصطلح شعري متكلف .

---

6. J. P. Clark, A Reed in the Tide, Forum Series, Longmans 1965, P. VIII.

يأتي عمـل سوينكا في مستهل كتابة افريقيـة اصلية ، لانه يكتب مسرحيات هي في حقيقتها مسرحيات وليست تاريخا او علم اجتماع ، دون ان تعرقلها الشروط الايديولوجية (النظرية الفكرية) ، ولعله لم يثقلها « بالروح الافريقية » • لقد بذل ازيكيال مفاهليل جهدا عظيما كي يلفت الانتباه الى ان احد الاخطاء الرئيسة للزنوجة هو الاعتقاد بان الثقافة يمكن برمجتها في مجتمع حر[٧] • انها من العسير انجازها في مجتمع استبدادي • لا مفـــر لافريقيا ان تنتج ادبا افريقيا متميزا ، سيكون جزءا اساسيا من ثقافة عامة • وسيكون ،كما يقول سنغور ، مزيجا من افريقيا واوربا ، غير ان نسبة لا يمكن ان تقاس او تستقطر كما يحصل في انبوبة الاختبار ، حسب ما تلمح الزنوجة بذلك • ان عملية التكامل ــ حسب تعبير سنغور ــ ستكون غامضة وستكون نتيجتها لا يمكن التنبؤ بها • يجب ان تتقبل مبدأ النمو وبمرور الزمن ، ولدى استقرار افريقيا بعد التحولات السياسية النشيطة الخارقة التي تكاد تكون ساحقة في السنوات الحالية ، سينبثق نوع جديد من الادب ، بالطريقة نفسها التي تنبثق الآن آداب جـديدة في اســـتراليا وكنـدا ، وكما ظهر أدب جديد في الجيلين او الثلاثة اجيال الماضية في الولايات المتحدة • في مثل هذه النقطة سيخرج الادب الافريقي مستقلا في ذاته ، وما نجده الان من نشاط شديد سيرى مراحل اولية لتوطيد التراث • ثمة ادب شبيه بالادب الافريكاني الذي ظهر في جنوب افريقيا في منعطف القرن نتيجة للمطامح القومية وقد بلغ الان نوعا من النضج •

ان مستقبل الادب الافريقي يرتبط ارتباطا طبيعيا بتطور تأريخ القارة ، غير انه توجد عوامل اخرى تؤثر في المسار الذي سيتخذه •

---

7. Ezkiel Mphahlele, The African Image, Fabre, 1962 (cf. Chapter 2, PP. 25-40).

اولا ، هناك مشكلة اللغة ، وهي مشكلة قديمة جدا في افريقيا وما زالت مشكلة عصية للغاية . فما هو ، على وجه الخصوص ، مستقبل اللغات الاوربية في افريقيا ؟ هل ستحل اللغات الافريقية محلها في كل مكان او في اجزاء فيها ؟ وما تأثير ذلك في الادب المبدع في البلدان المعينة ؟ قبل الاستقلال ، مثلا ، كان هناك ادب جزائري ممتع باللغة الفرنسيه ــ ويخطر على البال ، من بين كتاب اخرين ، محمد ديب ومولود فرعون . لقد جف ذلك الادب، تماما منذ الاستقلال ، وصار الكتاب يستعملون اللغة العربية وسيلة لهم . ويعد امرا سابقا لاوانه سؤالنا عن الوجهة التي ستتجه اليها الكتابة الجديدة ، غير انه بكل تأكيد ستتأثر بصورة جوهرية بالتراث العربي الذي رغم كل شيء تتمثل فيه العراقة والثراء . على انه يبدو امرا محتملا في اغلب اجزاء افريقيا بقاء اللغة الاوربية المحلية لغة رئيسة للاتصال ولذلك ستكون وسيلة رئيسة للتعبير الادبي . على أنها سوف تخضع الى تغير لا مفر منه ، كما حصل مثلا في امريكا الشمالية حيث لا يوجد تأثير اضافي مختلف كلية عن اللغات الام . هل ستصبح هذه اللغة بكل خصوصياتها في البنية والمزاج ، اللغة الادبية ، أم أن الكتاب سيفضلون استخدام اللغة الانكليزية او الفرنسية « النقية » مخلدين بذلك أثر الثقافة الاوربية وموسعين الصدع بين الكاتب واغلبية المواطنين ؟ ومن الامور التي تدل على مستقبل الاختيار الذي سيتم في حقل اللغة ، ان يرفض اموس توتولا على أساس لغوي ،رغم ان الاسباب التي أدت الى هذا الرفض قد لا تصح في المستقبل . ان الاختيار مسألة صعبة الى حد بعيد ، بل هو اصعب بكثير مما يبينه قولي المبسط هذا . سوف يحين وقت الاختيار عندما يتوقف *الظهور* الاستثنائي للادب الافريقي الحديث عن كونه (مودة) تنشرها اوربا كما تذيعها افريقيا ويرسخ حالة بسيطة من الحضور كأي أدب آخر .

هناك عوامل سياسية مهمة تؤخذ بنظر الاعتبار ومن اهمها مشكلة

مستقبل وحدة افريقيا . فاذا توحدت افريقيا ، وخصوصا وحدة شاملة ، فان الكتاب سيميلون الى تأكيد ما هو مشترك في ارثهم الثقافي . ولعل اثر ذلك سيكون انتاج لغة ادبية مشتركة ، مهما كانت الخصوصيات المحليــة ، وان الوحدة الموجودة في ذلك الوقت والناتجة من المشاغل السياسية المشتركــة ستستمر وتتحول في نهاية الامر الى أسس اكثر صلابة . واذا لم تتوحد القارة *في وحدة شاملة واذا حدث ما* يسميه *الافارقة الناطقون الفرنسية* بالتقسيمات *المتناحرة في افريقيا* ، فلعل النتيجة ستكون ، كما في اوربا ، عدد من الثقافات القومية المترابطة ولكنها مع ذلك مستقلة . سيصبح الادب النيجيري اكثـر نيجيرية ، وسيصبح الادب السنغالي اكثر سنغالية وهكذا . ومن وجهة النظر السياسية في عالم يميل اكثر فاكثر الى خلق وحدات اوسع ، فان الانقسامات المتناحرة ستكون غير مجدية للغاية ، ولو انه يبدو كأن ذلك هو ما قد نحصل عليه . اما من وجهة النظر الثقافية ، يمكن ان تكون الانقسامات اكثر تحفيزا وابداعا ، كما حدث في اوربا ، وتلك عبارة منطوية على تناقض ذاتي تبدو لاول وهلة صحيحة . لعل احسن النتائج ستكون في مكان ما بين هذيــن الطرفين النقيضين ، لتخلف « *الوحدة المتنوعة الاشكال* » *التي حلم بهــا* سنغور ، *ولو انه يراها في ثقافة افريقية واحدة تحتل مكانها بين ثقافات العالم الاخـــرى* .

واخيرا فان هناك المشكلة المعقدة للدور الذي ستلعبه الثقافة الاوربية في القارة في المستقبل . ولعل الصلة ستكون اكثر ضعفا في الاقسام الافريقية التي تتكلــم الانكليزية من تلك التي تتكلم الفرنسية ، اذا ما اعطيت طبيعة السيطرة الاستعمارية السابقة واستئنافها في اشكال غير مباشرة . في جنوب افريقية ، حسب قول ازكيال مفاهليل ، انصهر الافريقي تماما بواسطة الثقافة

الاوربية[٨] • ويفسر هذا الى حد ما معارضته للزنوجة • ولكن حتى في جنوب افريقيا ، فان استبدال بنية التمييز العنصري بحكم الاكثرية الافريقية قد يؤدي الى تحول مختلف تمام الاختلاف بمرور الزمن •

لذلك فقد حصلت ثورة سياسية هائلة في افريقيا منذ الحرب الاخيرة ، وازدهار غير متوقع مثير للاعجاب في الادب الافريقي • لقد قلبت البنى السياسية لما قبل الحرب واستبدلت باخرى جديدة، وحيثما كان يسود الصمت ذات مرة ، فأنك واجد نشاطا ادبيا عظيما • لقد كان التحول السياسي والفكري تجربة مثيرة ، وخصوصا لاولئك الذين يشهدونها ويشاركون فيها من الداخل ولكنه رغم وضوح الامر بوجود الثورة السياسي ، فهل يمكننا ان تتحدث بالطريقة نفسها عن *الثورة الادبية* ؟ من *السهولة ان نحول ذلك الى لعب بالالفاظ* ، لذا فمن المهم ان ننسى الالفاظ *لحظة* ونركز على معنى *ما حدث* • لقد قلبت البنى السياسية ، ولم ينته النضال من اجل ايجاد بنى جديدة لحد الان ، الثورة مستمرة من الناحية السياسية • ولكن هل يشكل ثورة ذلك الادب الذي يصاحب ، في المقام الاول ، الثورة السياسية ، وكذلك ظهور النشاط الادبي (المكتوب) حيث لم يكن له وجود سابق ؟ نعم يفعلان ذلك ، الى حد ما ، غير انه يبدو لي ان الثورة الثقافية ما زالت في مستهل قيامها ، ولانها عملية تطور بطيء ، فانها سوف تظهر قبل ان يدرك المرء ما جرى •

ان الادب الافريقي المثير في واقعه ، الممزق في الوقت الحاضر بين افريقيا واوربا ، ليس الا بشيرا بشيء هام له شأنه وشيك الظهور • ان اكثر ما كتب في السنوات الراهنة سوف يسرع اليه القدم ويبدو ، اخيرا ، لا علاقة له بالموضوع ، عدا عن كونه وثائق تاريخية واجتماعية • قليل من الاثار

8. Ezekiel Mphahlele, The African Image (cf. Mphahlele, Down Second Avenue, Seven Seas, Berlin 1962. N. B. Ch. 22, PP. 186-222).

الكلاسيكية ، ومنها اوائل التراث ، سوف يكتب لها البقاء ولعل من بينها مؤلفات سنغور واشيب سوينكا . ولا يختلف الوضع عن شعراء المقاومة الفرنسية . فقد الهموا نظم مقدار كبير من الشعر المؤثر باسلوب ميسر ولكن يبدو اكثره منعزلا ركيك الصنعة ، عدا مؤلفات قليلة لكتاب امثال اراكون والوار ورينيه شار ، في حين نشأ شيء جديد تماما في حركة التحرير ، واكثر متانة لانه لم يعد يشبه ادب المناسبات العارضة . الاحكام العامة من النوع الذي اطلقته ، وخصوصا هذا الاخير ، انما هي بطبيعة الحال قابلة للمناقشة، لا بل هي خلو من الدقة . لكنني اتخذت هذا الاسلوب عامدا من اجل التأثير على الحاجة الخاصة بالنظر في الادب الافريقي المعاصر وفقا لاهميته النسبية ، حتى من ناحية العمل الفعال . يبدو لي ان هناك انهماكا خطيرا في الادب الافريقي الراهن . وان ما قلته لن يقلل من شأن الانجاز الرائع حقا في السنوات الحديثة الذي قام به الكتاب الافارقة . ومع ذلك فان مجمل ما يكتب في أي عصر وفي اي بلد سيكون مآله ان يترك في المؤخرة ، انما الشيء الاساسي هو ان الجيل استطاع التعبير عن وعيه الذاتي . ولكننا اذا تحدثنا عن الثورة الثقافية ، فانه يترتب علينا ان تتذكر ان الثقافة شيء ، ثوري او لا ثوري ، يبرز في كل اتجاه في حينه وان التراث يبتكره اولئك الكتاب الذين يتخطون الحاضر .

- ٤ -

الهجاء في نيجريا

(شينوا اشيب ، ت .م . الوكو ، وول سوينكا)

جيمزنكوكي

يحتل الهجاء مكانا له في المجتمع ، والنقد غرضا له . ويضع كاتب الهجاء لنفسه قواعد معينة وينتقد المجتمع حين يحيد عن هذه المعايير . وهو يدعونا ان تتبنى قواعده ونشارك النقمة المعنوية التي تدفعه من اجل ان يصب سخريته وضحكه على عيوب المجتمع . فهو يقوم بالتصحيح عن طريق الضحك المؤلم ، الماكر احيانا .

فاذا شئنا ان تناقش أي كاتب هجاء ، علينا اذن ان ننظر اليه وهو في محيطه الاجتماعي والسياسي واذا ما تناولنا الوكو وسوينكا ، فان هذا يعني اننا نتفحص افريقيا المعاصرة وخصوصا نيجيريا . الاستقلال ، بطبيعة الحال ، السمة الاشد وضوحا في المسرح الافريقي الراهن . (ولو ان هناك انكولا وموزمبيق وزمبابوى ، وجنوب افريقيا حيث ما تزال حكومات عنصرية تستعبد السكان السود) ــ (يلاحظ ان الكتاب نشر عام ١٩٦٩ قبل ان تخرج بعض هذه الدول من ربقة الاستعمار . المترجم) ــ يحدد د . فيلب ميسن في كتابه (سحر بروسبيرو) الادوار الثلاثة للثورة على الاستعمار : القبول ، المنافسة والتحدي ، والازمة . يستعمل اصطلاحات فرويدية وشبه فرويدية ليفسر العنصرية والاستعمار تفسيرا نفسيا ، غير انه يغفل عن الاسباب الاجتماعية والاقتصادية تمام الغفلة .

تأتي فترة القبول بعد ان يكون شعب البلاد الاصليون قد غلبوا على امرهم • وتشكل المؤسسات الاقتصادية والسياسية بما يناسب السلطة في المدينة الرئيسة في المستعمرة • والهدف من ذلك خلق المواطن السهل الانقياد ـ أي مصدرا طوعيا للمادة الخام والعمل الرخيص • وان لم يكن طوعيا راغبا في العمل ؟ هناك يأتي دوما دور الشرطة والجيش من اجل القيام بتهدئة الاوضاع • لذلك فعن طريق الخوف من الانجيل أو السلاح ، يتصرف المواطن باديء ذي بدء وكأنه تقبل الوضع الراهن • تحاول المؤسسات التربوية ـ وتذكروا الكنيسة ـ ان تقوي ايمانه بالوضع الراهن • فالمواطن لوحة نظيفة يمكن كتابة أي شيء عليها • وتراه عرضة لوابل متواصل من التلميحات القائلة بان الثقافة الغربية هي الكل في الكل • وقد بلغت فرنسا شأوا ابعد من بريطانيا حينما ارادت أن تخربش على ذلك اللوح الاسود من أجل ان تغطي جميع السطح الاسود بطباشير الثقافة الفرنسية • غير ان بعض اسلحة الاحتلال ، كالتعليم مثلا ، ذات حدين • فيراقب الشعب مؤسسات الاسياد ، ويلاحظون نقاط الضعف فيها : التفاوت بين المثل المدنية العليا وبين التطبيق ، بين النفوذ الاقتصادي للاقلية من المستوطنين البيض ، وبين الاكثرية السوداء • فيشعر الفلاحون وعمال المدينة بوطأة الضرائب الباهضة وقسوة الظروف المعاشية المروعة •

والان يحل التحدي محل القبول • فتكون الجماهير في حالة من التململ فالقادة القوميون ، الذين ينتمون عادة الى الفئة المثقفة الصغيرة ، ينظمون سخط الجماهير الى سلاح يوجه الى حناجر الاسياد • « اذهب لفرعون وقل له ، دع الشعب يسير • » غالبا ما تطالب الصفوة القومية بالاستقلال بلغة المثل العليا الغربية نفسها التي تدرس في المدارس والجامعات الاستعمارية • يقول كاليبان لبروسبيرو في العاصفة : انت علمتني اللغة وكانت فائدتي منها معرفتي

كيف اشتم الاخرين[1] • فيتهم بروسبيرو ذلك المواطن بنكران الجميل : وضعه العاطفي هو وضع امرىء جريح في معتقده بانه اقوم من غيره • « لقد اشفقت عليك ، وقاسيت كثيرا من اجل ان اجعلك تتكلم ، وعلمتك كل ساعة اشياء واشياء • » وسرعان ما ينسى بروسبيرو انه لم يحتل جزيرة كاليبان ويستولي على ممتلكاته فحسب ، وانما جعل كيلبان اداة اقتصادية له • وقد افضى بروسبيرو الى ابنته بقوله : اننا في الحقيقة لا نستطيع ان نفقده : فهو الذي يشعل نارنا ويجلب لنا الحطب ، ويخدمنا في مجالات تنفعنا • » لاحظ ان النخبة القومية والادارة الاستعمارية في هذه المرحلة يتخاصمون ويتكلمون لغة يفهمها الطرفان ــ حقوق الانسان ، حرمة الملكية الخاصة ، الخ •• في حين يطالب العمال والفلاحون حولهم بالمأكل والملبس • واخيرا فان النخبة القومية تستولي على السلطة اما عن طريق العنف كما في كينيا أو عن طريق سـلمي • كما في نيجيريا ، ولكن بعد ان تكون قد عاهدت على احترام قيم بروسبيرو •

ماذا يعني هذا الاستقلال ؟ بالنسبة للفلاحين وعمال المدن ، هذه فترة تحرر من الوهم التدريجي • فلم يعد الاستقلال لهم ارضهم وما زالوا دون مأكل وملبس • ولكن بفارق هذه المرة • فانت ترى ، ان الحقائق الاساسية كانت قد خططت بجرأة ووضوح : وقد حصرت جميع الصراعات في قطبين متناقضين : الابيض يعني الثروة والسلطان والامتيازات ، الاسود يعني الفقر والعمل والعبودية • صرح القادة القوميون : «اذا رحل الرجل الابيض فان الاسباب الجذرية لمشاكلنا تزول » • تزول ؟ ليس ذلك بالضبط ! فما زال الفلاحون والعمال يكدحون ويحملون الخشب ، ولكن هذه المرة من اجل ما يسميه الوكو « الرجل الابيض الاسود » • فمن يكون كبش الفداء هذه المرة ؟ تزيغ النخبة القومية عن نفسها الضجة التي لا تهدأ من أجل ظـروف معاشية افضل بواسطة اثارة الوعي القبلي : قبيلة اليوروبا تلقي اللوم على

1. Act I, Scene ii.

الايبو المغامرة ، والايبو تلقي اللوم على الهوسا غير المتعلمة ، والهوسا تلقي اللوم على ابناء الجنوب الماكرين • ان الوعي الطبقي الذي يفوق الانقسامات القبلية والعشائرية سيجعل العمال والفلاحين يدركون انهم جميعا في مأزق مشابـه •

على ان الاستقلال هبة بالنسبة للنخبة ، راية الذين يتمسكون بوظائف في الخدمة المدنية ويتنافسون ويصطدمون من اجل الحصول على اماكن في هيئات الادارة لجميع الشـركات الاجنبية ـ شـيل ، آي • سي • آي • يونيليفر ، اتحاد منيير ، المصارف الانكلو امريكية وهيئات التعدين ـ التي تدير فعلا اقتصاد البلاد • ويتمتعون بالمنازل الريفية والسيارات ومكائـن الغسيل واجهزة التلفزيون وجميع المواد الاستهلاكية المتينة التي ترتبط بالطبقة الوسطى المولعة بالاكتساب •

لقد احسن شينوا اشيب في روايته « رجل الشعب »[٢] تخطيط المثل النموذجي للبرجوازية الناشئة لو كنت قرأت الرواية لتذكرت ان نانگا ، هو وزير الثقافة غير المثقف ، الفاسد في نظام فاسد لدولة افريقية مستقلـة حديثا • في بلد يعيش اغلب فلاحيه وعماله في اكواخ ولايملكون الا الدلاء مغاسل لهم •

يعيش الوزير في قصر فخم فيه سبعة حمامات فيها سبع دورات ميـاه صقيلة ذات مياه جارية ، ويسعى من اجل تعبيد الطرق ، ولكن فقط عندما توشك سياراته الحافلة استعمالها • زودته بالحافلات الفارهة شركة بريطانية مندمجة بشروط مثالية جدا • والانتخابات مهزلة ديمقراطية تسود فيها الرشوة واللصوصية والقوة الوحشية ، مع تسـتر المصالح التجاريـة البريطانيـة وتعضيدها المالي ، من أجل مساعدة نانگا ورهطه للعودة الى السلطة دون معارضـة •

2. Chinua Achebe, A Man of the People, Heinemann, 1966.

تلك هي ، لأسفي الشديد ، حقائق المجتمع الافريقي المعاصر • فكيف استجاب لها كل من الوكا وسوينكا ؟

ولد ت • م • الوكا عام ١٩١٨ • وبعد ان درس الهندسة المدنية وتخطيط المدن في لاكوس ولندن ، عين مديرا للاشغال العامة في غرب نيجيريا • ظهرت روايته الاولى « رجل واحد ، زوجة واحدة »[٣] عام ١٩٥٩ • تتناول التصادم بين المسيحية ــ دين الرجل الواحد ، الزوجة الواحدة هذا ــ ونظام تعــدد الزوجات • تضارب القيم هذا الذي ساد جميع انحاء افريقيا كان موضوع كثير من الروايات الافريقية ، وكان افضلها رواية اشيب «الاشياء تتداعى»[٤] اما الوكا ، على نقيض اشيب ، لم يقبض بصورة بارعة الخيال على تعقيدات الصدام بين الجديد والقديم • نالت روايتــه الثانية (رجل واحد ، مديــة واحدة)[٥] نجاحا اكثر وقد ظهرت عام ١٩٦٤ • شخصياتها صور هجائيــة للمواقف المقولبة ، غير انها مفعمة بالحيوية • تجري القصة في الطور الثاني الذي تحدثت عنه : يتململ الفلاحون ويتمردون عندما يقودهم عمال المــدن ويتحدى القادة الوطنيون السلطة الاستعمارية • انها الفترة التي يحــاول البريطانيون فيها شراء تعاون البرجوازية المنبثقة حديثا • يعبر موظف المنطقة المتقاعد في الرواية عن ذلك بهذه الطريقة : « ستتذكر الفكرة الاساسية لمقرر ولتشاير التعليمي الثاني للسنة الماضية • يترتب علينا في كل ما نعمله ان نحمل معنا اهل الفكر »[٦] • يصاب الكاكاو ، الحاصل الرئيس الذي يدر المال على نيجيريا ، بمرض لا يعرف علاجه • يقدم موظف زراعي اوربي وصل حديثا من انكلترة النصيحة لاجل انقاذ الحاصل من الدمار بان تقطع كل شــجرة

---

3. T. M. Aluko, One Man, One Wife, Heinemann, 1959.
4. Chinua Achebe, Thirgs Fall Apart, Heinemann, 1958.
5. T. M. Aluko, One Man, One Matchet, Heinemann, 1964.
6. One Man, One Matchet, P. 10.

تظهر عليها اعراض المرض • وتتمزق القرية بين اولئك الذين يريدون الاستجابة لقرار الحكومة وبين اولئك الذين يودون الدفاع عن « شجرة الثروة » • يعبر احد المعارضين الحائرين عن اراء جميع الاخرين بطرح سلسلة من الاسئلة البليغة التي تثير الشكوك :

« اشجار الكاكاو مصابة بمرض ، اتسمعون هـذا كلكم ؟ اتسمعون كلكم ان الاشجار مصابة بمرض ؟ الا يصيب المرض الانسان نفسه ؟ الا يقتل الموت الانسان نفسه ؟ الا يصيب المرض الانسان الابيض نفسه ؟ الا يموت الانسان الابيض في يومه الموعود ــ وهل يستطيع اخـوه الطبيب الابيض انقاذه ؟ لم يستطع احد انقاذه لان يومه الموعود قد حان • الم يعاهد ربه قبل ان تحمله امه وتلده ان يعود اليه في اليوم الموعود ؟ هل يستطيع امرؤ ان يغير يومه الموعود ؟•••ايستطيع الرجل الابيض بكل ما اوتي من علم ان يغير ذلك اليوم الموعود ؟ اذا كنا لا نملك ان نمنع انسانا من الموت فلماذا اذن نهتم كثيرا لان شجرة تموت ؟ اذا ماتت شجرة ، الا نستطيع ان نزرع بذرة تنمو منها شجرة اخرى ؟ »[٧]

تنتهي سلسلة اسئلته برفض عاطفي للمقترحات الحكومية • ينجـــر تدريجيا السياسيون والمغتربون الاوربيون والفلاحون القرويون وموظف المنطقة الافريقي الجديد الى الصراع الذي لاتسمع فيه الا صرخة من اجل (رجل واحد ، مدية واحدة) ، (امرأة واحدة ، عصا واحدة) ، (طفل واحد، حجر واحد) ــ وهي واضحة السخرية من الشعار الوطني : رجل واحـد ، صوت واحد •

مع ان روايته موضوعة من فترة سابقة فان كل شيء فيها يحمل معاني اضافية في العنف والفساد والفوضى في السياسة المعاصرة لنيجيريا • غير ان

---

7. One Man, One Matchet, P. 5.

معالجة المنافسة والتحدي تجري بروح هجائية . تفهم الشخصيات الاوربية باعتبارها جوفاء في ايمانها الشديد في فعالية الديمقراطية البرلمانية البريطانية . وينفد صبر الموظف الزراعي الشاب ويرغب في سجن الافارقة الذين يعارضون سياسته لانهم يقفون عثرة في طريق التقدم .

« هؤلاء الافارقة الوحوش بحاجة الى الحماية من انفسهم ومن جهلهم. وهم بحاجة ايضا الى الحماية من ارائنا الخيالية بصدد الديمقراطية . ولمجرد اننا أقمنا في بريطانيا نظاما حكوميا مبنيا على النقاش والجدل يبدو انه ناجح ، بشكل من الاشكال ، لذا ترانا نظن انه يترتب علينا ان نستخدم الاساليب نفسها في افريقيا الاستوائية . اعتقد انه يجب ان تتفق على كل اجراء قبل اتخاذ القرارات . غير انه ما نفع النقاش بين زملاء لا يفهمون ما تتحدث عنه ؛ ويصرون على عدم فهم حوافزنا . »[8]

كان السيد ستاتفيلد موظف المنطقة القديم أكثرا صبرا : في التساهل ـــ الرعاية واللطف :

« أن الديمقراطية البرلمانية ، يا هنري ، هي الاسهام العظيم الذي قدمه بلدنا الى الحضارة . ومن اجل هذا فان بريطانية سوف تظل تذكر طويلا بعد زوال الأمبراطورية »[9] .

أما الموظف الافريقي الجديد اودو اكيان ، الذي يتحدث عن حل المشاكل بطريقة افريقية صرف ، ومع ذلك يتحدث ويتصرف مثل أي مغترب ابيض ، يصفه خصومه بانه « رجل اسود ابيض » . اودو خريج جامعة كمبرج في المرتبة الثانية العليا ، ومن جماعة كمبرج في لعبة الكركيت . انه المثال الاكمل للنخبة الافريقية التي تأخذ على عاتقها ان تجعل الكولونيالية ـــ عدة السلاح الناري ومقبضه وسبطانته ـــ امرا ناجحا .

8. *One Man, One Matchet, PP. 9-0.*
9. One Man, One Matchet, P. 10.

غير ان الرجل الذي ينال اكبر قسط من سياط الهجاء هو ذلك السياسي الديماگوگي الذي يستغل جهل الجماهير غير المتعلمة من أجل ان يملأ جيوبه. السيد بنيامين بنيامين يحرض الناس على مقاومة دفع الضرائب . ومقـاومة قطع الاشجار ويقنعهم ان يتخذوا لباسا قانونيا من أجل أستعادة الارض التي يدعون بها ، والتي تعود الى القبيلة المجاورة . حبه لاستعمال الكلمــات الطويلة والتعابير البلاغية الجميلة ورياؤه في كل ما يعمل هي موضع الهجاء غير المؤذي الذي يوجهه الوكو في عمله الادبي . اليك وصف الوكو له وهو على المنصة العامة :

« نهض الرجل للكلام . القى اولا عصاه ، ثم اخرج منديلا اصفر من جيب الصدر في سترته . وبعد ذلك نزع النظارات من وجهه وراح يمسحها بالمنديل . ثم اعاد النظارات واخذ الغليون من فمه ، والتقط عصاه ثانية . واخيرا بدأ الكلام بالانكليزية ولكن عن طريق « كاتب المحكمة »[١٠] .

ان الصراع بين بنيامين بنيامين واكپان « الرجل الاسود الابيض » هو في حقيقته قصة رواية ألوكو . غير ان هجاء الوكو هجاء ثقيل ممل بحاجة الى اللسعة التي يمكن ان تفضح العفونة الاجتماعية ذلك لانه لا يعرف حق المعرفة ماذا يريد . في صميم صرخته « رجل واحد ، مدية واحــدة » ورسمه للفلاحين باعتبارهم جهلاء قاصرين ، وشبه همج ، نسمع الصوت ولكن ليس صوت الناقد الهجاء الذي يهتم بكل حماسة ببعض القيم ، وانما صوت المتهكم الذي لا يستطيع ان يرى الطريق المفتوح امام نيجيريا . اني أشك ان يكون تعاطف الوكو الحقيقي في جانب الفلاحين والعمال الذين هم الهدف الاساس للاستغلال الاستعماري ، وانما هو في جانب اودو واكپان القاصر عن رؤية الخطأ في مجمل الطريقة التي يحاول العمل بها ، وانه لا يصح انتقـــاد

10. One Man, One Matchet, P. 7.

قصور او قصورين فقط في الجهاز كله • الاستعمار وليد الرأسمالية • والى أن تتغير البنية بكاملها بحيث يكون للفلاحين والعمال صوتهم المؤثر ، فلن تكون ازالة الاستعمار شيئاً كاملا ولن نكون قد بدأنا السير على طريق الاستقلال •

بدأ وول سوينكا بكتابة المسرحيات اولا • وتلقى دراسته في ايبادان وليدز • ونشر سبع مسرحيات ورواية واحدة ونشر قصائده في مجلات في جميع انحاء العالم •

سوينكا ، مثل اشيب والوكو ، غير راض عن رجال السلطة الجدد • ولا يطيق صبرا بما يرى فرانز فانون في كتابه « المعذبون في الارض » بخصوص الاساليب الفضيعة اللا قومية « للبرجوازية المحافظة على صفة البرجوازية الى حد الغباء والتفاهة ويثير السخرية »[11] • ويثيره بشكل خاص رياء القادة الدينيين وعدم كفاءة الافراد وروح اللامبالاة لديهم • الاخ جيرو خير ممثل للرياء الديني • هو انسان قوي البنية ، مرتب اللحية ، كثيف الشعر غير انه حسن التصفيف • يسير وبيده عصا الهية • تقع حوادث مسرحية « محاكمات الاخ جيرو » في منطقة ساحلية تتنافس فيها من اجل الحصول على الارض والمهتدين فرق دينية متنوعة ـ جماعة جيرو ، وجيروبم وسيرافيم ، واخوات يوم القيامة ، وحتى رعاة البقر السماويون • كان على مجلس المدينة ، في بعض مراحل الماضي ، ان يتدخل من اجل تحديد منطقة النفوذ • ان الاخ جيرو ، مثل ڤولپون في مسرحية بن جونسن الهزلية ، محتال ماكر يعيش على خداع البسطاء للاستيلاء على اموالهم • ولانه لا توجد اية غلالة على مهنته ، مثل لصوص القطارات في انكلترة ، فانه يقوم بمهمته بكل مهارة وبصورة تدعو الى الاعجاب • في مستهل المسرحية ، يتحدث جيرو عن الوضع في المنطقة بواقعية صريحة وراحة ذاتية متميزة :

11. Frantz Fanon, The Wretched of the Earth, Penguin, 1967. p. 121.

« انا نبي • نبي بالولادة والرغبة • لعلك رأيت كثيرا منا في الشوارع• كثيرين منا بصحبه رجال الدين ، كثيرين في داخل البلاد ، كثيرين في المنطقة الساحلية ، كثيرين يقودون المواكب ، كثيرين يبحثون عن مواكب من اجل قيادتها ، كثيرين يشفون الصم ، كثيرين يعيدون الموتى الى الحياه • هناك في الحقيقة بيض ، وهناك بيض • الامر الذي حصل لدى الانبياء • ولدت نبيا • وأظن ان والدي وجدا اني ولدت بشعر طويل كثيف • ويقال انه كان يصل حتى عيني ويبلغ رقبتي • كان ذلك بالنسبة لهم علامة تدل على اني ولدت وانا نبي فطري • وكبرت فاحببت المهنة • ولقد كانت مهنة محترمة في تلك الايام ، وكانت المنافسة امرا مبجلا • غير ان منطقة الساحل اصبحت في السنوات الاخيرة تجاري التطور الحديث ، وقلب الصراع من اجل الحصول على الارض الامر الى شيء مضحك • استطاع بعض الانبياء ، الذين يمكنني ان اعدد اسماءهم ، ان يحصلوا على مناطقهم الساحلية الراهنة بواسطة الحصول على نساء تائبات يهززن صدورهن بنشوة روحية • مما اثار حفيظة اعفاء الكنيسة الذين جاءوا لاقتسام المنطقة الساحلية فيها بينهم •

اجل ، لقد بلغت نقطة اصبحت ضرورية تدعو مجلس المدينة ان يأتي للمنطقة الساحلية لحل صراع الانبياء المحلي نهائيا • ان سيدي الذي رباني على الطرق النبوية حدد مطاليبه وكسب هبة من الارض •• ساعدته عجلة تقودها ست فتيات راقصات من المنطقة الفرنسية ويلبس الجميع ملابس شهود الرب • الشيء الذي لم يدركه سيدي هو اني كنت اساعد نفسي حقا »(١٢) •

يمثل الاخ جيرو وزملاؤه الانبياء القادة السياسيين الكثيرين الذين يبرزون فجأة في اغلب الدول الافريقية ، والذين هدفهم الرئيس هو المنفعة على حساب الجماهير • يحتفظ الاخ جيرو باتباعه بالابقاء عليهم مستاءين

---

12. Wole Soyinka, The Trials of Brother Jero, from, Five Plays, Oxford University Press, 1967, PP. 201-2.

نفسيا وبهذا يكونون في حاجة الى عون دائم :

« سررت بوصولي الى هنا قبل أي زبون ــ واعني المتعبدين ــ حسنا ، الزبائن ان شئت ذلك • اشعر كل صباح اني صاحب حانوت بانتظار الزبائن • ويأتي الزبائن المنتظمون في الموعد المحدد • يا لهم من اناس ساخطين • فما ان يشبعوا ، فلن يعودوا • مثل غلامي الطيب الاخ چيوم • فهو يريد ان يضرب زوجته ، ولكنني لا اسمح له بذلك • وان سمحت له بذلك فانه يكون قانعا راضيا ، وذلك شخص اخر من جماعتي الذي صار مصيره الى زوال[١٣] •

ان بعض اتباع جيرو اعضاء في البرلمان ويريده احدهم من دار الندوة الاتحادية ، ان يتنبأ له بان يكون وزيرا للحرب •

غير ان اشد ما يحتقر سوينكا هو فئة المفكرين في نيجيريا ، الاكاديميين بارديتهم واربطتهم الجامعية • ويرى انهم قد اهملوا دورهم المشروع في قول الحقيقة • وبدلا من ذلك فانهم اما يستحسنون الامر الواقع مبررين كل فساده الى امور عقلانية لا تمت الى الحقيقة بشيء ، او انهم يتغاضون عن ذلك بصمتهم • ان مسألة الضمور الخلقي للمثقفين هي الموضوع الذي يتكرر في اغلب مسرحيات سوينكا ، غير انها احسن ما تظهر مصورة في (رقصة الغابات) التي كتبها واخرجها من اجل استقلال نيجيريا • في احد مراحل المسرحية يبين سكان الغابات (المجتمع الانساني) مشهدا من بلاط ماتا خاريبو الملك الفاسد في زمن الامبراطوريتين العظيمتين في غانا ومالي • انه تنبيه للجيل الحاضر باعتبار كثير من الشخصيات في البلاط يمكن ملاحظتها بينهم ايضا • يحصل اضطراب في بلاط الملك لان رئيس الجيش يرفض الذهاب للحرب من اجل استعادة ملابس الملكة من زوجها الذي تركته قبل قليل • ويحاول الطبيب اقناع هذا المحارب ان يغير رأيه ولكن دون جدوى :

13. The Trials of Brother Jero, P. 211.

المحارب : انها لحرب غير عادلة • فانا لا استطيع ان اقود رجالا الى المعركة لمجرد استرجاع جهاز عرس امرأة •

الطبيب : ولكن الا ترى ان الامر ابعد من ذلك ؟ فلم تعد الحرب تتعلق بخزانة ملابس الملكة • الحرب هذه المرة امر من امور الشرف •

المحارب : أمر من أمور الشرف ؟ متى كان من الامور المشرفة سرقة زوجة اخ رئيس ؟

الطبيب : هل يمكنك حقا ان تصدر حكما على عمل انسان اخر ؟

المحارب : لا ولكن على النتائج ، وعندما تؤثر فيّ وفي رجال يضعون ثقتهم بي •ان سرق الملك زوجة آخر ،فذلك منشأنه ولكن ليبق الامركذلك• ظن ماتاخاريبو وكان يأكل ان الملكالذي أهين في شرفه سيخرج للحرببسببها• لقد اخطأ في تقديره • يبدو ان زوجها الشرعي لا يرى ان الملكة الجديدة لا تستحق الحرب • غير ان ماتا خاريبو مصمم على سفك الدماء ويرسل له رسالة جديدة • تخل عن حاجات المرأة التي أخذتها منك ان كان للسلم ان يسود بيننا • اهذا هو عمل حاكم يقدر أهمية السلم لرعيته[14] ؟

سيدرك اغلبكم النبرة المألوفة لهذه المناقشة في الوضع العالمي الراهن • فامريكا اليوم — قوة عسكرية كبيرة — تقتل الفلاحين الفيتناميين والضمير الانساني • اما الرئيس جونسن ، الذي لم يكن قادرا حتى على تنظيم بيته نفسه — وارساء الديمقراطية في امريكا ، واعطاء الزنوج حقوقهم الاساسية — كان جونسن يرى هذه الابادة الظالمة غير الضرورية امرا شريفا • فيستدعي المفكرون في بلاط ماتا خاريبو ، الذين يشبهون اولئك المحيطين بجونسن في البيت الابيض ، من اجل أضفاء الشرعية على الحرب وتبريرها •

---

14. A Dance of the Forests, from Five Plays, P. 54.

المؤرخ : تعيش الامم بالقوة ، ولا معنى بغير ذلك . فانت بهذا تبـدد حياتـك .

ماتا خاريبو : (مرتقبا) هل وجدت شيئا ؟

المؤرخ : ليس ثمة سابقة مماثلة يا صاحب الجلالة .

ماتا خاريبو : وهل بحثت كل شيء بحثا كاملا ؟

المؤرخ : ذلك شيء لم يسمع به أحد . فالحرب هي الشيء الوحيد الذي تقدمه لنا العصور الماضية بهذا الصـدد . وهي التراث الذي تسـعى الامم الجديدة الى تخليده . فالوطنيون المتحمسون يلهجون بالشكران للحروب . ولم يكن لدى الجنود أي ريب بمسألة سفك الدماء . السبب في جميع الاحوال هو الحدث يا صاحب الجلالة ، والحرب هي المصير . الرجل هذا خائن . فلا بد انه عميل للعدو .

ماتا خاريبو : لقد اخذ ستين من خيرة جنودي معه .

المؤرخ : لقد كان صاحب الجلالة متساهلا للغاية . فهل يترتب على الامة ان تتجاهل تحدي العظمة بسبب من ضيق الافق لدى قليل من الجبناء والخونة.

المحارب : انا لست خائفا !

المؤرخ : اسكت ايها الجندي . امامي هنا كل تاريخ طروادة . فلو لم تكن طعام الخنازير ولم تستطع قراءة كتابات الحكماء لأريتك العظمة في تدمير مدينة صغيرة . سأكشف لك المكاسب التي حققها بعض الرجال والتي ارتقت بالانسانية الى مصاف الالهة وانصاف الالهة ؟ هيلين الطروادية التي اصبح شرفها مفهوما نادرا مثل جمالها . لو ان طروادة ما زالت قائمة حتى اليوم ، فهل تدعي بالحفاظ في سجل التاريخ لو لم يذبح الف من ابنـاء اليـونان الشجعان امام ابوابها ، ومئة الف طروادي داخـل اسـوارها ؟ فهل تغطي

وجهك ، وانت جزء من عجلة المصير ، وتئن مثل شيء لا يصلح حتى ان يلعق حذاء جندي ، ولكن انت رئيس ... يا صاحب الجلالة ، انا لست سوى مؤرخ البلاط واتوق الى غفرانك الجليل لكل فرط في الحماسة . غير ان التاريخ قد كشف دوما ان الجندي الذي لن يحارب تسري في عروقه دماء العبيد . ولاجل رعاياك البسطاء فان هذا الخائن المرتد يجب ان يعامل معاملة العبيد . »(١٥) .

لذا فسوف يباع الرئيس وجيشه ليصبحوا عبيدا ، ولكن ليس قبل ان يعقد اتفاقا خاصا مع النخاس من اجل الحصول على حصته من الربح . ثم يدعو المؤرخ الطبيب ليشرب قليلا معه .

« انك رجل مثقف واني اثمن الفرصة لمناقشة المعاني الضمنية التاريخية لهذا التمرد ... لو استطاع المرء ان يطلق عليه ذلك . لقد قاربنا عظمة طروادة واليونان ... واقصد ان هذه حربا ينبغي ان تخاض كما يجب ... عن لا شيء ...الست توافق على ذلك ؟ »(١٦) .

ولا عجب فان سوينكا يصور عقم المفكرين بتعابير جنسية . هو متخنث ، تنقصه الرجولة : رأسه محشو باشياء صغيرة من الثقافة الغربية . وهناك ليكونل معلم المدرسة في مسرحية « الاسد والجوهرة »(١٧) وهو متبجح جبان يفقد خطيبته عندما يستولى عليها باروكا احد الرؤساء التقليديين . تتألف ثقافة ليكونل من معارضته لثمن العروس واحلامه بصالات الرقص حيث تستطيع حتى العجائز ان يتعلمن رقصة الفالز والفوكستروت ، ويتعلمن التقبيل ، حسب ظني ، كالمسيحيين والمثقفين

15. A Dance of the Forests, P.P. 57-58.

16. A Dance of the Forests, P. 62.

17. The Lion and the Jewel, from Five Plays PP. 91-156.

الاخرين ! وهناك ايضا فيسيي في (المترجمون) وهو طبيب حاذق محاضر في الجامعة ، يعيش في رعب دائم من فقدان الاحترام ويتودد لكل من يمتلك اضأل قسط من السلطة والتأثير • في القطعة الآتية يدعى فيسيي وزوجته ــ الانكليزية الشابة الدمثة ــ الى بيت سفير حيث سيقدمان الى غيرهما •

« كانت مونيكا فيسيي تشعر بالخزي دوما • فلذلك توقف زوجها عند مدخل الاستقبال في السفارة وتفحصها جيدا • ولما اقتنع من كل شيء اومأ برأسه واسرع يتفحص ربطته • ثم ابتسم وقبلها قبلة على جبينها يتمثل فيها تمسكه باداب السلوك •

« يمكنك ايضا لبس قفازيك الآن » •

« واي قفاز تعني ؟ لم اجلب معي اي قفاز • »

ظن فيسيي أنها تمزح ولكن مونيكا كانت متأكدة ان زوجها يضايقها بكلامه ذاك ولو انه شيء في غير محله • »

« هيا البسي قفازيك • »

« كفى مضايقة • من ترى يلبس قفازا في نيجيريا ؟ »

لم يعد فيسيي يمزح • اختطف حقيبة يدها منها ووجد انها خلو من اي قفاز • « هل تعنين انك لم تجلبيها ؟ »

« اجلب ماذا يا آيو ؟ »

« القفازين طبعا • »

« لكنني لا املك اي قفاز • لقد اعطيت القفازين اللذين كانا عندي بعد وصولي الى البلاد • »

« انا لا اتحدث عن امور حدثت قبل سنتين . انما اقصـــد القفازين اللذين اشتريتهما لهذه الليلة . »

« لم اشتر اي شيء . لماذا كل هذا ؟ »

« لماذا كل هذا ؟ يجب ان اسألك انا لماذا كل هـــذا ! ألم اخبرك عن الدعوة قبل اسبوع ؟ »

« نعم اخبرتني ولكن ...

« حبيبتي ، اعطيتك صكا بخمسة عشـــر باونا لتشتري ما تحتاجين اليه . »

« ظننت انك تريدني ان اشتري ثوبا جديدا » .

« بالله عليك خبريني عن القفازين ! »

« ولكنك لم تقل شيئا عنهما » .

« وهل من الضروري ان اتحدث عن ذلك ؟ لقد كان ذلك مكتوبا على البطاقة بوضوح . »

واخرج البطاقة من جيبه وسحبها من الظرف ووضعها امام عينيها ...

« اقرئيها . هذي هي . اقرئي . »

قرأت مونيكا السطر الاخير على البطاقـــة ولكن يا آيو ذلك يخص من يقدم . اما نحن فلا ، أليس كذلك ؟ »

رفع آيو رأسه منتصبا « ولكننا سوف نقدم . »

« لم تقل لي . فكيف يتأتى لي ان اعرف ذلك ؟

« كيف تعرفين ! لقد استغرق الامر اسبوعين من اجل ان ادبر التقديم ،

والآن تسألينني كيف لك ان تعرفي . ما الفائدة من مجيئنا اذا لم نقدم ؟ »

« انا آسفة ، لم يخطر ذلك ببالي » قالت مونيكا .

« لا يخطر ببالك شيء !... ولكن كان يمكنك استعمال روح المبادرة ؟ وحتى في حالة عدم تقديمنا فانت تعرفين ان اصحاب السعادة سيكونون حاضرين . »

« انا آسفة » .

« حبيبتي لو ان الملكة ستحضر حفلة في الهواء الطلق فهل تذهبين بدون قفازيك ؟ »

« قلت انا آسفة يا آيو . وانا اسفة فعلا . لعله من الافضل لي ان اعود الى البيت . »

« ولكن هل ستفعلين ذلك ؟ اجيبي على سؤالي . هل ستحضرين الحفلة نفسها التي فيها الملكة بدون قفازات ؟ »

« انا لا ادري يا آيو . فاني لم التق بمثل هذه المحافل . »

« حبيبتي انك تدهشينني . هناك متطلبات اجتماعية بسيطة يعرفها اي انسان ذكي . » ثم نظر الى ساعته وهو يفكر بسرعة ويقضم شفتيه حانقا . ثم اقترح حلا : « طبعا ستساعدك افي في الخروج من المأزق . فهي حتما لديها زوجان من القفازات في البيت . »

قالت الفتاة ذات الصوت الرقيق : لا يا آيو الاسهل لي ان اذهب الى البيت . »

« وما الفائدة ان لم اقدم مع زوجتي . دعينا نرجع لنجلب القفازين . »

« سينتهي الاستقبال عند عودتنا . »

جعلته الفكرة يظهر منتهى العجز • « حسنا ، هيا اذن • ولكن يجب ان تتخلفي ورائي اذا ما نودينا • »[18] •

سأل احد الاصدقاء : هل يترتب على فيسيى ان يهتم بكل النفايـــة الاجتماعية هذه ؟ انه قبل كل شيء طبيب كفوء • ويمكنه الحصول على الوظيفة في اي مكان •ان صورة فيسيى تثير الشفقة اكثر مما تثير الغضب • وهو يفوح نتنا اقل ، أو بشكل مختلف ، عن القضاة والسياسيين ورجال الاعمال الذين رغم ثرائهم النسبي في بلد فقير ، تجدهم على اتم الاستعداد للانتظار ساعات في الشمس المحرقة من اجل الحصول على رشوة صغيرة ــ كشراب مثلا ــ من اناس ليسوا حتى في الخدمة •

يخرج الفنان في عالم سوينكا سالما بدون اذى ، ويرى كأنـه ضمـير الامة • ففي « رقصة الغابات » نجد شـاعر البلاط من القلة الذين يجرأون ان يرفعوا اصواتهم كلما بالغ الملك وملكته الداعرة في الكسب اكثر ممـا ينبغي • وايمان ، الشبيه بالمسيح في مسرحية « الذريـة القوية »[19] لـه حساسية فنان • ويظل غريبا لدى الناس : وهو يقول : ان اولئـك الذين ينفقون كثيرا ، ينتهون الى وحدة قاسية • وذلك هـو مصير سيكوني ، المهندس المدني في « المترجمون » • فبعد ان يتم بناء محطة للقوة الكهربائية التي كرس لها كثيرا طاقته وفكره وخياله ، يقول له المستشار ان المحطـة ليست على ما يرام وانها لن تستعمل ، حتى انهـا لن تفحص • وسنكشف فيما بعد ان المستشارين عقدوا اتفاقا مع المقاولين من اجل خرق العقـد ، لان ذلك يعني زيادة في الكسب لهم جميعا • وسوف يشاركون في الغنائم المستحصلة من الاعتمادات المالية العامة • وتحطـم الصدمـة سيكوني •

---

18. Wole Soyinka, The Interpreters, Panther, 1967, PP. 40-41.

19. The Strong Breed, from Five Plays. PP. 235-76

فيتحول الى النحت . وعندما يواجه سوينكا أضعف النخبـة الممتازة وفساد الذين يقبضون على دفة توجيه سفينة الحكم ، واولئك الذين يرعون اجهزة العدل فيها ، لايدري سوينكا الى اين يتجه . فالشخصيات تنال اعجابنـا هي شخصيات ساخرة أو مجرد شخصيات عشائرية رجعية (يستثنى مـن ذلك الفنانون) . تختفي السخرية في اللغة (ويبدو ان المؤلف يجد متعـة بالغة في تحكمه بلغته) وفي التحليقات الميتافيزيقية العرضية . الرجل الامثل لدى سوينكا هو الفرد غير الفاسد : تقود سـوينكا انسانيته الليبراليـة الاعجاب باعمال الشجاعة الفردية ، ولذا غالبا ما يتجاهل النضال الجماهيري الخلاق . ويظل الناس البسطاء والعمال والفلاحون في مسرحياته مراقبين سلبيين على الشاطىء أو اشخاص فكهين يرثى لهم على قارعة الطريق .

مع ان سوينكا يفضح مجتمعه على اوسع نطاق فان الصـورة التي يرسمها يعوزها العمق ، وهي صورة جامدة ، لانه يفشل في رؤية الحاضـر من المنظور التاريخي للصراع والنضال . لا يكفي الفنان الافريقي ، الواقف في معزل ، ان يدرس المجتمع ويركز على نقاط الضعف فيه . عليه ان يذهب ابعد من ذلك ، ويبحث في المصادر والاسباب والاتجاهات . ان النضـال الثوري اليوم الذي حطم خارطة القوة التقليديـة التي رسمتهـا الامم الاستعمارية راح يجتاح القارة الافريقية باكملها . لم تعد افريقيا وحدها . ففي جميع انحاء العالم تطالب الغالبية الملونة المستغلة بحقها من الامريكيين عبر افريقيا والشرق الاوسط الى اطراف قارة اسيا . ولا يستثنى الفنان في كتاباته من النضال . فيستطيع لدى غوصه في المصادر الاولى ، ان يضفي توجيها ونظرة خلقيتين على النضال المتواصل الذي يغير وجه القرن العشرين ولو انه يعاني من ردة موقتة .

- ٥ -

مرآة الدمج الفكري

(شينوا اشيب ، جيمزنگوگي)

روبرت سيروماگا

لابد لي ان اشرح طريقي الى فهم العنوان « مرآة الدمج الفكري » لانني لن اتحدث عن الدمج العنصري • انما سأتحدث عن دمج التجربة التي تحدث في الفكر • عند حديثنا عن الصراعات الثقافية أو الالتقاءات الثقافيـــة ، نميل أن نفسر الموضوع بمعنى جغرافي • فهنا مثلا بلد ــ هي اوغندا ــ تستقبل الناس الآتين من اوربا ــ وهناك الصراع الثقافي • ولكن ذلك لا يحدث مجردا في منطقة جغرافية ، بل يحدث في فكر الانسان الذي تقدم هذه التجربة الثقافية نفسها له • لذلك ، فما دام هذا شيء يحدث في الفكر ، فانه ينبغي علي اولا ان افحص واقدم امامكم نظريتي في كيفية عمل الفكر ، لكي نكون قادرين على فهم بعضنا بعضا •

سوف استفيد من الروائيين شينوا اشيب وجيمز نگوگي لا من اجل النقد الادبي لمؤلفاتهما الروائية وانما سأستفيد منهما واجعلهما وتدين اربط بهما اغنامي حسب تعبير شنوا اشيب • الـّف نگوگي « لا تبك ايها الطفل »

و « النهر الوسيط »[1] في حين الّف اشيب اربع روايات هي : الاشـياء تتداعى ، لم يعد مرتاحا ، سهام الله ، ورجل الشعب[2] .

مناقشة الدمج مسألة اساسية من اجل فهم اهمية الدمج للتجربـة الاجتماعية في عملية التطور الثقافي . ان فرضيتي هي ان الشخص يجب ان يدمج دمجا كاملا في تجربته ـ كما بين كوامي نكروما في « الوجدانية »[3] وكما يوضح ويلي ابراهامز في كتابه « فكر افريقيا »[4] . وفي هذه الحالة ينبغي علينا ان نأخذ التجربة والتراث الافريقيين ، والتجربة المسيحية الاوربية الغربية ، والتجربة الاسلامية ، في بعض الاقسام . هدف الانسان العالم هو انجاز تقدم التفكير بواسطة التوحيد بين الاطروحة ونقيضها : ينبغي ان يفهم المرء اهمية تناسق المؤثرات والتجارب والافكار المستقـاة ، اي تسـاوق العمليات العقلية في الفكر ، من اجل ارساء نقطة يستطيع منها المرء ان يتطور الى التفكير الاصيل .

لا يوجد في الفكر اكثر مما هو موجود في العالم الخارجي ـ بمعنيين. فما دام الفكر جزء من العالم ومحتواه ، فلا يمكن ان يحتوي اكثر ممـا يحتوي العالم .غير ان ذلك في حد ذاته ، بيان لا قيمة له ، غير اهل للمناظرة الواضحة . ونهتم هنا بالتفسير القائل ان الفكر يستمد المعرفة من اشياء في العالم الذي تقيم فيه . ان حقائق العالم كما يراها الفكر قد لا تكون متصلة

1. James Ngugi, Weep Not Child; The River Between, Heinemann 1964, 1965.

2. Chinua A chebe, Things Fall Apart; No Longer at Ease; Arrow of God; A Man of the People, Heinemann, 1958, 1960, 1060, 1966.

3. Kwame Nkrumah, Consciencism, Heinemann, 1964.

4. W: E. Abraham, The Mind of Africa, Weidenfield and Nicolson, 1962.

بعضها ببعض بطريقة متناسقة الاجزاء • وبمعنى آخر ، اننا نرى صراعات كثيرة ، غير ان الواقع غير متناقض • يكون الواقع في حالة ثبات نسبي وعلاقات متبادلة طيلة الوقت • لذلك فان التجارب أو الحقائق تقدم الى العقل باعتبارها تجارب متناقضة ذلك لان العقل يستمد تجاربه من الواقع • لو اضيف الى هذه التجارب المستقرة في العقل تجارب دخيلة فان التناقض الظاهري يزداد نموا • يميل الفكر ان يكون في حالة من الثورة الابدية •

يشبه احد الكتاب ، اما هيتفيلد أو موبسان الفكر بمجسات الحشرات الدائمة التذبذب •

أود ان اقدم فكرة اخرى تنطلق من وجهة النظر هذه وتدعى بحفظ الطاقة النفسية • ويمكن للمرء ان يشبهها بقانون نيوتن عن حفظ الكتلة • وكل ما يتلقاه العقل يبقى فيه ؛ ولا يضيع شيء • فيحفظ كل شيء ثم يحوله • العقل يتلقى من الواقع في الخارج • ويفكك العناصر النفسية التي تلقاها ثم يوحدها في رابطة جديدة • وهذا ما يشير اليه هيكل باعتباره الاطروحة التي تحمل نقيضها وتتجددان مع بعضهما في تركيب جديد • والنتيجة هي ان الافكار قد تظهر فجأة في وعينا قبل ان نكون متأهبين للسيطرة عليها عقليا • لو اننا اجهدنا انفسنا باستخدام العقل فاننا نطور هذه الافكار الى شيء يسمى نظرية • ان انحلال الاطروحات (الفرضيات) السابقة جزء اساسي من تطور الفكر الاصلي • كل منا يمتلك هذه القوة على التلقي وتفكيك ما تلقيناه وبناء افكار جديدة ، غير اننا جميعا نستعملها الى حدود مختلفة ، وهنا تتجلى نظريات هيتفيلد وفرويد عن الشعور واللاشعور •

النقطة الاساسية هي ان الشيء الاصلي ينبثق من اللاشعور • فلا نشعر به في حينه • ولكن ما معنى اللاشعور ؟ لكي نفهم ذلك يترتب علينا

ان نعرف الجانب الآخر • فما هو الشعور ؟ هو وعي العالم الخارجي وكذلك المعرفة الانية والعفوية أو التأملية للحالات والظواهر الداخلية للعقل بواسطة العقل نفسه • ما اقوله هو انه اذا كنت شاعرا بوجودي فانني ادرب شعوري بواسطة حواسي • اننا نستعمل احساسنا لاجل استبيان اللذة والالم • ولو اننا استخدمنا الدرجات المتنوعة للانتباه الذي عرّف بالذهول ، والتأمل ، والتطبيق ، والتفكر ، فاننا نكون قد بدأنا بالتفكير •

لو رجعت الان الى نظريتي الحقيقية ، فان الفكر الافريقي فيه بعض الاشياء المستقرة ، وهو يستقبل بعض الافكار من اوربا ومن العرب وبعض الافكار من آسيا ، كثير منها لا تنسجم مع الافكار الموجودة فيه آنيا • وهذا ما يشير اليه التعبير السياسي بان افريقيا ليست صفحة بيضاء يمكن رسم الانطباعات عليها • وما دام الامر كذلك ، وما دامت قوى الابتكار تأتي من لا شعورنا ، وما دام المجتمع الافريقي يمتلك ذخيرته في لا شعوره ، فان المجتمع يكون استنتاجاته الخاصة ـ احكام القيمة والاحساس ـ بخصوص ما يشعر وما لا يشعر ، واين يقع الالم واللذة واين لا يقعان •ولما كان العقل الواعي غير مدرك لهذه الاشياء في حينها ، ولما كان ما تتلقاه يأتي عن طريق العقل الواعي ، فاننا نتلقى الكثير الذي لا نفهمه ولا نستطيع أن ننساه مباشرة الى ما نمتلك حاليا •

يتلو ذلك عملية بناء جديدة ، ثم نبدأ مجددا بناء ما تلقيناه • وهنا تظهر نظرية التركات ـ وهي اننا نستطيع ان نقرر بعض الاشياء في حين تبقى الاشياء الاخرى كما هي • تظل غير مقررة ، وكلما كانت غير مقررة ، اصبحنا غير قادرين على فهم انفسنا • في مثل هذا الموقف يقال ان الافريقي تربكه كثرة الافكار التي تلقاها في ذاته غير انه لم يكن قادرا على حلها • لم لا نستطيع جميعا ان نستعمل عقولنا لاتخاذ هذه القرارات في الحال؟ بين فرويد

في اوربا ، ان ثمة حدودا خلقها المذهب الخلقي الجنسي — اي ان ما تـراه خيرا هو ما تقوم بعمله . لو حدثت فكرة أصيلة صالحة بالنسبة لك ولكن مجتمعك — وعقلك الواعي — يقول انها غير صالحة ، فانك تميل الى كبتها. ويصدق الشيء نفسه في المجتمع الافريقي طبعا (لو علم فرويد ان افريقيـا كانت تفكر بذلك قبل ظهوره بمدة طويلة لدهش كثيرا) ; على ان هذا المثال اتخذ في الوضع الافريقي الى حد ابعد . تلقى الافريقي افكارا جديدة من تعاليم المدارس التبشيرية غير انه كانت لديـه افكاره الخاصـة عن الطب والاطباء التقليديين (الذين يشبهون الاطباء النفسيين) . ونتيجة لذلك فقد اقام الحواجز التي تكبت ما يخرج من العقل الباطن . يرفض كل ما يظهر على اساس « انه لم يتم عمله ، كما قال لي رجل الدين » ويكتم العقـل الممزق اي قوة للابتكار وتطوير فلسفات جديدة وافكار جديدة . يقـدم الرئيس نكروما في كتابه « الوجدانية » خدمة جلى بسعيه من اجل تقريب فلسفة (كانت) والافكار الاسلامية والافكار الافريقية التقليدية ووضعها في ما يطلق عليه اسم (الوجدانية) اساسا لتطور غانا وافريقيا . يتحتم على الجميع دراسة الفكر الافريقي قبل ان يمكنه تعليم افريقيا اي شيء . وعلى الافريقي ان يدرس فكره قبل ان يستطيع التقدم . عليه ان يهدم الحواجز التاريخية المفروضة على فكره ويسير قدما دون ما اهتمام لاي شيء طارىء .

بعد ان قلت ان افريقيا ليست صفحة بيضاء يمكن ان يكتب عليهـا المرء ما يشاء ، اعود فاقترح تصوير دمج التجربـة كما تعكسها شخصيات روايات جيمز نگوگي وشينوا اشيب . يمكن ان يقـال باديء ذي بدء ان هذين الكاتبين اللذين يكتبان باللغة الانكليزية ويعبران عن تقاليد المجتمع الافريقي بقيم افريقية هما في الواقع يمثلان الدمج الفكري .

خذ اولا كتاب نگوگي « النهر الوسيط » الذي ظهر قبل كتابـه « لا تبك ايها الطفل » قال احد النقاد بصدد استعراضـه للكتاب : « ان

هذا الكتاب يسرد قصة حب بين شابين في كينيا » • ولا يعدو ذلك القول الحقيقة •قصة الحب هذه هي في الحقيقة الشيء الذي يراد به صرف الانتباه عن المسألة الحقيقيـــة • هناك سلسلتان ـ كامبينا وماكوبو ـ والنهـر الوسيط ، الذي يمكن ان يحول الى رمز • نجد ذلك أيضا في اوائل العهد الجديد (الانجيل) ـ حيث لا نستطيع ان نفهم تفسير الاشياء باعطائهـا وجودا ماديا •

وهناك شعبان ـ الاماكويو والاماكامبينا ـ على هاتين السلسلتين • احدهما يتنصر والآخر لا يفعل ذلك • كانا قبل ان يحدث هذا الامـر على وفاق تام •ويأتي الجميع الى النهر الوسيط حيث يستقيان وحيث تجـري عمليات الختان وحيث تتم احداث المجتمع •

وتصل البعثات التبشيرية ويتم النجاح في العمل بين الاماكويو غير ان كامبينا تظل على وثنيتها • ويبدأ الشعبان بالصراع • يقول جوشوا المعلم الديني في ماكويو : « لن تذهب بناتي عبر النهر للقـــاء الوثنيين في ذلك الجانب »[٥] ويقول الناس في كامبينا :

« نحـن لا نذهب الى المسيحيـين لاننا نعتقـد ان المسيحيين ناس فاسدون • وهم يقولون اننا نعبد الافاعي والهة لا وجود لها ، وغير ذلـك من الاقوال • وهذا شيء غير صحيح • علينا ان نتمسك بتقاليدنا • وعلاوة على ذلك ، فانهم كسبوا اناسا آخرين يريدون الاستيلاء على ارضنا ، كما ترى • »[٦]

ترعرعت موثوني ابنة المعلم الديني الشابة في القسم المسيحي وتعتقد انها يجب ان تختن لكي تصبح امرأة • وتلك عادة كينية • يقول لها ابوها ان لا تفعل ذلك • وتحتار البنت لان المسيح كان مختونا • فتقول :

5. The River Between, P. 41.
6. The River Between, cf. PP. 44, 55, 76, 107.

« حسنا لقد قررت امرا . فاما ان ابقى ابنة جوشوا واظل مسيحية ، ولكني لن اصبح امرأة وانا اريد ان اكون امرأة . لذا سأبذل جهدي ... »[٧] .

فتهرب وتذهب الى كامبينا حيث تتم المراسيم وتختن . ولسوء الحظ تمرض الفتاة وتموت قبل ان تشفى من « التجربة الدينية » . وتقول وهي على فراش الموت لاختها التي انصاعت لتعاليم جوشوا كلية : اذهبي وقولي لجوشوا . اذهبي وقولي له انني امرأة وانني ما زلت مسيحية في القبيلة . »[٨]

النقطة هي انها ماتت ، وانقطعت عن الوجود باعتبارها كائنا بشريا . ولكن هل هي ميتة ؟ صلب المسيح ومات ، ولكن هل مات فعلا ؟ استمرت افكاره . سألت جيمز نگوگي عن ذلك في برنامج اذاعي فاجاب :

« اظن ان الذي يعاني من اجل الشهادة ليس خاسرا . في الكتاب ، مثلا ، الناس الذين يخسرون ظاهريا ويموتون اشخاصا لهم في الواقع اثرهم فيواصل عملهم اناس آخرون يأتون بعدهم . يمكن ان نقول ، بالطريقة نفسها : ان المسيح خسر باعتباره شخصا وهو في الثلاثين من عمره ، حيث صلب ومات على الصليب شابا مثل هذه الفتاة . ولعله صعد الى السماء ، ولكن ليست هذه هي النقطة . لقد انقطع عن الوجود مدنيا ، ولكن اناسا مثل بطرس وحواريين آخرين واصلوا عمله . اهمية الفرد ليست حياته التي يحياها فحسب في هذا العالم ، وانما اثر عمله على الناس الاخرين بعد رحيله . »

لذا فان الفتاة تعتبر ميتة ولكنها لا تتلاشى . عند محاولة تجسيد

7. The River Between, cf. PP. 29, 56.

8. The River Between, cf. P. 61.

هذه التجارب ، تنقطع عن الوجود باعتبارها كائنا بشريا ؛ ولكنها تمـوت وهي تعرف انها نجحت في عمل ذلك •

ومن الناحية الاخرى ، نجد يوشع القبلي الذي يعرف لغة الحقول ، انه قد غلبه الدين المسيحي تماما • فيحتار ويعجز عن الاجابة عن الاسئلـة التي توجه اليه اثناء وعظه الناس • ويجن بالايمان الجديد ولا يريد احدا ان يهاجمه • فهل يوجد يوشع ؟ مات يوشع الذي نعرفه قبل التنصر • وهـذا شخص آخر • برأيي ان من يفشل في دمج تجاربه ـ ومن تغلبه جهة واحدة، ومن يتمسك بالتقاليد تمسكا اعمى ـ سوف يخسر • يخسر يوشع لانـه يغلب تماما ويتوقف عن ان يكون نفسه • فيصبح انسانا مختلفا • ويقـول الناس الذين ظلوا غير متنصرين :

« اننا لن نتبدل • ولن نستمع الى أي شيء • ونحن نعتقد بـهذا ، وعليك ان تأخذ دينك الى حيث تشاء • خذ فلسفتك الى حيث تشاء • فان لنا فلسفتناالخاصة بنا »[٩] •

هؤلاء الناس أيضا سيخسرون لان تطور الثقافة سوف يتحطم • أنـا اعتقد بالتطور الثقافي الديناميكي (الحركي) وان هؤلاء الناس العنيدين لا يمكن ان ينجحوا في النهاية •

لدينا مثل على ذلك في رواية اشيب « الاشياء تتداعى » • اوكونكو يشنق نفسه • فلم يكن قادرا ان يصون ايمانا خاصا فيسلك اسهل السبل للخروج من المأزق ، وهو سبيل الجبناء • مجتمع شبنوا اشيب ليس مجتمعا متداعيا لان كثرة من الناس يدخلون اليه جالبين معهم افكارا جديدة • ان ما يحدث في هذا الكتاب ، في حقيقة الامر ، هو ان اكونكو يقتل نفسـه

---

9. The River Between, cf. e.g. P. 75.

لانه يرفض ان يغير تجربته ويجسدهما • فهو فرد يشنق نفسه ، ولكن المجتمع يواصل سيره •

هناك امثلة عديدة في اوربا القبائل الجرمانية التي كانت تجتاح الامبراطورية الرومانية • التقت القوانين الجرمانية بالقوانين اللاتينية وانتجت قانونا مختلفا • في ايام الرومان طور الناس الذين كانوا ينتقلون بين المدن قانونا جديدا • اما اليوم في اوغندا فيوجد قانون اوغندي متوارث وقانون انكليزي • توجد حالات مماثلة في المحاكم البوغندية التي تستند على دمج الاثنين • قد يظن المرء ان النظام الشرعي في اوغندا يتداعى بسبب استشهاد حاكم بمواد من القانون الانكليزي • ان ذلك لا يحدث في الحقيقة ؛ انما هو يبني ويغتني بتجارب جديدة • فكلما استطاع ان يجسد تجارب جديدة ، استطاع ان يتقدم نحو الافضل •

ان كل الاشياء ، وحتى الاديان ، تتغير • جاءت المسيحية من الشرق الى الغرب • وغيرها الغرب وجلبها الى افريقيا • يريد التقدميون ان يغيروها • ويقول التراثيون اننا لا نستطيع ذلك • غير ان المؤسسات المسيحية تغيرت • فتعدد الزوجات مثلا ليس جزء من المسيحية الحديثة • ولكنها عندما بدأت في الشرق ربما كان للانبياء عدة زوجات ودخلت اوربا جميعا وعندما جاءت الى افريقيا قيل لنا اننا يجب ان نكون احاديي الزوجة لو كنا مسيحيين • ذلك هراء لان الزواج الاحادي ليس فكرة اساسية في المسيحية •

واذا انتقلنا من نكوكي الى تقويم ادق لاشيب فيجب ان اقول اولا ان شينوا اشيب برأيي روائي عظيم • كل من قرأ اشيب لا مفر له من ان ينسحر بالطريقة التي يستعمل بها اللغة • فهو يبسط مادته ويرتجلها بطريقة تجعل المرء يرى الشخصيات النيجيرية تحدث بعضها بعضا •

لنلقي نظرة الى رواية « الاشياء تتداعى » التي كتبت عـام ١٩٥٨ • يتناول الكتاب المجتمع في نيجيريا • في الفصول الثلاثة الاخيرة يحـدث قس جماعة المصلين في الكنيسة ان قتل الافعى الكبيرة ، التي تعتبر شيئـا مقيتا في المجتمع القبلي ، ليس عملا خاطئا • فالافعى ليست الها • يقـول القس انهم قدضللوا • وتأخذ الحماسة احد الناس في الكنيسة في ذلـك الوقت ، فيذهب الى بيته ويقتل افعى ويأكلها • ثم يعود الى القس ولكن القس ينبهه بان مثل هذه الحماسة المفرطة امر لا داعي له • يكفي قتـل الافعى ، ولكن آكله ! وبهذا فقد جعل احد المسيحيين الكنيسة في وضـع حرج من الصراع مع القبيلة بقتله الافعى المقدس ، مبعوث اله الماء •

رواية « سهم الله » التي كتبت عام ١٩٦٤ ، تدور ايضا حول قتـل افعى ويحدث شيء ممتع جدا ــ وهو ما ادعوه بالتطور ؛ وهي سابقـة قانونية لم تحدث قبلا ابدا • يتنصر ابن الشخصية الرئيسة في الروايـة • ويرسله ابوه الى الكنيسة لأنه يريد ان يعرف ماذا يجري في الكنيسـة • ويحذو أب آخر حذو هذا ويرسل ابنـه الذي لا يمكن ان يكون فلاحا ناجحا • ويقال للصبي ان الافعى شيء غير جيـد • اقتلها : فهي ليست الهاً • ويذهب الى بيته ويريد قتلها ، غير انه لا يريد أن يعرف عنـه انه هو المسؤول • ويستحصل حقيبة ملابس (يصنعها احد النجارين الذين علمهم المبشرون) ويقفلها على الافعى • ويأتي الجميع حولها ويرتعبون لن الحقيبة تتحرك • ويكتشفون ان في داخلها افعى ويستهجنون العمل ويعتبرونـه امرا بغيضا • ويشير كبير القساوسة الى ان التراث يقول انك لو قتلت افعى لاقترفت خطيئة بغيضة • ولكنه لا يتطرق الى حبس الافاعي في الحقائب • ولم تكن المدة كافيةلتختنق الافعى التي تخرج ولا يستطيع احد لمسها • وفي النهاية يقترف القس الاكبر شيئا ضد الالهة مما يدفعه الى الجنون •

في رواية « سهم الله » يوجد شخص تحول عن دينه اسـمه موسى

الذي كان حاضرا عندما جاء الاوربيون وقتلوا كثيرا من الناس لان القبيلة قتلت رجلا ابيض راكبا حصانا حديدا « دراجة هوائيـــة » • فعلوا ذلك لانهم لم يروا شيئا مثل هذا قبل ذلك • وظنوا ايضا انه ليس له اصابـع لانه كان يلبس حذاء • رحل موسى اوناچوكو وتعلـم الانكليزيـة ورأى سلوك الاوربيين • انه ساخر قليلا ، ولكنه مرتبك •

عندما يتحدث الواعظ للناس في الكنيسة عن عـدم قتـل الافاعي ، يجيب موسى بهذا المعنى العام :

« يا مستر گودكنتري ، لا حاجة ان تقول لنا انه يجب ان لا تقتـل الافاعي • ان الله في الحقيقة ، القى الافعى في جنة عدن • وتحطم ادم لان الحية اغوت زوجته • فما قولك عن ذلك ؟ جاء ذلك في الانجيـل • امن الباطل ان ينزل الله لعنته على رأسها ؟

اما اليوم فان هناك ست قرى في اموارو ، ولم تكن الامور فيها كعهدها الاول • يقول لنا اباؤنا كانت هناك سبع قرى قبل هذا • وكانت السابعة تدعى امواما • وأومأ بعض المهتدين مؤيدين • واصغى مستر كودكنتري صابرا مزدريا •

« ذات يوم قتل ستة من ابناء امواما الافعى وطلبوا من احدهم واسمه ايوكا ان يطبخ معها حساء البطاطة البيضاء المركز • وجلب واحـد منهـم قطعة من البطاطة ووعاء ماء لايوكا • ولما انتهى من طبخ الحساء جاء الرجال واحدا اثر واحد واخذ كل قطعـة بطاطـة • ثم راح كل منهم يملأ وعاءه بالمرق •

ابتسم المستمعون جميعا الا مستر كودكنتري الذي جلس كالصخرة وابتسم اودوج (الصبي الذي سيحبس الافعى في الحقيبة) لانه سمع القصة صبيا ونسيها حتى يومنا هذا •

« وصار الاخوان يتخاصمون خصاما شديدا ثم راحوا يتعاركون واتسع العراك عنيفا في جميع اوماما فكادت القرية ان تنمحي . وهرب القلة الذين بقوا على قيد الحياة من القرية وعبروا النهر العظيم الى ارض اولو حيث ينتشرون اليوم . ولما رأت القرى الست الباقية ـ ما حصل في اوماما ذهبوا الى عارفة ليكشف السبب ، فقال لهم ان الافعى الملكي كان مقدسا عند اويميلي . ان هذا الاله هو الذي عاقب اوماما ، وقررت القرى الست منذ ذلك اليوم ان يقتل الافعى في اوماما وان من يقتله يعتبر كمن قتل اقرباءه ! » .

ثم انهى موسى كلامه وهو يعد على اصابعه القرى والقبائل التي تمنع قتل الافعى . ثم تكلم مستر كودكنتري :

« ان مثل هذه القصة التي رويتها لنا لا تليق ان تسمع في بيت الله . غير اني سمحت لك بالكلام لكي يرى الجميع سخف قولك » . ثم جرت همهمة بين المصلين الذين قد يؤيدون او لا يؤيدون ذلك .

وقال مستر كودكنتري : سأترك الامر الى اهلك ان يجيبوا عليك . » وتلفت حوله ناظرا الى جماعة المصلين الصغيرة ولكن لم يتكلم احد . « الا يوجد احد يستطيع الكلام دفاعا عن الرب ؟ »

أودوج الذي كان يميل الى تأييد موقف موسى اوناجوكو اصابته الان طعنة في بصيرته . فرفع يده واوشك ان ينزلها . غير ان مستر گودكنتري رآه فقال :

« نعم ؟ »

« ليس صحيحا ان الانجيل لا يطلب منا ان نقتل الحية . ألم يأمر الله آدم ان يسحق الحية التي خدعت زوجته ؟ »

وصفق له كثيرون :

« أتسمع يا موسى ؟ .. تقـول انك أول مسيحي في اوموامـا يتناول الطعام المقدس ؛ ومع ذلك فانه كلما فتحت فمك لا يخرج منه الا قـذارة وثنية . حتى الطفل الرضيع على صدر امه يستطيع اليوم ان يعلمك الكتاب المقدس . ألم يقـل ربنـا ان الاولين سيكونون الاخيرين وان الاخيرين سيكونون الاولين . وسيزول العالم ولكن لن تتبدل كلمة واحدة من كلمات ربنـا . »(١٠) .

فانت ترى الافتقار الكلي الى القدرة على القول اننا سـوف نقلب شيئا صغيرا هنا وشيئا صغيرا هنا من اجل ان ندمج هذين الدينين .

فالتفت الى اودوچ قائلا : عندما يحين وقت تعميدك سـوف تسمى بطرس ، وسوف ابني كنيستي على هذه الصخرة . » فاثار ذلك تصفيقـا من المصلين اكثر من ذي قبل . فوقف موسى على قدميه في الحال (وهذا تضمين مهم) « هل ابدو مثل شخص يمكنك ان تضعه في حقيبتك وتسير به ؟ لقد ذهبت الى منبع هذا الدين ورأيت بأم عيني النـاس البيض الذين جلبوه . لذا اود ان اقول لكم الآن اني لن يضلني السبيل دخلاء يكون اعلى من اهل الميت . انك لست اول معلم رأيت ؛ ولست الثاني ولا الثالث. لو كنت حكيما لواجهت العمل الذي ارسلوك من اجل القيام به هنا ولرفعت يدك عن الافعى . يمكنك ان تقول اني قلت لك ذلك . ولم يشك لك احد هنا بان الافعى قد سدت عليه الطريق عند مجيئه الى الكنيسـة . لو انك تريد القيام بعملك ها هنا ، فخير لك ان تعي كلامي الذي قلت ، ولكنـك ان اردت أن تكون السحلية التي خربت دفن جنـازة امهـا ، فيمكنك ان تواصل عملك هذا ! » ثم التفت الى اودوج وقال له : يمكن أن تسمى بطرس أو بولص أو برنابا ، فان ذلك لن يضيرني قيد شعرة . ولست املك شيئا

10. Chinua A chebe, Arrow of God, PP. 58-60.

أوجهــه الى صبي غر يجمع جوز النخيل الى امــه . ولكن ما دمت أصبحت معلما لنا ايضا فاني سأنتظر اليوم الذي تواتيك فيه الشجاعة ان تقتـــل الافعى في اوموارو هذه . قد يملأ الجبان الارض كلاما ولكن عندما يحين وقت الحرب يهرب منها »[11] .

وذهب الصبي وحبس الافعى في حقيبته . ولم يحدث شيء في الحقيقة. غير ان اباه الذي كان القس الاكبر لهذا الاله يصاب بالجنون في النهاية . انها حبكة معقدة جدا وهي رواية ممتازة للغاية . وكذلك رواية « الاشياء تتداعى » وتتمثل قوتها في ان هذه الشخصيات ما زالت تأتي الينا افــرادا من الناس لانهم يواجهون او يرفضون ان يواجهوا هذا الصراع الثقافي ، رغم تطور هذا النمط العظيم من المجتمع .

في النهاية يتحتم على المجتمع ، وكل عضو فيه ، ان يواجه التحدي من اجل توحيد هذه التجارب المتنوعة التي تقدمها الحياة المعاصرة . ولاجــل توحيدها كي يعيش المجتمع مع نفسه بسلام وكذلك الافراد مع انفسهم ــ مرتاحي الفكر وقادرين على مواجهة كل تجربة جديدة تظهر . عند ذلــك فقط يمكن للانسان ان يبقى ؛ واهم من ذلك كله ، عندما يستطيع المرء ان يوحد افكارا جديدة ويطور فلسفات جديدة وهذا ما نريد ، وليس كثرة من الفلاسفة وتعاليمهم سواء كان من اوربا أو افريقيا .

---

11. Arrow of God, P. 60.

- ٦ -

فكرة التذويب

(منكوبيتي ، كمارالاي)

جانيت مكولي

سأبدأ أولا باعطاء خلفية لما يدعوه الجميع بصورة غير دقيقة الصراع الثقافي لاننا كلما كانت هــذه المصطلحات مألوفة لدينا أكثر أصبحت أقل تمثيلا للمواقف الواقعية • لو استطعنا ان ندعي ذلك عندما تتصل ثقافتان والناس الذين يتأثرون بهما يعقدون مقارنات بين الاثنــين ويتحتم عليهــم الاختيار بين القيم التي توضع موضع التطبيق والتأثير ، واتخاذ شكل من اشكال تركيب الثقافتين ، فاننا نستطيع ان نقول ان هنــاك ثلاثــة امور بديلة •

في حالة زنوج امريكا الشمالية أو جزر الهند الغربيــة حيث يكون السكان الملونون قد تطوروا لوحدهم تطورا اجتماعيا ، يجد المرء انهــم لا يستطيعون تجاهل هذه الثقافة لانه يجب عليهم اتخاذها بشكل من الاشكال من اجل ان يكتسبوا وظائف في الادارة وغيرها ، بما انهم يعيشون في بلد يسيطر عليه الاجانب (ممثلو الثقافة الاوربية الغربية) • وبسبب من التمييز العنصري ، فان هؤلاء الناس ، ضمن نطاق الحــــدود التي تمنحها لهــم الحكومة ، لم يكونوا قادرين ان يفقدوا السيماء السائــدة لثقافتهم التي انصهرت فيما بعد واختلطت بالسيماء السائدة للثقافة الاجنبية من اجــل

تكوين تركيب جديد . قد يكون هذا التركيب تطورا لا شعوريا يظهر على شكل موسيقى الجاز أو الكاليبسو .

اظن ان المرء يجد وضعا مشابها في اتحاد جنوب افريقيا في حالة تبلور وحيث يكون الناس في عزلة متزايدة عن مظاهر الحياة التقليدية الصغيرة وعليهم ان يكيفوا انفسهم بسرعة فائقة لمؤثرات السكان البيض السائرة بسرعة . في ظروف مثل هذه ستجد اناسا يحتفظون بالمظاهر الاقوى لارثهم الثقافي . وفي بقية اجزاء افريقيا ، افريقيا المستقلة حديثا ، جنوب الصحراء الكبرى لا يظهر الوضع بوضوح . يجد المرء جيلا جديدا من عملية اختيار الاتجاه الذي يمكنه ان يوجه فيه تطوير عمله . وهذا ما سنناقشه في مؤلفات مونگو بيتي وكمارا لاي من غرب افريقيا الفرنسية : مونگو بيتي من جمهورية الكامرون واسمه الاصلي الكزندر بابيدي . اما كمارا لاي فهو من غينيا .

سأبدأ بكمارا لاي .. لقد اثارت روايته « الطفل الاسود »[1] ضجة عظيمة في باريس لدى ظهورها عام ١٩٥٣ . ونالت عام ١٩٥٤ جائزة شارل بريان الادبية واصبحت في الحال رواية مهمة لان الصفوة الافريقية بدأت دراستها في ضوء خلفياتهم السياسية والاجتماعية وتفسيراتهم للحياة أو نظرتهم للعالم . وجه احدهم نقدا لاذعا لرواية الطفل الاسود ـ باعتبارها يوتوبيا افريقية مبسطة تصور حياة لا تمت الى الواقع بصلة انما تداري الرغبات الفاحشة للمجتمع الفرنسي المزيف .

« الطفل الاسود » قصة الشاب كمارا لاي في غينيا العليا حيث عاش الكاتب مع اهله واصدقائه . انها رواية تتسم بالاكتفاء الذاتي . ويدهش

1. Camara Laye, L'Enfant Noir, Librairie Plon 1954. Trans. as The African Child, Fontana 1955.

الانسان لعدم وجود شيء في تلك الرواية يأتيها من الخارج ، فلا يوجد تأثير للصراع الثقافي الذي لابد من وجوده في كوناكري في ذلك الحين . ولم يحصل تصادم بين شعور الطفل وبين بيئته في علاقته بما يحيطه . نفسيته تتاج صبي يترعرع في مجتمع تقليدي حسن التنظيم جدا . القضية الرئيسة التي تنشأ عن هذا هو النقد الموجه لكمارا لاي لانه لم يتناول ابدا المشاكل التي خلقها النظام الفرنسي الاستعماري . ولكن من الناحية الاخرى يتساءل الانسان اذا كان هذا النقد عادلا .

سأقتبس شيئا جاء في مجلة « الحضور الافريقي » العدد ١٦ نشر عام ١٩٥٧ بتوقيع أ. ب وهو الحرفان الاولان من اسم الكزندر باييدي الذي اسمه المستعار مونگو بيتي . انه لمن الممتع ان ندرس مؤلفات الكاتبين في ضوء هذا النقد الذي جاء فيه :

« كل من يقرأ رواية ريجارد رايت « الصبي الاسود » المؤثرة ويغريه ذلك ان يوازن الروايتين سوف يصدمه في الحال الضيق الرهيب في الافق وعمق النظرة لدى الكاتب الغيني . سوف يصيب هذا الكتاب بالخيبة كل من يجد في هذا القرن انه من الاهمية البالغة ان يصون الكاتب نفسه من ادب يبريء نفسه من الفن للفن . في الواقع ان المسألة موضوع البحث هنا ليست الكتاب بقدر ما هي العقلية التي اخرجت هذا الامر البائس . بما ان اختيار العنوان يدل ضمنا على التحدي ، فان ريجارد رايت يزدري حتى ابسط انواع مداعبة الذوق العام . فهو يطرح المسائل مهما كانت فجة . فهو يتجنب كل ما هو مبتذل ، تافه ، ساذج . اما لاي فانه قانع الى حد عنيد بكل ما هو مسكن ، سطحي ، خلاب ، وكل ما هو اكثر ربحا . هل هذا الافريقي الغيني الحاد الذكاء ، كما يريدنا الكاتب ان نعتقد ، لا يرى اي شيء سوى افريقيا الهادئة ، الجميلة ، الخالدة ؟ أمن الممكن ان لا يكون

لاي ، ولو مرة واحدة ، شاهدا لابسط محاكمات الادارة الاستعمارية ؟ »[٢] .

مما يبعث على الغرابة في ذلك الاقتباس اختيار بيدي ان يملي على الكاتب ما يجب كتابته . ألا يستجيب للاراء النقدية المقبولة سواء كانت نابعة من الزنوجة ام المقاوم لنفوذها ؟ يرى المرء ان هذا الرجل كان يجب ان لا يكتب ! انه غير ممتثل . ومع ذلك فان المرء يظن ان رواية « الطفل الاسود » بجوها المغلوق الذي يستبعد كل حديث عن اية ثقافة اجنبية ، ويستبعد اي اوربي فيها (اي انها تخلو من اي عنصر من عناصر العداء اذا تحدثنا بلغة الثقافة) فانها ستكون اقوى مبرر للزنوجة والمدافعين عنها ان يرحبوا بالكتاب بقولها ان هناك مجتمعا مستقرا ومستقلا عن المؤثرات الغربية وباظهارها محاسن ذلك . انه نظام قابل للتطبيق : المجتمع في صميمه يسعى لتقديم ضروب التسلية في كل اوجه الحياة الاجتماعية للقرية .

تلت رواية كمارا لاي « الطفل الاسود » روايته « جلالة الملك » المترجمة الى الانكليزية بعنوان « بهاء الملك »[٣] حيث نلتقي بكلارنس الاوربي الذي افلس ــ الامر الذي يعتبر حدوثه شيئا رهيبا للاوربي . فلم يعد يجد اية وسيلة تكسب عيشه ، ويتمثل له الامل الوحيد في اشتغاله لدى بلاط الملك . غير ان ذلك ليس امرا هينا بلوغه كما يظن ، لان كل مهمة لها مغزاها الروحي . فلكونه اجنبيا ، يجد انه لم يستطع التفهم والتعاطف مع ابسط المهمات كأن يكون طبالا مثلا . فهو يقول « هذا شيء بسيط . اني استطيع القيام بذلك . »[٤] ويقول له الشحاذ الذي يخاطبه : « لا ، ولكنك ترى ان الرجل ليس طبالا فحسب انما هو حاذق ، ومهنة

---

2. Présence Africaine, No. 16.
3. Camara Laye, Le Regade du Roi: in English The Radiance of the King, trans. James Kirkun, Collins Fontana, 1965.

الطبالة متوارثة في عائلته منذ اجيال • »(٥) ذلك الضرب من الصعوبة مـا يعترض سبيله طيلة الوقت • فعليه ان يكيف نفسـه للمجتمع الجـديد ، المجتمع الذي ليس بحاجة اليه باي شكل من الاشكال ، المجتمـع الذي تختلف مفـاهيمه عن الحيـاة وقيـم الحيـاة اختـلافـا كبيـرا عمـا لديه • واخيرا تستحوذ عليه فكرة البحث عن الملك الذي يأمل في مقابلته • انه السراب الذي يستدرجه الى التوغل في غابات مظلمـة فيهـا اناس لا يتعاطف معهم ، انـاس لا يفهمونه • اني ارى ان كلارنس يتحطم في اثنـا الرواية • فالرجل الذي نراه في مستهل الرواية لم يعد موجودا في نهايتها • وعندما يصل الملك اخيرا الى القرية ، يتفق ان يكون كلارنس باتنظاره • ويجد كلارنس انه لم يكن مستعدا لذلك الامر • فهو يجب ان يهب شيئا غير انه لا يملك شيئا • ويدرك انه قد خسر كل شيء ــ ليس ماديا فحسب، وانما روحيا أيضا • فلم يعد يملك شيئا ينتسب اليه •

ذلك جزء مهم من فكرة كمارا لاي لو اننـا تتبعناها في « الطفـل الاسود » حيث الجو الكثيف من حيث الاكتفاء الذاتي في موقعه الافريقي التقليدي ذاك • ونشعر ان الاوربي تصدمه حقيقة وجـود مجتمع مكتف ذاتيا ويترتب عليه ان ينسجم معه ضمن حدوده لو انه اراد البقاء • وعندما يقابله الملك يقول كلارنس :

« اصحيح ، يا سيدي ومولاي ، انك استدعيتني ؟ اصحيح ان رائحة جسدي لا تجعلك ترتد مرتعبا ؟ ومع ذلك لا يوجد من هو اشد خسة مني واكثر شعورا بالوحشة • ومع ذلك فانت يا مولاي ، راغب ان تجعـل نظرتك تلاحقني • ام ان ذلك لعله نابع من عريه ؟ ان عريك نفسه ، يبـدو ان نظرة الملك تقول ذلك ، هذا الخواء الرهيب فيك الذي يركع لي ، جوعك

4. The Radiance of the King, P. 39.
5. The Radiance of the King, P. 40.

الذي يشبعني ، ذلك الذي لا يمكن ان يوجد دون اذني ، والخزي الذي يثيره في نفسك . »(٦) .

وتصبح الرواية كلها ذات لهجة صوفية ، ويسعى كلارنس من اجل الخلاص . فينتظر الملك ليس من اجل الثروة المرتقبة التي اشار الملك بها اليه في البداية ولكن لانه يشعر ان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكنه ان يتمسك به . انه المستقبل الوحيد الذي يعرفه . فهو عندما يكون في حالة شبه شعورية ، اما ان يحلم بالملك او يراه أو يكلمه ، يشعر المرء انه يموت . تلك هي نهاية الرواية ؛ ولا تستمر . فهو اما ان يموت أو يستيقظ رجلا جديدا له أمل جديد وتفهم جديد للحياة . اظن ان ذلك التفهم الجديد هو جزء من عملية كلارنس في رد الاعتبار . ثم يقوم بتطهير وتنظيف جميع اهوائه والاشياء التي يعتبرها صحيحة في مجتمعه كأن يكون للانسان حقوق معينة لمجرد كونه انسانا — له الحق في الحصول على عمل ؛ وما شابه ذلك من المفاهيم الاساسية في الفلسفة الغربية — يضعها موضع الشك . ويدرك انه ليس بالامكان وجود جانب آخر . وفي النهاية يكون كلارنس دائم النعاس . وينام باستمرار . ولا يستطيع فتح عينيه . ونعاسه الدائم ، من عدم فهمه وعدم قابليته في التغلب على الصعاب وفهم الثقافة الغربية . والناس الغرباء الذين يعيش بينهم — وهناك رأي يعزو الميل الى النوم الى عدم قابلية كلارنس ان يكون اي شيء ايجابي ويسيطر على نفسه ويجد مخرجا من الكابوس الذي يعيش فيه . ولعل هذا النوم ، الذي يوحي بالظلام ، جزء من تفاعل الضياء والظلال الذي يستمر على مدى الرواية جميعا . انه اختيار رائع للالوان يؤكد فعلا العداء المستتر بين الابيض والاسود ، بين الحضارة الغربية المتمثلة بكلارنس ونابا الخالد ، الملك الافريقي الذي يمثل افريقيا عموما .

---

6. The Radiance of the King, P. 283.

ان رواية كمارا لاي الثالثة ، (حلم افريقيا)[٧] هي نقد لاذع ساخر لاخطاء الرئيس سيكوتوري السياسية ، ولا اظن انها تهمنا هنا كثـيرا • نستطيع ان نرى ان روايتيه الاولين توكيد ايجابي على تحقيق هويته • فهو يتحدى كل غريب عليها ان يتقبل هذه الهوية كما هي وان يحـاول تفهمها ثم يسعى من اجـل دمـج الاثنـين ــ كما استقبل الملك كلارنس اخيرا •

يمكن للمرء ان يرى كلارنس سوف ينغمر في المجتمع • ويمكن ان يعني ان الحضارة الغربية سوف تنشر بها افريقيا • ولكنني اشك في ذلك ، أو ان تطور الفرد هو العامل الجوهري في الحكم على الانسانية ، وليس العنصر أو اللون أو الدين أو التفكير السياسي • لعل ذلك يعني برأيي ، ان كمارا لاي لم يتحدث عن الجوع بصورة عرضية • لعله كان يعني ان هناك امورا تكميلية كثيرة بين الثقافتين • ما لم يكن الانسان مستعدا ان يرى الارث الافريقي التقليدي كما هو ، باعتباره شيئا منفصلا ، مستقلا ، ذاتي الاكتفاء ، وما لم يحاول من وجهة النظر تلك ان يفهم ويتعاون مـع الافريقي ، ما لم يتم ذلك ، فلا امل في وجود نقطة التقاء مجدية بين الطرفين• يرى من وجهة نظر التذويب ، لابد ان يكون هناك تذويب عكسـي • اي لابد ان يصبح الاوربي ، الى حد ما ، جزء من المجتمـع الافريقي لكي يفهمه ؛ بينما في الواقع السياسي الفعلي كان لابد للافريقي ان يكون دوما جزء من التيار الاوربي العام من اجل ان يفهمه ويخلق التركيب والتوازي بين الامرين •

يتفق هدا مع كتابات مونگو بيتي ذلك لانه مؤلف ينزع الى الشك ، كاتب ممتع • ولعله ليس بالمستوى نفسه من العمق والفخامة التي يتمتـع

7. Camara Laye, Dramouss, Librairie Plon, 1966, trans. James Kirkur as A Dream of Africa, Collins 1968.

بها كمارا لاي . ان روايته الاولى (مسيح بومبا المسكين)[8] عمل يناهض بشدة نفوذ الكنيسة . تفتتح الرواية بالاب الاكبر درومون المحترم الذي يجد ان مجموعة اتباعه في تناقص كبير ، وطفق يتساءل لماذا .

ويسأل :

« لماذا ، برأيك ، توقف الناس عن المجيء الى الكنيسة ؟ اتظن اني أتيت عملا اد٣ا في العشرين سنة الماضية ؟ »[9] .

ويرد عليه الطباخ زكري :

« اليك ، ايها الاب ، السبب الحقيقي له وهو ان من اندفع منا لتلقي الدين منك جاء بأمل في الالهام . اجل ذلك هو السبب ! شكل من الالهام ، مدرسة يتلقى فيها تفسيرا لاسرارك ، اسرار قوتك واسرار طائراتك وسكك حديدك وغير ذلك ، المفتاح الى لغزك الغامض حقا . بدأت بدلا من ذلك تخبرهم عن الله والروح والحياة السرمدية وغير ذلك . اتظن حقا انهم لا يعرفون عن كل ذلك قبلا ، قبل وصولك الى هنا بوقت طويل ؟ رسخ في نفوسهم الانطباع انك تخفي عنهم اشياء . ثم لاحظوا بعد ذلك ان بالمال يستطيعون الحصول على اشياء كثيرة كالمسجلات والسيارات ولعلهم يستطيعون ذات يوم الحصول على طيارات . وها انت ذا ، تجدهم يتركون الدين . فيهرعون الى اي مكان آخر حيث المال والمال الاوفر . »[10] .

وبهذا يخلق مونگو بيتي المشكلة الاولى ــ مجتمع لم يسبق له التعامل بالمال اصابه التفكك واضحى في وضع من الاختلال ليس بمجيء

8. Mongo Beti, Le Pauvre Christ de Bomba, Paris, 1960, Stock.

9. Le Pauvre Christ de Bomba.

10. Le Pauvre Christ de Bomba.

الدين الكاثوليكي فحسب وانما بمجيء المستعمر ايضا • لعل هذا جزء من الوضع الخاص في الكامرون الفرنسي السابق ، والمستعمرات البلجيكية – حيث كانت الادارة الى حد عظيم جدا بيد الكنيسة الكاثوليكية ، بحيث كان القس ، بالنسبة للانسان البسيط ، نوعا من الحاكم العام أو المندوب السامي وكانت بيده سلطات هائلة •

يبدو مونگو بيتي انه لم يكن في روايته الاولى ضد ايديولوجية الكنيسة الكاثوليكية ، غير انه لا يتفق مع تعاليمها غير الممحصة ومؤسساتها التي يعتقد انها في حقيقتها لا تفضل ما كان موجودا منها في سابق الايام • فمثلا ، البيت السداسي الاعضاء الذي يفترض فيه ان يكون دارا للشابات والنساء اللواتي يتهيأن ان يصبحن مسيحيات ليس في الحقيقة الا مصدرا للعمل الرخيص ويجد القس ما يثير اشمئزازه فيعرف انه يديره المعلم الديني الذي يستعمل الفتيات الستين في مبغى بالغ التنظيم : كل ذلك على مبعدة ستين خطوة من داره ! [وكل ما تلا ذلك يشير الى اهل بومبا الذين يبدو عليهم انهم زالوا] • ويدرك ان الذين اهتدوا الى دينه لم يكونوا متنصرين الا ظاهريا ، وانه كان يتعامل مع اناس متوحدين جدا مقتصرين على ارائهم الخاصة • وانهم يصلحون ابدا ان يكونوا غريبي الثقافة • وعند نهاية جولته حول اماكن انصاره ورعايا بعثته التبشيرية يدرك الاب دورمون انه لم يفعل شيئا من اجل تحسين حياة هؤلاء الناس • وفرقته التبشيرية الشيء الوحيد الذي يمثل الحضارة الغربية في المنطقة • ليس ثمة شيء يستطيع الاب دورمون ان يختبر بموجبه صحة قراره ، فوقع بسبب ذلك على اخطاء لم يدركها الا بعد عشرين سنة • ويعترف في النهاية الى موظف الادارة :

« اما انا فاني فاشل كل الفشل • لقد عبد هؤلاء الناس ايضا الله بدوني سواء كانوا يأكلون البشر او يرقصون تحت ضوء القمر أو يلبسون الافتاش المصنوعة من لحاء الشجر حول اعناقهم • فلماذا نصر على فرض

اساليب عبادتنا عليهم ؟ » ويضيف بعد ذلك قوله : « انت ترى اني افضل الا اكون امام الله بسبب الاستعمار . انا لا اود ان اكون في مثل حالتك يا مستر بيتان . ستقول اني استثناء بين المبعوثين . هذا صحيح ، واني لمتألم من ذلك . »[11] .

ويدرك الاب دورمون انه عين في شبكة كبيرة . يدرك انه موظف تنفيذي مثل مسيو بيتان ، فيستقيل من وظيفته .

غير ان رواية مونكو بيتي ليست احادية الجانب . فهو لا ينتقد الاب دورمون فحسب ، وانما يسخر من الشيخ الذي يمتلك زوجات عديدة ، ويضحك من المشعوذ ، ومن الناس المسنين ، ويهزأ كثيرا في (قرية ظالمة)[12] بموقف ثقافتين لم يكن للشاب ان يختار منهما كثيرا . في « قرية ظالمة » يذهب باندا الى المدينة ليبيع حاصله من الكاكاو . فيخدعه هناك تاجر يوناني بان يبخسه بضاعته ويعلن عن عدم صلاحيتها ، ليستردها بعد ذلك ويبيعها بثمن اعلى . ويلقى المصاعب امام العصابات الاجرامية ، ويتورط في قضية سرقة . كل السمات المميزة لحياة المدينة التي تلتبس على صبي وتكون عصية على ادراكه لانه عاش بعيدا عن ذلك الوضع في قرية قبلية ، تجدها مصورة في هذه القصة . ومع ذلك فان باندا ، عندما يفكر بذلك ، لا يملك شيئا يعود اليه . وهو يكره حياة المدينة ويعود الى اهله . ويدرك انه ليس لديه خيار بين الاثنين لانه حالما يعود ، يجد العجوز تونگا الذي يضجره حتى بانانيته الحافلة بالمواعظ المملة . فيقول في هذا الصدد :

---

11. **Le Pauvre Christ de Bomba.**

12. **Mongo Beti, Ville Cruelle, (Short Story) in Trois Ecrivains Noirs, Présence Africaine 1954.**

« صحيـــح ، لا يوجـــد فرق كبير بين الاثنـــين ـــ الرجل الابيض والعجوز • في الحقيقة انه شيء واحد • لا ، ان ذلك ليس شيئا صحيحا • بالنسبة للرجـــل الابيض هي مسألـــة مال بالدرجـــة الاولى وزيادة المال واكثاره ؛ اما بالنسبة للعجوز فالامر اشد صعوبة • عليك ان تستمع اليـــه طيلة النهار • عليك ، من الصباح حتى المساء ، ان لا تكف عن الاعجـــاب والاستحسان بما يقول • لا ، ان ذلك ليس صحيحا • ان الرجل الابيض لا يشبه تماما الرجل العجوز • »

ان مونكو بيتي كاتب موغل في الشكوك ، وشخصياتـــه ـــ امثـــال توندي صبي البيت في روايته الاولى (مسيح بومبا المسكين) وباندا بطل قصته (قرية ظالمة) ـــ شباب يتسمون بالسذاجة والتلكؤ أمام حضارتين : الاولى هي التراث التقليدي الذي اصبحوا منفصلين عنه باضطراد ، والتأثير الغربي المتمثل في حياة المدينة التي ينسجمون معها تمام الانسجام •

اظـــن ان المشكلة في روايات مونكو بيتي ـــ وخصوصـــا روايتيـــه الاخيرتين ـــ (البعثة الاخيرة)[١٣] و (الملك الخـــارق)[١٤] ـــ هي انـــه يسخر من كلا جانبي المسألة • فتجده لاهيا بها ، بحيث لا يستطيع الوصول الى مشكلة رؤية للخروج من القضية كلها • شخصياته الرئيسة من الشباب ، امثال توندي ، ميدسا وكرستوف في رواية (الملك الخارق) وميدسا في رواية (البعثة الاخيرة) وآوندا • فهم بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة • وقد تلقوا جميعا شيئا من التعليم ؛ ومع ذلك فهم غير ناضجين • ولا نستطيع ان نحكم ، من خلال هؤلاء الناس وتطورهم في الاوضاع التي يمرون بها ، على رأى المؤلف ، ولا نستطيع ان نستخلص نتائج عن صراع الثقافة في المجتمع الذي يصوره لان الشخصيات تحوم مترددة بين المدينة والقرية •

13. Mongo Beti, Mission Terminée, Paris 1957, Corrêa.
14. Mongo Beti, Le Roi Mire culé, Paris 1958, Corrêa.

فنتلكأ بين هذين القطبين ونبتسم قليلا ونسخر من التناقضات ، غير اننا لسنا جزء من الحوادث ، ولا نرى ابدا القرية هذه وهي في صميم الصراع . ولا نرى في اي جانب سيكون المؤلف .

ذلكم هو الفرق الرئيس بين مونگو بيتي وكمارا لاي — فرق في الاتجاه . اظن ان مونگو بيتي كاتب متكلف جدا .. وهو اكثر انفصالا عن الوضع في جمهورية الكاميرون من كامارا لاي . وهو يمتلك قلما ساخرا . ويبدو انه ينحدر نحو الهزل حالما يبتعد عن موقف دقيق . فلا يأخذ المرء الامر كله مأخذ الجد . ومع ذلك فهو اكثر واقعية لانه قد بين انه ليس ثمة خط واضح للحدود بين الشاب « المذوب » وبين الصبي القروي : ليس ثمة نمط واضح للاختيار ؟ لعله لا يوجد اختيار . وهناك طلاب امثال كرستوف الذين يذهبون الى بيوتهم في العطلة ، ويجدون ان المسنين من الناس مضحكين تماما كمعلمي المدارس . ولعل كرستوف سيكبر ويختار ما يحب ان ينقله من التراثين . ولعل منگو بيتي بهذا يصور مخرجا ابسط . فيرينا المجتمع الحديث في افريقيا كما يبدو لصبي يذهب الى المدرسة ، ويعود الى بيته ، ويجد انه لا شعوريا يوازن القرية بما تعلمه ، وانه لا يعرف ما يعمل في الحياة — هل سيصبح طبيبا ام شغيلا . انه لم يكن شيئا لحد الآن ، ولعل هذا هو حال افريقيا الراهن .

نحن في مرحلة حيث ننظر اماما وخلفا وتفكر بمشكلة التذويب . انها مشكلة ولكن ليس ثمة حل جاهز لها . ليس ثمة بلورة في الوقت الحاضر ، ولا يوجد شيء من ذلك في روايات مونگو بيتي .

يبدو انه اكثر تعاطفا مع موضوعه من كمارا لاي . كمارا لاي كاتب شديد العاطفة . غير انه عندما ينجح في جعل مجتمعه وقوته مفهومين ، فان المرء لا يملك الا ان يتساءل كيف يستطيع ان يطبق الاراء المفهومة ضمنا

في الرواية على الوضع الحاضر سواء كان ممكننا للغرب اعادة تقييم اهمية أهوائهم وارائهم عن افريقيا ، أو سواء كان ما يزال صحيحا ان افريقيا مجتمع محكم ، موحد ، متناسق • يبين مونگو بيتي انها ليست مجتمعا محكما فالاشياء فيها تتداعى • الجيل الجديد يذهب الى المدرسة ويتعلمون اشياء جديدة • ويعودون مكونين رأيا جديدا عن قراهم ويجدون اشياء كثيرة بانتظارهم • كيف يجب عليهم ان يشرعوا بعمل ذلك ؛ يظل السؤال بحاجة الى جواب •

اما من الناحية الادبية ، فان كمارا لاي يمتلك من الاشياء التي يقدمها اكثر لانه سيرمز الى مجمل عملية التطور التي حصلت بين افريقيا والغرب ولكن بصورة معكوسة • لقد بين العملية المؤلمة التي بواسطتها يجب على الشاب أو الشيخ ان يكيف نفسه الى ابسط امور الحياة في المجتمع الغربي• ولا عبرة في مقدار التضحية التي يجب ان يؤديها من اجل انجاز ذلك ؛ وهو امر مسلم به جدلا في الغرب • وتلك نقطة من اشد النقاط اللافتة للنظر في روايات كمارا لاي — وهي ان كل شيء يعتبر امرا مسلما به • ولا يشرح لماذا يجب ان تكون الامور كذلك • لا يشرح ، مثلا ، لماذا لا يمكن للحداد الذي يحاول بالطرق ان يصنع فأسا أن تكون متكاملة جدا بين يديه ، وانما يضطر ان يكدح جاهدا وبدون امل من اجل البلوغ بها حد الكمال ، لذلك فان هديته قد تكون بسبب الجهد المبذول فيها ، جديرة بالملك ، ولا يشرح مثلا لماذا يجب ان يكون ذلك السر الغامض حول الملك ولا يشرح مثلا لماذا يجب على كلارنس الا يكون قادرا على عمل اي شيء في المجتمع • ولن يعرف المرء اين هو موقع هذه الرواية • انها تتميز بالمحلية المتسمة بانعدام التنظيم والزمن • فيخترق كلارنس ودليلاه عددا لا يحصى من القرى والغابات • كل شيء يلفه الظلام • وقد لا يكون طائل وراء الرحلة كلها كما لا يكون طائل وراء مسألة التكيف كلها • لأي شيء سيكيف كلارنس

نفسه ؟ هل سيصبح افريقيا ؟ ذلك شيء بعيد الاحتمال . فهو لم يولد في ذلك المجتمع ، ولا يمكن ان يكون جزء منه . لا يمكن الا ان يشارك بشيء واحد الا وهو ان يكون جزء من جناح نساء الشيخ والمساعدة في رعاية النساء واضافة اطفال خلاسيين الى عائلة الملك الواسعة . وظيفته حيوانية صرف . التلقيح . لقد جرد اخيرا من كل سند يمت الى مجتمعه الاوربي .

قد يكون كمارا لاي كاتبا ايجابيا . وقد يقول : « لا شيء في ذلك . فانا وانت مختلفان تمام الاختلاف . ولست بحاجة اليك . غير انك ان أردت أن تعرفني ، تعال اليّ ، تعال وانظر ماذا افكر وكيف استجيب . » فليس هناك خضوع وليس هناك تنازل .

ان مونگو بيتي اكثر منطقية في مسألة التذويب . فهو ، مثلا ، يعتبر امرا مسلما به وجود معلمين بيض في حين لا يوجد اي اوربي ولا يوجد اي دار تبشيري في روايتي كمارا لاي . في رواية كمارا لاي الثانية (وفي روايته الاولى) حيث يدير المدرسة معلمون ملونون فان المدرسة لا ترمز الى الثقافة بقدر ما يمكن تفادي المجابهة .

ان عملية التذويب التي فرضها الاوربيون لم تكن الا ظاهرة سطحية ألمح اليها ضمنا مونگو بيتي في (مسيح بومبا المسكين) . ان الاشياء التي تظهر بوضوح انها غريبة في افريقيا ليست كذلك الا فترة وجيزة . فهي كذلك لانه يجب ان تكون كذلك . لكن بمرور مدة معينة من الزمن ، فسوف يحصل اسقاط لكل ما هو غير صحيح ، لكل ما ليس له اهمية في حياة الافارقة . سيكون هناك تعاون ، كما قال سنغور ؛ سيكون هناك تبادل بين ثقافتين ؛ ولكن لن يحصل ذلك الاختيار المؤلم لاتخاذ وجهة النظر . يرى مونگو بيتي ان عدم التراجع هو الافضل . فيجب الا تكون هناك قوى قسرية تخضع الاجيال النامية للمراقبة الدائمة . يجب ان يسمح لهم بالتطور والنمو في الاتجاه الذي تختاره شخصياتهم الذاتية .

- ٧ -

الاحتجاج على سياسة التمييز العنصري

الن بيتن ، نادين گور وايمر ، ايتول فوگارد ، الفريد هيجنن ، آرثر نورتج

دينيس بروتس

اني اتكلم باعتباري كاتبا من ناحية ـ كاتبا مقلا ـ يقوم بما يتيسر له كلما استطاع الى ذلك سبيلا ، لذلك فان مناقشتي للادب امر في وضع غير موات • ان انحداري من جنوب افريقيا يضفي ، حسب رأيي ، على كتاباتي وكتابات آخرين في جنوب افريقيا أهمية خاصة • وسيصبح ذلك أكثر امتاعا حسبما يراودني الامل ، لو انني حدثتكم عن الظروف وتفاصيل الوضع هناك في ما يخص حياة الكاتب •

قضيتي ليست امرا متطرفا ، لذا لا اجد ضيرا ان ابدأ بذلك • لقد منعت من الكتابة ومنعت من نشر اي شيء • ولم يكن هذان الامران قد صدرا بحقي مباشرة استنادا الى مرسوم صدر حوالي عام ١٩٦١ يقضي بمعاقبة كل من يقترف امورا هدامة أو استنادا الى تفسير هذا المرسوم ، منعت من مزاولة الكتابة • حتى الكتابة كانت تعتبر من الامور الهدامة حسب التأويل القانوني الدقيق • لذلك فانني بموجب ذلك التفسير منعت من الكتابة ولكن بعد ان اطلق سراحي من السجن عام ١٩٦٥ ، بعد ان كنت في جزيرة روبن ، رفعت اوامر المنع المفروضة علي في اليوم السابق لاطلاق سراحي

وفرضت علي مجموعة جديدة من اوامر المنع استمرت حتى عـام ١٩٧٠ • كانت هذه الاوامر تشمل ثلاثة امور ستصيبكم بالدهشة لغرابتها • أجدها الامر بمنعي من الكتـابة اطلاقا وهـذا يعني انني لن انشـر شـيئا ــ لمجرد كون الكتابة عملا جرميا • ولكن بالاضافة الى ذلك ، فانني لن اسود أي شيء يمكن ان ينشر • في الحقيقة ان امر منعي (الذي يحمل توقيع فورستر) يقضي على وجه الخصوص بمنعي من صياغة النداءات وبهـذا يكون حتى سطرا واحد من الكلمات امر غير مشروع • وهناك امر اخر يقـول انني لا يمكن ان اكتب أو انشر أو اهيء اي شيء يمكن ان ينشر •

ذلك امر معقد بالغ الصعوبة • ولكن يمكنك فهمه لو انك كنت تريد الكتابة ، ولو انك كنت تشعر احيانا انك لابد ان تكتب ، فان ذلك يدخل شيئا من الضرورة الملحة أو القوة في عملك • التقيت بزوجة اليكس لاگوما حديثا • كان يشتغل في رواية عندما كان مفروضا عليه الاقامة الاجبارية في بيته • واخبرتني كيف يدسون الاوراق بعد ان تكمل تحت فراش الارض تحسبا من غارة تشن عليه اثناء الكتابة ، فان الشعبة الخاصة أو الشـرطة السياسية لن تجد في آلته الكاتبـة سوى ورقـة واحـدة ولن تعثر على الاخريات •

لعل الطريق هذا ملتو قليلا في الوصول الى موضوعي الذي هـو في حقيقته عن : الاحتجاج على التمييز العنصري في الكتابة • اظن ان المرء يمكن ان يقول بكل جدية ان الكتابة اطلاقا تؤلف شكلا من اشكال الاحتجاج على التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، وخصوصا اذا منعت من ممارسة الكتابة ــ سواء أكانت الكتابة جيدة أم غير جيدة • لعل نتائج ذلك اكثر جدية لانها تمتد الى ما وراء الحدود الشخصية الخاصة • وهذا يعني ان عددا كبـيرا من الناس الذين يستطيعـون الكتابـة ممن يحتاجـون الى تبـادل الاراء حول المعلومات ،سينقطعون عن المجتمع • ولعلهم لن يتحدثوا اليه أو يخاطبونه،

أو يعبرون عن ارائهم وقد يكون لذلك فعله المعاكس ايضا •فهم لن يصمتوا فقط بل ان اولئك الذين يريدون الاستماع لا يستطيعون الاصغاء ايضـا ـ ان ذلك سلاحا ذو حدين • واظن ، وكلي أمل ، ان ذلك سيعطيكم فكرة عن نوع العقم والجدب الذي يبتدعونه في جنوب افريقيا في المجال الثقافي • ولعل ما يمتعكم ان تعرفوا اني لم استطع قراءة رواية اليكس لاگوما القصيرة لاول مرة الا بعد مجيئي الى بريطانيا • ولو ضبطت في حوزتي في جنـوب افريقيا لاعتبرت مستمسكا جرميا •

تلك هي حالة الكاتب في ظروف متطرفة نوعا ما غير اني اظن انـه من الجدير بالاهتمام ان نبدأ من تلك النقطة • ينحدر الناس الذين يحتجـون على التمييز العنصري مستعملين الشكل الادبي ـ كما يفعلون في جنـوب أفريقيا ـ ينحدرون من مختلف قطاعات الشعب • ويأتي بضمنهم ألن پيتن ونادين كورديمر ، وكـذلك أناس امثـال اليكس لاگوما وارثر نورتج ، ومجموعة هائلة من الناس الاخرين الذين قد يكونون مجهولين ومن المحتمل ان يظلوا كذلك لانهم لا يجرأون ان ينشروا • قد يكتبون ، وقد يتداولون مخطوطاتهم سرا ، غير ان النشر قد يعرضهم فورا الى وسائل الشرطة •

غير ان اهتمامي في الوقت الحاضر هو في محاولة تحديد الطرق التي يعبر فيها كتاب جنوب افريقيا عن احتجاجهم على التمييز العنصري • تلك هي المسألة التي تأسرني ، وهي مسألة اتمنى ان يأخذها بقية الناس بنظر الاعتبار أيضا • وبما انني بدأت مؤخرا أوليها شيئا من اهتمامي ، فانني اجـد اني استطيع ان اقدم بعض الاقتراحات غير النهائية ، وبعض التحديدات التجريبية• ولا اظن اني مؤهل ان ابين من الناحية العقائدية ما اظن انه قيد الحدوث •

اود ان ابدأ بألن بيتن[1] الذي يمثل احد اطراف ادب الاحتجاج في

1. Alan Paton, Cry, The Beloved Country, Jonathan Cape, 1948.

جنوب افريقيا ، ثم تحول بعد ذلك الى شخص آخر مثل اليكس لاگـوما الذي يمثل الطرف الآخر • وستجد بينهما اناسا امثال نادين كورديمر وايثول فوگازد كاتب الدراما • اود ايضا ان امضي بعض الوقت مع شخص عمله لسوء الحظ غير معروف • غير انه يستحق ان يعرف ، شـاب اسمـه ارثر نورتج[٢] الشاعر الذي نال شهاداته الجامعية من جنوب افريقيا واوكسفورد وهو الآن يلقي دروسا في كندا •

ان پيتن كاتب ممتع لانه افتتح ما يبدو لي فترة جديدة في أدب أفريقيا الجنوبية • الشيء الممتع فيه ان الاخرين كتبوا شيئا لا يقل منافسة عما كتب ألن پيتن في « أبك أيها البلد الحبيب » غير انهم لم يتحركوا في الدائرة التي تحرك فيها ألن بيتن • لو كنت تعرف « ابك ايهـا البلـد الحبيب » فانك ستعرف انها قصة بسيطة عن رجل اسود متصل بمجتمع لم يفهمه في الحقيقة تمام الفهم ـ مجتمع يجد نفسه انه غير قادر على مجابهته ، أو انه يجـد نفسه وقد امتصته اسوأ عناصر ذلك المجتمع • وينتهي مجرما ويوجه الاتهام الى المجتمع الذي جعل منه مجرما • كل ذلك بصراحة شديدة وبشـيء من الابتذال ـ ولا أظن ان بيتن نفسه سيهمه ان توصف روايته بتلك التعابير •

يجب ان لا يفكر المرء بمقولات اللون ، ولكن من الصعوبـة بمكان مقاومة التفكير بألن بيتن باعتباره رجلا ابيض ، متعاطفا يقف خارج المجتمع الافريقي الجنوبي بكل تعقيداته وتوتراته الديناميكية وتقليصه الى مثـل ذي مغزى اخلاقي ، الى حكاية بسيطة سردت بشيء من الغنائية التي اظـن انها احيانا ليست صادقة لانها تكاد تشبه نوعا من النثر الشعري ولكنه يسرد قصة اثرت في الناس وجلبت انتباههم • وحولت الى فلم ومسرحية ولمست فيما لمست ينابيع معينة من مشاعر البيض في جنوب افريقيا • انها روايـة

2. Some of his Poetry is to be published in Seven South African Poets, edited by Cosmo Pieterse, Heinemann.

جادة في موضوع إنحلال الثقافة الافريقية ومجتمعها ، رواية جادة عن عدم التطابق في ثقافتنا ، لن تنال القبول او لن تفهم ؛ وانما تقلص الى هـــذه العبارات البسيطة الاقرب الى الخرافة ، لقد كانت واضحة مفهومــة وكان لها اثرها .

لعلكم تعرفون انه كان لبيتن مقلدون غير معروفين عن جـدارة خارج جنوب افريقيا . وقد رأيت روايات وقصص قصيرة وطويلة غير متقنة تحاول ان تروي قصة الافريقي نفسها ، الافريقي البسيط الذي يعود من خدمـــة الاحتياط وتمتصه تعقيدات المنطقة المدنية ــ الحياة في الاكواخ بين عصابات المجرمين والهمج ، ويجد نفسه ضحية هذا النوع من المجتمع . لو كان لديك الوقت الزائد ، أو انك تستطيع ان تستغني عن الوقت الفائض لديك (أو حتى ان تضيعه) ، فانك تستطيع ان تلتفت الى الرواية الافريكانيــة ، أو الروايات التي كتبها الافريكان ، وانك ستجد مئات الروايات التي تسـرد الحكاية نفسها بالضبط . الفتاة البويرية البسيطة التي تذهب من المزرعة الى جوهانسبرغ حيث تتدهور اخلاقها وتنتهي في العادة الى بغي في احد احياء البيض الرخيصة . غير انها حكاية الشخص نفسه الذي يفشل في الانسجام مع مجتمع معقد قاس . وقد اعيد ذلك مرارا وتكرارا .

يبدو ان بيتن قد ادلى ببعض الحقائق البسيطة ، وذلك ، طبعا ، احتجاج بيتن على التمييز العنصري . ذلك هو احتجاجه . وكل ما قال في مكان آخر على شكل رواية لم يواز ، حسب ظني ، هذا الهجوم المباشر الذي وجهــه في رواية « ابك ايها البلد الحبيب » ولا اظن ان اجود هجومه كان في « ابك ايها البلد الحبيب » انما ارى انه يترتب ان نقرأ « كراسة » صغيرة سماها « لما بكى الشعب » الجميلة المؤثرة ، وهي وثيقة لاذعة تفوق « ابك ايهــا البلد الحبيب » لعل موطن قوة بيتن حقا في كتابة الكراريس وليس تأليف الروايات .

اما نادين گورديمر فهي كل شيء ليس في پيتن • كتبها أشـد تعقيـدا ، كما ان شخصياتها اكثر تعقيدا • انها شخصيات اناس محنكين للغايـة • عواطفهم ومداركهم ، والمشاكل التي تعترضهم من نسق آخر تماما • غير ان نادين گورديمر ايضا تقوم بالاحتجاج على التمييز العنصري • وهذا هـو موضوعها ولهذا منع كتابها « العـالم البرجوازي الاخير »[٣] في جنـوب افريقيا • وهناك تعليل بسيط لذلك : نجد الشخصيات الرئيسة السـود والبيض ، في نهاية الرواية ليست على حافة تجربة عاطفية فحسب بل جنسية • واذا كانت حكومة جنوب افريقيا لا تتجهم اذا دخل الناس السود والبيض في علاقات عاطفية (ولا اظن انها تفعل ذلك ، فهي تغضب من ذلك ايضـا) فالعلاقات الجنسية امر محرم حتما • وقد قال الناس ان (العالم البرجوازي الاخير) قد منعت لان نادين گورديمر اقترحت فيها امكانية اقامـة علاقات جنسية • ولا اظن ان هذا صحيح • انما اظن ان الرواية كلها تتضمن نقدا وادانة لمجتمع البيض في جنوب افريقيا : الظلم فيها ، وفقدان الاحساس ، وفقدان الاتصال ليس بين السودوالبيض فقط وانمـا بين البيض والبيض أيضـا •

اظن ان نادين گورديمر حاولت ان تقول « في العـالم البرجـوازي الاخير» ان جنوب افريقيا البيضاء اصبحت مجردة من الانسانية ، وانهـا تخشى ان تعيش وتشعر كما يعيش البشر ويشعرون لانها وافقت ان تعيش وفق مجموعة من القوانين اللاانسانية في حد ذاتها ، وبما انها ارتضت تلك الفذلكة ، فان عليها ان تراقب ذبول الروح الانسانية فيها • لابد ان يبـدأ الضمور فيها • ذلك هو ، برأيي ، جمالها النقدي : وهو برأيي احتجاجها • وهناك عيب ، اخشى ان تجد نادين گورديمر الروح الانسانية نفسـه في مجتمعات اخرى • هذا لان لدى نادين نوعا من الصفة غير المشخصية التي

3. Nadine Gordimer, The Late Bourgeois World, Gollancez, 1965.

تجدها تحت الميكروسكوب • وهي نفسها لا تستجيب للشعور • ففي كتبها نجد حتى العلاقات العاطفية امرا مفروضا وهي صور مستحضرة ، مصطنعة • ومع ان نادين گورديمر ستقول انها تدين المجتمع الجنوب افريقي لتجرده عن الروح الانسانية ، فاني اقول ان نادين گورديمر احد ارق كتابنا شعورا هي المثل القائم الحي ايضا لكيفية تكوين مجتمع جنوب افريقيا المجرد من الروح الانسانية ــ وان فننا مثلها بحاجة الى الحرارة ، بحاجة الى الشعور ، غير انه يستطيع ان يرى بتجرد وبرود الالة • انها ــ المؤلفة ــ ليس فيها اي حرارة أو شعور •

وبينهما يأتي ، برأيي ، ايثول فوگارد • انا لم ار مسرحيته « عقدة الدم »[٤] واظن انه مما يستوجب الايضاح انها عندما مثلت اول مرة في جنوب افريقيا ، انما عرضت في مراكز محدودة من المشاهدين البيض فقط • ثم حصل بعد ذلك اتفاق ان تكون ليال منفصلة ليلة للسود بعد اسبوع للبيض • ثم دعيت للذهاب في احدى الليالي « البيضاء » والجلوس مع الرجل المسؤول عن الانارة • كان ذلك امتياز يمنح لي غير انني رفضته • لذلك لم ار « عقدة الدم » واظن انه يجب علي الانتظار حتى تعرض في بريطانيا ثانية • ما نريد ان نراه هو الى اي حد استطاع ان يحتج ايثول فوگارد •

اختار پيتن شكلا قصصيا بسيطا • أما نادين گوريمر فقد اختارت شكلا معقدا متكلفا يعادل هجوما ملتويا على جميع الاهمية البنائية للمجتمع في جنوب افريقيا • اما الشكل لدى فوگارد فهو درامي • وهو يريد ان يقدم مشكلة التمييز العنصري باكملها على شكل صدام (فتلك المسألة هي من الامور التي تهيمن على عمله ، وهي السائدة لديه) • لقد تناولها

4. Athol Fugard, The Blood Knot, Simondium, South Africa, Penguin, 1968.

في « عقدة الدم » بصورة ذكية من زاويتين ـــ الصـــراع والاتحاد ـــ لان السود والبيض اخوة في الدم ، كما هو شأنهم دوما في جنوب افريقيا • لقد تحول واحد منهم الى اسود ، وتحول آخر الى ابيض • وحسب مفـاهيم المجتمع ، فانه يتوقع منهما ان يعيشا في عالمين مختلفين ويكون لهما مجموعة من القيم مختلفة تمام الاختلاف • المشكلة التي تجابه الاخوين هي كيفية ترويض نفسيهما وهما يعرفان انهما ينتميان الى عالمين مختلفين • ويكتشفان الصراع الكامن فيهما • ويكتشفان ايضا نوعا من الرابطـة التي لا يمكن لهما خرقها • عليهما أن يتشاجرا ، لابد لهما أن يتضاربا ، ولكن لابد ايضا ان يتحابا ـــ تلك هي العقدةالتي تربطهما سوية •

لقد حول فوكارد ذلك بالرمز عامدا الى رابطة فسيولوجية صـرف • انها عقدة الدم • وقد قدم دان جيكوبسن تلك المشكلة نفسها ببراعة اكثر في مسرحيته « رقصة في الشمس »[٥] حيث يبين الاعتماد العظيـم الجميـل للغاية المتبادل بين الخادم الاسود ومخدومه الابيض • انه تقديم معقد كثيرا غير ان تقديم فوگارد من النوع الدرامي ، والحل ، كما يحصـل دائمـا في الدراما ، حل درامي صرف • ولا يتحدث بشيء عن المجتمع ولا يقدم للمجتمع اي حل سوى هذا الابتعاد والاقتـراب الدائمين • تلك هي العقـدة التي تربطها •

هذه هي طرق ثلاث : احتج فيها اناس على روح التمييز العنصري • لو شئت اتلو عليك قائمة طويلة بالكراريس والمقالات وحتى الكتب غير الادبية او التي تشجب التمييز العنصري شجبا غير ادبي وغير خلاق • واجمل مـا خرج منها في جنوب افريقيا وهو «الطريق الى غانا»[٦] تأليف الفريد هيجنسن وتتميز بالبراعة والزخم ، بالبساطة والمباشرة ، وابدع ما فيها عذوبة لغتها

---

5. Dan Jacobson, A Dance in the Sun, Wiedenfield and Nicolson 1956, Penguin 1968.

6. Alfred Hutchinson, Road to Ghana, Gollancz, 1960.

حيث صياغة جديدة للمصطلح والصورة التي لم ار ما يماثلها لدى اي كاتب اخر من جنوب افريقيا • ومما يؤسف له ، يبدو انه فقد كثيرا من ذلك منذ مجيئه الى بريطانيا • لعل الاتصال المباشر باللغة الانكليزية قد فعل في ثلم حدة سمعه ولسانه • لست ادري • ولكن الامر المؤكد المؤسف حقا ان عذوبته قد زالت ، لاني كنت اعتقد انه يوم نشر «الطريق الى غانا» كان الكاتب ينتظره مستقبل مرموق في جنوب افريقيا • كنت اعتقد انهسيوطد مكانته في بريطانيا ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك •

اود التحدث عن ارثر نورتج الذي فزت معه بجائزة (مباري) في الشعر في الوقت نفسه (مع الفارق اني رفضت المال لأني رفضت قبول الجوائز على أساس عنصري ـ فقد كانت مسابقة للسود فقط) • يشترك كلانا بنيل جائزة مباري ، وانه ايضا كان تلميذي في المدرسة الثانوية ـ ولكن هذا خارج عن الصدد •

اظن انه اجود شاعر اطلاقا في جنوب افريقيا • مما هو ممتع بصورة خاصة هو ان خيرة شعره نظمه في بريطانيا وخصوصا بعد ان خابت اماله بالعودة الى جنوب افريقيا • ويبدو انه منذ ان جاء الى بريطانيا صار يتمهل فيما يكتب خشية السجن اذا تحدث بصراحة وعاد الى جنوب افريقيا ـ واني متاكد انه لابد ان يعود اليها • اما الان فقد روض نفسه على عدم العودة الى وطنه • ومنذ ان وطد عزمه على ذلك ، فقد اكتسب شعره حرية هائلة • ولكن حتى قبل بلوغ شعره تلك القابلية فقد اتسم بالعذوبة والقوة بحيث يمكن ان اعتبره جادا اجود شاعر يظهر في افريقيا • ان ما يقوم به الان افضل مما قام به سابقا بما لا يقاس • يركز نورتج في نفسه وفي عمله على جوهر الاحتجاج على التمييز العنصري • في نورتج تضع يدك على الانسان الموهوب ـ ولا اهمية لكونه اسود او ابيض ـ الانسان الموهوب الذي يجرأ ان يسمح لنفسه بالتطور لان في عمله ذلك وفي النظر باخلاص الى مجتمع جنوب افريقيا اليوم ، يمكن ان يؤدي به الى السجن •

الوضع لكثير من الناس أشد حزنا • فهناك أناس في جنوب أفريقيا اليوم صاروا على وفاق مع سياسة التمييز العنصري وتقبلوا المجتمع ولذا فان كل مايكتبون محدود (مع وجود كتاب يريدون الاستمـــرار على الكتابـــة سواء شعرا ام نثرا) • لقد سدت مساحات واسعة من التعبير امامهم • وهذه اشياء يرونها حولهم • يرون انسانا يضرب في اقرب موقف سيارات لانــه لايملك تذكرة ، ولكن عليهم ان لايستجيبوا لذلك لان ذلك جزء من المجتمع الذي لايمكن لهم التحدث عنه • انها منطقة لايمكن لهم اجتيازها في اعمالهم، ولذلك لا يمكن ان يسمحوا لانفسهم ان يدخلوا فيها تجاربهم ، وملاحظاتهم، لانها تتطلب التعبير عنها ، او على الاقل ، ان تشق طريقها للدخول في كتاباتهم •

لذا فاننا نجد مجتمعا مجدبا تقريبا من الكتابة الجديرة بالاعتبار لان الناس قد تقبلوا بعض القيم في ذلك المجتمع • اني اعرف بوجود جميـع المسائل القديمة بخصوص ايداع الناس السجن واشراكهم في التهم واخـذ التعهد منهم • أفضل ان توارى خجلا عن ذلك • صحيح برأيي ان الفنان ، والكاتب ، انسان يعيش في مجتمع خاص ويلتقط صوره وافكاره من ذلك المجتمع • يجب ان يكتب عما يرى حوله ويجب ان يكتب بصدق عنه والا سيكون على وفاق مع كل ما هو قبيح فيه ، ويتظاهر انه غير موجود او انــه غير قبيح • بفعله ذلك يعزل نفسه عن قطاعات واسعة من التجربة ، قطاعات واسعة من التعبير • ذلك هو الثمن الذي يجب ان يدفعه لانه عزل نفسه عن زميله الانسان • وقد حرم نفسه من الاقتراب من مشاعرهم ، والقابلية على الدخول الى تجاربهم والتعاطف معهم • وما انه يجرد نفسه من ذلك لابد ان يعاني عمله نتيجة لذلك •

وهذا هو سبب وجود الاحتجاج في الكتــابة عــلى التمييز العنصري والسبب في وجود استمرارنا على الاحتجاج •

- ٨ -

اجيال في صميم الصراع

(آما آتا اييدو ، ج . ك . دوگراف ، سريف ايسمن)

جورن ناجيندا

انه لامر مغر ، مع اعتقادي بخطئه ، ان يمسك المرء بعنوان مثل هذا .. « اجيال في صميم الصراع » ويلقيه على عاتق كاتب ، ثم يحكم من بعد ذلك على ادبه ضمن حدوده الدقيقة . سيكون الحيف الذي ينزل به اقل لو انـه قصر جهده على الموضوع وهو متمكن منه ، فانه سيولي عنايته له موجهـا ملاحظاته التي تنم عن فحص دقيق . والا لكان مفهوما لو انه ، وهو المهتم بمواضيع عديدة ليس هذا الا احدها ، تناوله وحده مطلقا احكاما عامة فانه في هذه الحالة ستكشف الدراسة الدقيقة للموضوع التشويهات الفاضحة التي اصابته .

اقول ذلك كله لان المسرحيات الاربع التي سأناقشها ليست اساسـا عن الصراع بين الاجيال وهي ـ (بنون وبنات) تأليف ج.ك دي گرافت ، (حيرة الروح) تاليف اما اتا اييدو ، (والدي العزيز والغول) و (مسرحية الوطنيون الجدد) تأليف ر. سريف ايسمن . ويبدو انها تهتم كثيرا بتعداد الحوادث ـ فهي جميعا وبدرجات متنوعة ، تسرد قصصا تهم أجيال الشيوخ والشباب ، وغالبا ما يقع الصراع بين الاثنين ، غير ان سوء التفاهم غالبا ما يقع بين الشيوخ والشيوخ ، وبين الشباب والشباب . وعموما يكون الصراع بين الاجيال في مسرحية اما اتا اييدو اشد منه في مسرحيات ايسمن . هذا

وان ايسمن اشد هوسا — واقول ذلك عن وعي — بالفروق الاجتماعية منه بالاعمار • غير ان الانسة ايدو تهتم اكثر بما يمكن ان نطلق عليه ضعف الانسان وغربته عن خلفيته الوطنية عما هو في ابناء جيله •

لذا ، فان ما انوي القيام به في حديثي هذا ، هو مناقشة المسرحيات بوجه عام ، محاولا ، اذا اسعفني ذلك ، الا احيد كثيرا عن العنوان الذي اتخذته لحديثي ، ولكن قبل الولوج في ذلك ، اود ان اناقش هذا العنوان لحظة واحدة •

اني على يقين انكم تتفقون معي ان الابوين في نزاع منذ البداية بسبب سلوك ابنائهم • والابناء ، من ناحية اخرى ، يعبرون عن برمهم ببطء حياة والديهم ، وضيقهم في الوقت نفسه ببرم والديهم بهم تتفقون معي ان ذلك ليس امرا جديدا ،وانه علاوة على ذلك امر محتوم ومناسب لحدوث هذا الصراع •

قد تأتي ، بين حين وحين ، احداث خارجية عظيمة كالحرب او المجاعة بغربة بين الجيلين اعظم مما هو معتاد • وقد ينشأ الاطفال اثناء الحرب دون تربية الوالدين ورقابتهم • وقد يولدون بعد مجاعة دون ان يكونوا قادرين على تقدير اتجاهات والديهم ، الذين تحكمت بهم ظروف الكارثة ، حق قدرها • وصار شباب اليوم في كثير من بقاع العالم يستخدم قوة تكاد تكون جديدة للغاية • فهم ينتجون الاشياء التي يستهلكونها ، ويغنون اغانيهم الخاصة بهم ويصنعون ملابسهم ويشترونها ويلبسونها وغير ذلك • اما في افريقيا ، فانه بتزايد فرص التعليم ، وتكاثر الوظائف العليا بسبب حلولهم محل المهاجرين (الاوربيين) ، فان جيل الشباب المتعلم يقفون ، كما يبدو ، معارضين جيل الكبار • علينا مرة اخرى ان نكون حذرين • بلغت اغلب بلدان افريقيا حالة التطور هذه قبل وقت قريب ولا يصح القول ان اهل البلاد الاصليين لم ينالوا هذه الفرص الا في الوقت الحاضر ، ولا يصح القول بان

الفروق بين طفل اليوم وابويه هي فروق بين المتعلمين والمثقفين وبين غير المتعلمين والجهلاء .

قد يظن انك اذا استطعت ان تجد ابا غير متعلم وتقابله بابنه المتعلم فانك عندئذ تجد حالة واضحة المعالم لاجيال في صراع اشد من اي وقت في تاريخ افريقيا — وان الاب سيكون مع التراث وابنه ضده . ولكن هذا الظن لا يصح ان يكون . خذ مثلا حالة الطفل الذي يقاوم تعليمه ، ويقاوم جعل ثقافته غربية . ففي الوقت الذي يفرح الوالد ان يكون الطفل كالبيضة، يثور الطفل على ذلك . من الواضح ان الصراع في مثل هذه الحالات يختلف من فرد الى اخر ، وليس له الا علاقة طفيفة بالكبار .

هذا وقد اشبعنا هذه النقطة هجوما ، فاني اود ان اقول شيئا قبل ان اتحول عنها ، وهي ان هناك مجالا يمكنك ان تجد فيه صدعا اوضح — ألا وهو مجال الجنس ، وبالتالي الزواج . غير انه من الممتع ايضا ان تلاحظ انه في كثير من المناسبات في الوقت الذي يقول فيه الاب : « ولكن هل تسمح لابنتك ان تتزوج احدهم ؟ » فان ابنه يجيب : وهل تسمح لاختك ان تتزوج واحدا ؟ »

ثلاثة من هذه المسرحيات التي تهمنا تعني بهذه المسألة ، والرابعة وهي من تأليف گرافت ، تهتم بمجال توتر شائع اخر ، وهو ان للوالد رأيا في تعليم اطفاله . من الجلي ان هذه المسائل عالمية الانتشار وليست مجرد افريقية . وقد تناولها فنانون عديدون مرات عديدة . فكيف تناولها الجماعة هنا ؟ لذلك اعود مرة اخرى الى المسرحيات نفسها .

لنأخذ اولا مسرحية « بنون وبنات » تاليف ج . ك . گرافت [1] .

---

1. J.C. de Graft, Sons and Daughters, 3 Crowns. Oxford University Press 1964.

شخصياتها هي جيمز اوفوسو وعائلته ــ الزوجة ، حنه ، الابن الاكبر ، الدكتور جورج افوسو ، وولدان صغيران ــ ايرون يريد ان يصبح فنانا مع ان اباه يريده ان يكون مهندسا « ميكانيكيا » والبنت مأنان تريد ان تكون راقصة ولكن أباها يريد ان تصبح محامية • وهناك ايضا العمة التي تريد مأنان ان تتزوج المحامي بونو الذي ينقلب الى وغد فيما بعد •

على انه اذا كان لابد ان تقول : « اجل ان في هذا صراعا بين الاجيال ــ الشباب يريد أن يكون فنانا ــ والكبار يريدون نجاحا ماديا » • فيجب أن نقول ان دي گرافت يرفض التغاضي عن مثل هذا التبسيط • اما الام فمع انها من جيل الاب ذاته ، ومع انها لم تتح لها فرصة التعلم في المدرسة، فانها راغبة ، شديد الرغبة ، ان تدع أطفالها يفعلون ما يشاءون وخصوصا عندما تدرك ان عفة ابنتها في خطر عظيم سيبعث بها بونو المحامي الذي تشتغل لديه•

المسرحية اجمالا هزيلة يمكن التنبؤ بها • ولغتها في الوقت نفسه ميلو درامية رتيبة ، وهي لغة لا تساعد المسرحية ان ترتفع عن الارض • وما دام لا يوجد توتر درامي شديد او حركة في المسرحية فان المشاهد حتى ولو اعترف بواقعية الحدث ، لايندمج معها • وكثيرا ما نقع على اسهاب في الكلام بدل الحوار الواقعي • ولا مفر لي من الشعور ان يكون دي گرافت اكثر تمكنا في كتابة النثر المباشر سواء القصص القصيرة او المقالات •

غير انك ان وازنت بين هذه المسرحية او مسرحيتي ايسمن فانك ستكشف فيها سجية وطيدة للواقعية رغم فظاظتها ، ولا تجد ذلك دائما لدى ايسمن •

ان مسرحيتي ايسمن : والدي العزيز والغول [٢] ، والوطنيون

2. R. Šarif Easmon, Dear Parent and Ogre, 3 Crowns, Oxford University Press 1964.

الجدد [٣] ، من النوع الذي يمكن ان يطلق عليه اسم ملهاة بهو الاستقبال ، حيث يكون الحوار الذكي عاملا سائدا فيها • (وقد بلغني انهما استقبلتا في سيراليون ، بلد المؤلف ، استقبالا حافلا في الليلة الاولى بحيث غصت حتى المماشي بالمشاهدين) • غير ان الذكاء والفطنة ليس كل شيء فيها وكما يقول الاعلان على ظهر المسرحية « الوطنيون الجدد » هذه ملهاة عصرية في المغامرة الرومانسية والمكائد السياسية والفساد • وهي ايضا مسرحية خلقية تفضح فيها المطامع المادية دون رحمة •

يوجد في المسرحيتين شيء من الصراع بين الاجيال فتناقش سلطة الاب ، وكذلك استقلال الشباب • في احد مواقف مسرحية « الوطنيون الجدد » تطلق ما مي واحدة من جيل الشباب على ابيها « لقبا » وتشير له باصبعها الى الخارج حيث الظلام ويخرج ابوها حانقا • غير ان ايسمن اكثر اهتماما بالصراع الذي تسببه الفروق الاجتماعية • ان المتعلمين ، ويقصد بهم ايسمن، المتعلمين الغربيين الذين يمزجون فرنسيتهم باللاتينية مع الانكليزية ، ويناقشون امور شوارع العالم وطرقه ، تجدهم منفصلين عن غير المتعلمين الى الابد • وان لم تكن من الناحية العلمية فمن المنزلة الاجتماعية •

في « أبي العزيز والغول » يقدم الاب والغول داودا توري باعتباره رجلا جيد المعرفة ، كثير الاسفار عاش في باريس وروما ولندن • كريم المولد، بعض اجداده كانوا ملوكا • يقابل الاب بابنته المتزوجة من محمود النقابي ، الرقيق المعتوق ابوه • ويقابل الاب ايضا بسيكو كوياته من ابناء الغابات السود • وبذلك يقدم التيارات الاجتماعية الرئيسية الثلاثة : البدائيون والكريوليون (المولدون المختلطون) ، والافريقيون المعتقون •

المسرحية ايضا سياسية حيث يقوم داودا توري بقيادة المعارضة وقبل

---

3. R. Sarif Easmon, The New Patriots, Longmans 1965.

نهاية المسرحية يصبح رئيسا للوزراء . لعل هذا الجانب من المسرحية اكثرها ايغالا في عدم الواقعية ، ويحدث اغلبه خارج المسرح ، حيث يقدم لنا سردا مجـردا .

في مسرحيات ايسمون نقف عموما على لحظات دراميـة بالسـرد لا بالمشاهدة . ولاجل ان يجعلنا نشترك في شغب فضيع ، تسرد علينا (ماهما) في (الوطنيون الجدد) الوصف التالي

« طوفان بحر من الوجوه الشابة الغاضبة السود اندفعـت بيني وبين ابي ـ وقد جرف بعيدا عن مقدمة البيت اما انا فالى الداخل . انـه شيء مروع ـ مروع ان تسمع زعيقهم بهذا الشكل محطمين الاثاث في البيت ... فاصابني ذعر شديد وتأكدت انهم سوف يغتصبونني ويقتلونني.غير اني سمعت صيحة رعب في الممر خارج غرفتي وصوت قبضة جبارة تنزل شديدة على عظام فكوك كثيرة »[٤] .

قبضة واحدة جبارة تقابل بحرا كاملا ! ان ابطال ايسمون يتسـمون كثيرا بالبطولة الزائفة . ويتميز بناء مسرحيات ايسمون اجمالا بشيء ليس في واقع امره صفة كاريكتيرية .

ليس خلافي الكبير معه انه كتب مسرحيات غير مقنعة فحسب بل علاوة على ذلك انه تحمل صفة متفنجة زائفة متكلفة فحسب وهي دليل ضعف كبير. واذا سلكنا طريق الفطنة وجدنا فيها متعة ضعيفة محيرة بوسعي ان اطلق عليها اسم راج فيكتوريا المفعمة بأمثال هذه التعابير : والله ، وحق جوبيتر، لسوء الحظ وما شابه ذلك . ان في ذلك احيانا تسلية غير مقصودة . فمثلا ، بعد ان اطلعنا على ما قام به المتمردون من تخريب في المدينة نسمع جون ابن رئيس القضاة مطمنا النساء على سلامة أبيه بقوله « أظنه سالما سلامة البيوت ...

---

4. The New Patriots, P. 75.

وتجيبه فايولت : « كلامك صحيح كالعادة ، لقد تستع جورج باعتباره مصلحا عاما ، بيوم حوتي الروعة »[٥] • ثم بعـــد ذلك نجد باريرا وهي الارملة الجذابة للغاية في الخامسة والعشرين التي كثيرا ما كان يجري رئيس القضاة وراءها تقول باكية : « لم يبق فيّ من الحياة وخيرها شيء ، يا خاطبي الخائب• ولا اظن ان جورج لايستأهل من ذلك الخير القليل شيئا»[٦] ويقول سبيدو لابيه في احد المواقف في مسرحية « ابي العزيز والغول » وها نحن ، ايهــا الشيخ مرحان كالفراشات ، مبتهجان كزوجــين من ظباء ملكيــة »[٧] • في موقف مهم عندما يتصالح الاب والباقون ، تلقي سياتا يديها حول رقبتــه وتقول : ايا ابي يالقوتك الثورية ![٨] « واستطيع ان استمر في ذلك » •

لعلنا نظن ان كل ذلك نوع من الهجاء ، وان ايسمن يقف خارج نطاق هذه الكوارث مشيرا اليها • اظن ذلك ليس صحيحا ، لانه حتى في توجيهاته المسرحية يكتب بالاسلوب نفسه ، اذا تجاوزنا نكهة المسرحيات • واذا كان قصده من ذلك فضح العالم المزيف ، فلابد انه اهتم بالبقاء خارجه • بقي هناك موقف اخر رائع يوجز عالم ايسمن • نجد رئيس القضاة الذي مر بنا ، يخرج مخاطرا بحياته يهدىء الجماهير وقد جلبته مجموعة منهم الى باب زوجته المقبلة • فيدق الجرس فينتظر جميع من في البيت ، وبضمنهم ابنه جــون ، حتى يدخل الخادم ويعلن وصوله ، ثم يدخل رئيس القضاة الغرفة •

اما مسرحية آما اتا ايدو « حيرة الروح » هي خير المسرحيات الاربع وكما في قصصها الناجحة التي قرأت « ومنها تخفيف المشــروب »[٩] التي

5. The New Patriots, PP. 75-76.
6. The New Patriots, P. 88.
7. Dear Porent and Ogre, P. 99.
8. Ama Ata Aidoo, The Dilema of a Ghost, Longmans 1965.
9. Ama Ata Aidoo, In Cutting of a Drink.

(احشكم على قراءتها) ، يبدو ان ايبدو تفكر في لغتها عندما تكتب عن ابناء الريف ثم تترجم ذلك الى الانكليزية • ان آيبدو ليست بطبيعة الحال فريدة في مجالها هذا ، غير ان كثيرا من ترجماتها مباشرة ودقيقة بحيث تشعر باصالتها دون الاشارة الى الروح الافريقية العاطفية ـ التي اقصد بها نوعا من الانجيل الذي اصبح شديد الاهتياج • تبدو لغة اما اتا ايبدو انها كل ما ليس في لغة ايسمون :

تتحدثين يا اختي
كأن الايام انقضت
عندما غسلت اليد اليسرى اليمنى
واليد اليمنى غسلت اليسرى [١٠] •

وهـذا :

هدوء يا ولدي • ودعني احدثك الان لان شيئا قد وخز جرحي • لقد تصلبت ركبتاي من كثرة الانحناء امام الاغنياء ••• ما اشد ما سيضحك عليّ اصدقائي وراء ظهري الان »[١١] •

بطبيعة الحال ، في مرات قلائل ، لا تنجح ترجماتها كثيرا فتتخذ لغة شبيهة بترجمات التراجيديا الافريقية :

ايتها الطبيعة الام الخالدة ،
ايتها الملكة الام يا ذات المخاض ،
كيف حدث ان مررت ببيتي
دون ان تتوقفي

10. The Dilemma of a Ghost, P. 17.

11. The Dilemma of a Ghost, P. 30.

دون ان ترتاحي ؟
ايها الرحمن يا ربي ،
متى ستدخل اذني
صرخة وليـــد ؟
لان الشمس قد رحلت بعيدا
في سمائي(١٢) •

المسرحية ، فعلا ، ظاهرة التأثر بالدراما الاغريقية ، وعقدتها تدور حول اتو ياوسن الذي يعود مع زوجته الافرو ــ امريكية ايو لا لي الى غانه • اني تعجبني هنا اللغة التي تمثل ايولالي تتحدث كأنها في حرم الجامعة • لوبولغ فيها لامكن ان تكون كليشة عن طريقة تكلم الامريكان ، غير انها غير مبالغ فيها • عندما تعود العقدة فتشير الى غانا ، فان الحوار يتغير ــ النساء اللواتي يشكلن نوعا من الجوقة ، يتكلمن شعرا ، والام لا تتكلم شعرا بل ترجمات افريقية ، وهكذا • ان ايدو حساسة للغاية في لغتها وتستخدمها بحذق من اجل ان توحي بطبيعة شخصياتها •

ويعود اتو وزوجته ، ويحصل توتر مفاجيء بين الزوجة وعائلة الزوج • ليس ذلك بسبب الفروق بين الجيلين بمقدار ما هــو حساسية المــرأة التي ارجعت ، علاوة على ضعف زوجها الذي لا يستطيع في الوقت نفسه ان يقيم لها جسرا فوق الهاوية التي تفصل تجربتها الخاصة وبين الحياة في غينيا • لذا عندما تحصل المصالحة فان الام الجاهلة لاحد الاجيال الماضية هي التي تعقدها بعطفها • ولسوء الحظ فان المصالحة عندما تتم تقوم بما هو مناقض لكل شيء سابق ولذلك فهي مصطنعة غير مقنعة • واني اظن ان ذلك يعود من ناحية الى ايجاز المسرحية ــ فليس ثمة متسع من الوقت لعرض الافكار الكبيرة من اجل ان تتحقق بصورة مقنعة •

12. The Dilemma of a Ghost, P. 18.

ليس في المسرحية اخيرا توتر درامي ولا حركة ايضا • ولو ان كل جزء بحد ذاته ينجح فليس ثمة تفاعل كاف بينهما من أجل ان تجعلها مسـرحية متكاملة •

تحفظ اخر هو وجوب وجود ثلاثين تغيرا في المشاهد على الاقل ــ ليس جميع التغيرات في المناظر ، ولكن انطفاء الانوار وانسدال الستارة • في مسرحية ذات خمسين صفحة يعرقل هذا استمرارية المسرحية بصورة سيئة • « حيرة الروح » سلسلة من المخطوطات المترابطة مع بعضها بواسطة السرد ــ الممتع ولكن غير المتطورة الى درجة كافية •

لذلك ، ختاما ، لابد ان اقول انه رغم المتعة التي تقدمها لنا المسرحيات الاربع من اراء يحملها الكتاب الثلاثة بخصوص الاوجه المختلفة لاوطانهـم وهي عموما لا تنجح في تأدية مهمتها على خير وجه • لا ريب ان من بين الثلاثة تتميز ايبدو بالموهبة وتستطيع ان تكتب مسرحيات اكثر اقناعا في المستقبل • في الحقيقة اردت ان اوضح صراعا يمكن ملاحظته في هذه المسرحيـات ، وهو الصراع المعتاد الذي خاض تجربته جميع الفنانين ، صراع الحاجة الى خلق شيء ، وان عدم القدرة على خلقه شيء ملحوظ تماما • وذلك ، لاسفـي ، مرض لا يميز بين الاجيال •

- ٩ -

تراث الاحتجاج

(اورفيوس الاسود ، التحول)

لويس جيمز

في اوضاع شديدة التفجر كالتي تحصل اليوم في افريقيا لايمكن وجود ادب خلاق غير سياسي بوجه من الوجوه ، ليس من ادب الاحتجاج بشكل من الاشكال • وحتى الكاتب الذي يختار النضالات الاجتماعية لبلده ويحاول خلق عالم فني خاص يقول شيئا مثيرا للجدل عن مسؤولية الفنان تجاه المجتمع • ولو حاول خلق عالمه الخاص بالتعويل على الانجازات الفنية الاوربية فانه يقول شيئا مثيرا للجدل حقا •

ولهذا السبب فليس من دواعي الاستغراب كما يبدو ان اختتم هذه السلسلة عن الاحتجاج والصراع بمجلتين ليستا باي شكل من الاشكال هجوميتين عنيفتين • وسوف تفرد لهما بحثا • لان الاحتجاج على الفساد والاضطهاد لا يفهم بدون احتجاج يتم بحزم ، بالبحث عن القيم الثقافية الايجابية التي تكشف ما لا اهمية لها • وهو البحث الذي صارت تواصله مجلتا (اورفيوس الاسود [1] و (التحول)[2] وكلاهما تنشران في افريقيا ، لذا فهما قريبتان من العالم الذي تكتبان عنه • وهما مجلتان فصليتان • لذا

1. Black Orpheus, 1-11 General Publication Section, Ministry of Education, Ibadan; 12-22 Mbari Publications, Ibadan.
2. Transition, 1-35 (1961 - 1968), Kampala, Uganda.

فهما لاتنشران باعتبارهما احداث نهائية • انهما جزء من حوار ثقافي متواصل حساس بجميع توترات الصراع الافريقي •

نشرت (اورفيوس الاسود) اول مرة عام ١٩٥٧ • ويلاحظ ان عنوانها مستقى من مقالة سارتر الشهيرة « اورفيوس الزنجي » التي كان لها تاثير بالغ في مفهوم الزنوجة لدى الناطقين بالفرنسية • والتعبير مأخوذ من حقل الدراسات الفرنسية لان الادب الذي له شأن في ذلك الحين كان باللغة الفرنسية • وقد تحقق ذلك على يد (اولي برير) و (جانهنز جان) عندما كانا في عام ١٩٥٦ في مؤتمر الحضور الافريقي للكتاب الافارقة المنعقد في باريس ، مما جعلهم يصدرون مجلة دورية للافارقة الناطقين باللغة الانكليزية• وتلقوا مساعدة مالية من وزارة التربية في نيجيريا الغربية • لقد كان عملهم يتسم بالشجاعة في كثير من الوجوه • اولا ، وكما ذكرنا سابقا ، لم يكن ثمة ادب مبدع في نيجيريا في ذلك الحين • كان توتولا قد نشر روايتيه الاولين ونشر سايبريان ايكونسي « اهل المدينة »[3] ولم يكن غيرها الا قليل • كانت في اعدادها الاولى تعتمد اعتمادا كبيرا على الكتابات الانكليزية لزنوج الكاريبي وامريكا ، وترجمات عن الفرنسية والاسبانية والبرتغالية • ولم يكن ذلك لمجرد ملء الفراغ • لقد قامت مجلة (اورفيوس الاسود) بوظيفة مهمة في توفير مؤلفات كتاب امثال ليوبولد سنغور ، وجان رومان وايميه سيزير ولوى باته ماتور للقراء الافارقة • وعقدت روابط مهمة بين كتاب الكاريبي وافريقيا • ثم ظهرت تدريجيا كتابات افريقية اكثر اصالة • نشر العدد الاول قصائد لجبرائيل اوكارا وحده• وظهر وول سوينكا في العدد الخامس• ويمتلك الكتاب اليوم منبرا مشجعا لاعمالهم ، يتيح الفرصة مناقشة كتاباتهم في رقعة واسعة حيث يهتم بها الناس — اي في افريقيا • يصدق هذا خصوصا على الشعراء وكتاب القصة القصيرة : اما الروائيون فكانت فرص النشر لهم

3. Cyprian Ekwensi, People of the City, Andrew Dakars 1954;

اسهل في الخارج • وصارت المجلة الدورية تزود ايضا المدارس والجامعات بالادب الافريقي ونقده في مستوى رفيع • وان المؤثرات المختلفة في الفنون الافريقية ، وادخال الادب الافريقي في مناهج الجامعات والمدارس الافريقية مدينة كلها كثيرا الى مجلة (اورفيوس الاسود) وقد حرر (اولي بريــر) حديثا كتابا من المقالات النقدية مستمدة من المجلة واسماه « مقدمة في الادب الافريقي »(٤) •

كانت المجلة شجاعة في وجوه اخرى فمنذ عددها الاول كانت تناصــر الادب الافريقي باللغة الانكليزية ولا يعني هذا انها ترفض الثقافة الافريقية التقليدية • اوضحت افتتاحية العدد الاول قائلة :

اننا لن ننسى التراث العظيم في الادب الشفوي للقبائل الافريقية لانه ارث الماضي الذي لابد ان يستند عليه ادب المستقبل (٥) •

تناولت المقالة الاولى « الانجالا » الشعر التراثي لصيادي قبائل اليوربا وكانت بقلم اديبوي بابولولا • وهناك ايضــا مقالة بقلـــم اولي بريـــر عن « صراع الثقافات في شعر افريقيا الغربية » الذي يضع يده على الحيرة الرئيسة للكاتب الافريقي •

ان الشاعر في افريقيا الغربية الذي ينظم بلغة غربية يجد نفسه في موقف عصيب • فهو يكاد يكون ملتزما قوميا ومنشغلا بنقد القيم الاوربية ورفضها من جهة ــ ويضطر الى استعمال لغة اوربية للتعبير عن هذا الرفض (٦) •

على ان بريو يصرح انه لو كان للافريقي ان يسمع خارج الحدود القبلية الضيقة فان الانكليزية لابد من استعمالها لغة مشتركة •

---

4. Ed. Ulli Beier, Introduction to African Literature, Longmans 1967.
5. Black Orpheus, No. 1.
6. Black Orpheus, No. 1.

« ان تشجيع اللغات القومية ونشوء أدب في هذه اللغات ذو أهميـــة عظيمة ، ولكن تطوير أدب باللغة الانكليزية أو الفرنسية أصبح حاجـــة اضافية » (٧) .

كانت (اورفيوس الاسود) تخدم تلك الحاجة الاضافية وتساعد في جعل نهضة الادب الافريقي ذات اهمية وفائدة قومية وعالمية على انهم لـم يهتموا بالطريقة التي يمكن ان تكون في الانكليزية والفرنسيةلغة مشتركة دون ان تكونا لغتين اوربيتين . ولم توجه اية عناية للغة المبسطة المستخدمة للتفاهم في افريقيا او انجاز الشعراء في لهجة الكريول في الكاريبي الذي قام به شعراء امثال دينيس سكوت او ايفان جونز . اما اولئك الذين نشروا المصادر الانكليزية في النص الافريقي امثال توتولا او اوكارا ، فانهـم ، بظني ، لم يوجهوا اهتماما كافيا بما كانوا يفعلون .

على ان مجلة (اورفيوس الاسود) من ناحية اخرى ، خرقت مشكلة اللغة في ناحية مهمة للغاية . فقد شملت الفن ايضا . وذلك لضمان انتشار المجلة بين جمهور واسع كان يترتب عليها ان تخرج جذابة الشكل . ولكنها وفرت ايضا وسيلة تامة للمواصلة بين الثقافات الافريقية التقليديـة وبين القاريء الذي لا يعرف شيئا عن اللهجة الافريقية . خذ مثلا .. الصورتين اللتين نشرتا مع مقالة في العدد الثاني بقلم اولي برايرعن فن يوربا وايبو(٨) يلاحظ ان الصورتين توضحان وجهة نظر براير في ان المرء يحس بالتوازن والانسجام في ثقافة قبائل اليوربا ، اما في ثقافة ايبو فيجد التضـارب العنيف والحدة . ونشرت المجلة صورا عديدة اخرى استطاعت ان تبين ميزة ثقافة الشعوب الافريقية واحساسها مالم يستطعه النثر والشعر .

غير ان الفن المولد ليس تراثيا تماما . ففي حالة الصراع بين الفن التراثي

7. Black Orpheus, No. 1.
8. Black Orpheus, No. 2.

والفن الحديث تجد أعمال سوزان وينگر الفنانة النمساوية التي أصبحت كاهنة في قبائل اليوربا لدى الاله اوباتالا خالق الانسان . وقد تشربت كل تفاصيل الاساطير المتصلة باوباتالا في احساسها وصارت تلك التفاصيل تلهمها الهاما عميقا في عملها . ولكن أبناء اليوربا بحاجة ان تفسر لهم لوحاتها الباتيكية (على القماش المطبع) فهي تحولها الى شيء جديد يجمع مظاهر اساطير اليوربا في تركيبية واعية فكريا . وذلك مما يؤثر بي كثيرا . في مثل هذه الحالة من التحول من التراث الاسطوري الى وعي فكري ذاتي نجد ازدهار الدراما الاغريقية ، او اعمال ييتس في الفترة الحديثة . انه الظرف الذي كثيرا ما انبثق فيه اعظم الفن والادب . لنلقي نظرة الى لوحة سوزان وينگر على القماش المطبع المسماة «سجن اوباتالا » في العدد ٧ من مجلة (اورفيوس الاسود)(٩) اللوحة الاصلية بمقاس ١٤ قدما في عشرة اقدام ، واسعة في التصميم والتنفيذ . وانا لا استطيع ان ادخل في جميع التفاصيل في هذا المجال . نجد اوباتالا يتطلع من عليائه الى كاهنه اجاكيمو الذي يمثل شخص الهه من التمثيلية الدينية السنوية لسجن اوباتالا على الارض .يربط بين عالمي الالهة والانسان نمور سونيونا ، اله الالام ، ليدل على ان اوباتالا ملازم للانسان في عذابه الارضي . يتوسط الجميع قرص الشمس الذي يحتوي على الافاعي المتشابكة التي تعض اذنابها ، رمزا للخلود .

تخصص (اورفيوس الاسود) مجالا للفن الافريقي الذي له صلة اقل وضوحا بالماضي . واشير هنا الى صور (ابراهيم الصالحي)(١٠) ذلك لانها من ناحية ، مثال نادر للاسهام العربي في الثقافة الافريقية ، مع ان الثقافات القديمة في كاو وغانا ومالي قد تأثرت تأثرا عميقا بالمرابطين في الشمال . تصور هذه اللوحة عالما كاملا من الاحساس الفني . انها فن وشعر في الوقت

9. Black Orpheus No. 7

10. Black Orpheus No. 10.

نفسه • واليك قصيدة الصالحي التي كتبها لتصاحب اللوحة • انها تصوربعدا صوفيا يعود ، بطريقته الخاصة ، الى الماضي الافريقي :

ذات يوم في رمضان
لدغت عقرب ابن اخي الصغير
ولم نستطع عمل شيء له
ولم ينفع الاطباء •
فمات بعد ساعتين
ولم تبك امـــه •
اتمنى لو ان امه استطاعت البكاء
وحثت التراب على رأسها •
رأت طفلها يموت امام عينيها •
اخذناه باردا صامتا
ودفناه •
ولكنه عاد •
رأيته فجرا بعد ثلاثة ايام
وكلمني
فارتعشت ولكني كنت سعيدا
فقد كان حيا ، ولكن اين ؟

وأخيرا هناك صورة سوزا الشاعر الملاكاش من گوا البرتغالية ، الذي يربط ايضا •• بين الماضي والحاضر • وعنده شعور راسخ بالقوة الشكلية للنحت الافريقي • يمكنك ان تتحسس هذه الصور في ثلاثة ابعاد ، في الاهمية التي تضيفها اشكالها على المكان المحيط بها ، وفي داخلها ، تعكس التوتر

الواسع الذي يصوره الفنا ن. غير انه فنان حديث عميق التأثر بالكاثوليكية.
وهو فنان احتجاج ايضا . الا ترى الكاهن البرتغالـــي في هيئة يهـــودا
الاسخريوطي خائن المسيح في الصورة ؟

يمكن ان تجد الاحتجاج ، بلا ريب في (اورفيوس الاسود) غير ان
المحررين استبعدوا الموقف السياسي او الثقافي بالنسبة لهم ، لعل في هــذا
كما يبدو تهربا من الواقع : ابدا ، فقد كان هناك في مجلس الفنون النيجيري
من يودون ان يروا مجلة (اورفيوس الاسود) تسير في خط خاص . ولابد
ان ترى التأثير الخانق (لمعهد غانا للفن والثقافة) في الكتاب الغانيين من اجل
ان يروا اهمية استقلال (اورفيوس الاسود) . لان (اورفيوس الاسود)
يمكن ان تكون منصة للنقاد والكتاب ذوي الخلفيات والاتجاهات العديدة .
واسهم فيها من جميع انحاء افريقيا والمانيا وامريكا وانكلتره والهند الغربية.
فكانت منبرا للمختصين باللغات والثقافات الافريقية امثال جيرالــد مــور
وروبرت جولاي ومندوب مراقب مثل و . س . مروين . ذلك هو النقاش
المفتوح الذ ييتطلبه الادب الناشيء . وهكذا فقد قدمت الاعداد الاولى
للقراء قصائد سيزير وسنغور وكي تيرولين وجاك رومان وشعراء الزنوجـة
الاخرين ، وكان ، العدد الثاني يحمل مقالة متجانسة قصيرة غير انها وصفية
عموما عن (الزنوجة) ، وقد ضمت المجلة مقالات مؤيدة للزنوجة بقلمجانها
نيزجون كما فتحت صدرها الى مناوىء للزنوجة مثل ازكيال مفاهليل .لذلك
كان النقاش حول الروح الزنجية حرا من القيود الفكرية التي يجدها المرء في
مجلة (الحضور الافريقي) الفرنسية . تركت المجلة المفاهيم جانبا عندما تطلب
النموذج المتغير للادب الافريقي ذلك .

لقد تناول جيرالد مور آنجازات وقصور الزنوجة ، غير انني اود ان
اقوم باستطراد يتعدى حدود النظرية الفكرية الى مجمل الاهمية الافريقيــة

ومسألة (السواد) في ادب الاحتجاج • ترتبط (الزنوجة) بالشعراء الزنوج في الاربعينات وما بعدها • ولكن لتستمع الى هذه القصيدة :

اجل لقد سدت عيناي عن نورك •
انا زنجي ، ولكن يمكن ان انقذ من المطر •
انكم سود مزيفون •
انكم مهووسون ، ضراة ، جشعون •
من الحكمة ان تترك قارة اوربا هذه ،
حيث يجوس الجنون من اجل تموين الحقراء بالرهائن
وندخل الى مملكة ابناء حام الحقيقية •
اما زلت اعرف طبيعتي ،
لا •
سأرقص وارقص وارقص ثم ارقص
ولن ارى الساعة التي
ينزل فيها البيض الى الارض
سوف اسقط في العدم
والجوع والعطش والصراخ
وارقص وارقص وارقص ثم ارقص •

ان الشاعر ليس زنجيا ابدا انما هو اوربي كتبها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ارتور رامبو • ان « الابيض » يعني الخير و «الاسود» يعني الشر احد مفاهيم الفكر الاوربي • ثمة مفهوم اخر اقل وضوحا ولكن ابعد غورا وهو ان البياض يعني خلو من الحياة ، يعني الموت ، والسواد يعني الحيوية في مستهل رواية دكنز « اوقات عصيبة » مثلا يقارن الانسان

الالي الشاحب الخالي من الدم بتزر بالحيوية الانسانية لسيس جوب الاسود. قد يكون الوغد « ذا لون اسود » ولكن البطل طويل رشيق واسمر . حتى ان السمرة ترتبط باعمق المفاهيم المقدسة . في التجارب الصوفيـة لمؤلف « غيوم الجهل » وجد وليم لو ، القديس جون ذو الصليب ، ان الله ليس ابيض وانما اسمر ، وكما قال هنري فون في « الليل » :

يقول بعضهم ان في الله
سمرة عميقة ولكنها باهرة ...

لست متأكدا من ذلك تمام التأكد ، ولكنني اشك ان طريقتين في تقييم اهمية (النور) و (الظلمة) المتعايشتين سوية ، هما نموذجان رئيسان ابديان لجميع الشعوب ، وان ذلك موجود ايضا في التجربة الافريقية ايضا . اليس ، مع ذلك ، يعني سوء الحظ في اوكابيري لدى آكان الحظ الاسود ، الأبيض يعني أم الارض لدى قبائل اليوربا ؟ ان ربط القيم الرمزية للاسود والأبيض بلون الجلد هو مسألة استحدثت في القرن العشرين في وضع تاريخي شاذ .

ولكنها مسألة مهمة جدا حقا . فقد ظهر الشعر الزنجي عندما انهار النموذج الخلقي الصارم الذي يقول ان الابيض خير والاسود يعني الشر ، تحت تأثير فرويد ويونك وفلاسفة الوجودية ، فكان الناس يقرون بقوى اللاوعي السوداء للروح التي دفنتها الطرق الفكرية في مبادىء الاخلاق تحت الارض ، والتي كانت تصخب من اجل اطلاق سراحها . لو نظرت ديوان سنغور الشهير من الشعر الزنجي الموسوم (بالديوان الحديث للشعر الزنجي والملا كاشي (١٩٤٨) لرأيت لماذا انفعل الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر وكتب مقالته المحتوية على بذور تطور المستقبل في مقدمته لكتابه (اورفيوس الزنجي) فهو يرى الشعوب الزنجية من خلال تاريخ معاناتها وعارها الهابط كاورفيوس اسود الى هاوية الظلام والعماء وعالم الموت . واثناء هبوطه هذا اكتشف ثانية حبيبته يوريدسي الضائعة . كان لذلك اهمية عظمى . لان هناك

شعراء يتحكم فيهم تاريخهم وروحهم النبيلة للقيام بما اراد سارتر ان يقوم به الرجل الغربي ــ ان يترك أساليب الواقع التي فقدت معناها ويتقبل العماء والحرمان ، ويهبط بذلك في ظلام اللاوعي المجهول من اجل العودة الى ينابيع الحياة • وقد شعر سارتر ان حدسه قد ثبتت صحته ليس بمحتوى القصائد الزنجية وحدها بل بميزاتها وفعاليتها الرائعة • لقد تعلـق الانسان الغربي بنموذج للحياة فقد معناه ، وليست الكلمات التي يستعملها الان الا مجـرد زخرف ميت • غير ان الشاعر الزنجي حرم من هذا العالم الاوربي على كل حال ، والكلمات ، عنده تمتلك كل الطاقات المفجرة لكل ما هو خلاق حقا • فهو يقول : « ان استعمال الشعراء الزنوج للكلمات ليس اسرافا في التعبير عما ــ يختلج في الفؤاد ، انما هو امر وظيفي »[11] و لايحاول ان يعود الى القديم • انما يحاول ان يخلق ويكتشف معانيا جديدة ، ويبتكر شعرا جديدا احتجاجا على اوربا وتاكيدا للروح الزنجية الناهضة • التمييز العنصري عنـد سارتر ، يصبح طريقا يؤدي الى مناهضة العنصرية لان المرء بقبوله وجهة نظر الزنوج ليتحرر من واقع فكري يرى الحياة بمعان عنصرية • وهذا امر غير متكلف • الحقد يجيب الحقد على كلا جانبي السياج العنصري • ولكن لذلك حقيقتـــــه •

في كل منا التقييم الخلقي الذي فيه « الابيض » يصبح « خيرا » و « الاسود » « شرا » يجب ان يتحداه دوما العالم البدائي الخلاق حيث يمثل الظلام الحيوية والخير ويمثل الابيض الافتقار الى الحياة ، الشـر في قصيدة نيويورك يقابل ليوبولد سنغور روح الزنوجة بحياة المدينة الحديثة ، يعول سنغور على مصدر رمز مألوف لدى جميع البشرية • وبانتقال افريقيا نفسها الى التصنيع والتمدن ، فان مواضيع الزنوجة لن تستعمل ضد العالم الغربي فقط بل ضد قوى داخل افريقيا نفسها •

---

11. Jean - Paul Sartre, Orphée Nègre, cf. PP. 17-18.

كانت الزنوجة خطوة مهمة في تراث الاحتجاج ، وطور القاء نــــير الاستعمار عن الكاهل . أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الاحتجاج ضد الاخطاء داخل افريقيا نفسها . ونضرب مثلا ممتعا لذلك ما جاء في مجلة (اورفيوس الاسود) عندما نشرت مقطعا من رواية كابرييل اوكارا (الصوت)[١٢] .

الكتاب تجربة اسلوبية ممتعة : فهو يحاول ادخال بناء الجملة فـــي (ايجاو) الى اللغة الانكليزية . غير ان النقاد أغلظوا القول لهذه التجربة ، وبينوا انه لو انك اردت ان تكتب بلغة (ايجاو) فما عليك الا ان تكتب بها واذا اردت ان تكتب بالانكليزية فبالانكليزية وليس في ذلك عدالة فيمـــا يخص مرونة اللغة الانكليزية ، والحاجة في وضع غريب من أجل توســيع مصادرها . بالنسبة لي اسلوب اوكارا في روايته يثير في حساسية مهيجة . ولست ادري ان كان يستطيع ان يدخل الخصائص الجمالية للغة الايجاو غير ان الشيء المؤكد انه يعطي تأثيرا لطيفا معاكسا للتيار كالدوامة ، وتخفيفـــا للحدث ، وصفة التأمل التي تناسب موضوع الرواية . لانه لو كان احتجاجا سياسيا ، وهو كذلك ، فانه احتجاج صوفي . اسم البطل (اوكولو) ويعني الصوت في لغة الايجاو . ولعل ما يثيرك ان (الصوت) لا تتحدث عن شيء محدد ، غير ان (الصوت) ليس شيئا عاما ، انما هو كلام حر ، حرية الفرد في التعبير عما يجول في خاطره . ولكن لن يسمح له احد بالكلام . فيطرده ابناء القرية . ويرحل الى المدينة ويوضع في موطن الخطورة العقلية فيسألهم: « الا تعتقد اذن بالاستقامة والاخلاص ؟ اسمع يا ولدي ، ان هذه الاشـــياء ليس لها وجود في حياة الواقع ، لو انك اردت ان تصل الى اي مكان ، لو انك اردت فعل الخير . »[١٣] ثم يعود الى القرية حيث يضطر القرويـــون الى الاختيار بينه وبين الرئيس ايزونكو الفاسد . وتجد شيئا من الانتقـــاد

---

12. Gabriel Okara, The Joice, André Deutch 1964.

13. The Voice.

الشديد للاجراءات الانتخابية هنا . « من النمر في هذه المدينة ؟ » ايزونگو ، ايزونگو ، ايزونگو » . « من العنز في هذه المدينة ؟ » « اوكولو ، اوكولو « وهل يستطيع العنز اكل النمر ؟ »[14] الى غير ذلك . ويخذل القرويون اوكولو في النهاية ، ويغرقونه . غير انه يلقن اعرج القرية سر الاستقامة والامانة . ويظل هناك ليواصل مهمته . ليست الرواية بأي شكل من الاشكال درسا سطحيا في الاخلاق كما يظهر في الموجز الذي قدمته . ثمة مشهد مشرق بصورة خاصة حيث نلقى اوكولو مسافرا في النهر على سفينة . ويبدأ المطر بالهطول ، وتتبلل الفتاة النائمة بجنبه . فيغطيها اوكولو بردائه ليكشف بذلك عن طيبته وبساطته . وليتبين صفاؤه الخلقي مع المسافرين الاخرين عندما يلحظونه . فلا يفهمون عمله هذا الا باعتباره انعكاسا للشهوة ، وبعد مشهد صاخب يحالف اوكولو الحظ بالنجاة سالما من دون اذى .

على انه بالاضافة الى الروايات الفرنسية النقدية لمونگوبيتي وفرديناند اويونو التي ناقشها اولي براير في العدد الثاني من (اورفيوس الاسود) فان مثل هذا الهجاء يبدو ساذجا . ان الاحتجاج الاجتماعي لهؤلاء الروائيين من الكاميرون لهو بارع سريع التأثير ذو حدين . خذ ، مثلا ، رواية مونگو بيتي الموسوعة « بعثة الى كالا »[15] . تجد البطل ناقدا حادا للثقافة الفرنسية الكوزموبوليتية التي تلقيه عائدا الى عائلته القروية لا يصلح لاي نوع من الحياة النافعة . ثم يرسل في بعثة داخل منطقته الى قرية كالا ليستعيد كمب قريبة له هاربة . وينغمر في حياة مشاعية صاخبة ويمارس الجنس ، ويستمتع بمركز الشهرة الرفيع . ان كالا تمتلك كثيرا من المرارة وروح الجماعة الاصيلتين اللتين تفتقر اليهما المجتمعات الاوربية مما يحدو بالمرء ان يتوقع

---

14. The Voice.

15. Mongo Beti, Mission to Kala, Mullar 1958, and Heinemann 1964.

احتفاء بالفلاح النبيل في الخط الذي اتهجه شعر سنغور ولكن هذا لاتقع عليه قط . فالقرويون يوجه اليهم الهجاء الذكي المتحمس : فهم فاسدون يمكن شراء ذممهم بالرشوة وهم جهلاء الى حد السذاجة . وفي النهاية لايجد البطل مكانا يتجه اليه . فما عليه الا ان يبحث عن وسيلة للحياة فيما وراء كالا او قريته . ان لهذه الروايات المكتوبة بالفرنسية تأثيرا عظيما وذلك لفطنتها . الفطنة حتى في المواضيع المأساوية التي يبدو انها تتطلب أي شيء سوى الدعابة . خذ مثلا رواية فرديناند اويونو « غلام البيت »[١٦] فيها يدخل (توندي) العالم الاوربي عندما يهرب الى الاب گلبرت للنجاة من الضرب في بيت اهله . ويتصاعد اعجابه بالوسائل (البيض) الى ذروتها عندما يصبح غلاما في بيت ضابط المنطقة . ثم يتحطم كل شيء ؛ عندما يجد ان زوجة رئيسه على علاقة بمدير السجون . فيتعرف على نسيج الكذب والخداع الذي يلف حياة المجتمع الاوربي . ويكتشف صاحبه امر زوجته: ويذعن لها ، ولكنه يعلم ان توندي عارف بالامر . ووجوده يذكره دائما بالجرم . وتشاء الظروف ان يكون ضابط المنطقة على علاقة جنسية مع (سوداء) لا يستطيع توندي احتمالها والتغاضي عنها . فيساق الى السجن بتهمة ملفقة ويقتل ببطء . رغم ان الكتاب ينتهي قبل وقوع أي موت بالضرب . غير ان الاحتجاج البدائي يكون لاذعا جدا بواسطة حسن الدعابة فمثلا ، يلقي السجان دم ثور على معطف توندي من أجل ان يجعل الشرطة تظن انه قد نال ما يستحق من ضرب . وتقوم الشرطة بغارة على كوخ توندي يصحبها صراخ امه : لقد ذهبت جميع قوارير مائي . لا تأكلوا موزي كله[١٧] الى غير ذلك .

ان الاتزان والسخرية اللذين يحتاجهما الافريقي الحديث للقيام باي احتجاج فعال في القضايا المعقدة للغاية التي يتحتم عليه مواجهتها ، يعرضها

16. Ferdinand Oyono, House Boy, Heinemann, 1966.
17. House Boy.

الان بعض الروائيين الذين يكتبون بالانكليزية • واول ما يتبادر الى الذهن رواية وول سوينكا « المترجمون »[١٨] بهجائها المتعدد الجوانب : ومن المؤسف ان الكتاب يحاول ان يكون أكثر تعقيدا مما يستطيع القارىء العادي فهمه: فهو مليء بالحوادث العرضية اللاذعة • وهناك أيضا رواية شينوا اشيب (رجل الشعب)[١٩] التي تبلغ ذروة النجاح • فالهجاء ليس موجها بالدرجة الاولى الى الاوضاع الاجتماعية والسياسية ، بل الى راوي القصة نفسه الذي يتحول اثناء الرواية من شخص ضعيف الافق جاهل سياسيا ، شبق جنسيا، الى افريقي ناضج سياسيا مستعد ان يقوم بدوره في المستقبل الافريقي • ان تغير البطل والاحداث الخارجية خلال الرواية مما يضفي عليها مزيدا من التعقيد وحسا نادرا بالواقع • ليست هنا قيم مسلم بصحتها : ان أي قيم ايجابية نراها تحققت بتجربة الرواية نفسها • والهجاء ليس لاذعا فحسب ، انما السيف دائما ذو حدين • فمثلا في الفصل الخامس هناك محاكاة هزلية للاعجاب بالشخصية التي يستخدمها بعض الساسة الافريقيين وعندما يأخذ الراوية فتاة امريكية اسمها السي يفرجها على العاصمة تلاحظ الفتاة ان كثيرا من الاماكن قد أطلق عليها اسم البطل القومي •

« ولكن ذلك شارع اخر باسم الرئيس نانكا •» رفعت صوتي قائلا لها ومشيرا الى يساري •

فقالت : لا ، ان مارأيناه عند النافورة هو جادة الرئيس نانكا المشجرة» وانفجرنا ضاحكين وقالت : لست متأكدة ان ليس هناك « طريقا » أيضا في مكان اخر • انما اعرف ان هناك ساحة »[٢٠] •

غير ان هناك رد فعل مفاجيء لهذا الهجاء • فالنقد الذي يوجهه امريكي سرعان ما يقال بصدده ان ليس في امريكا شيء يعتد به ايضا •

18. Wole Soyinka, The Interpreters, Panther 1967.
19. Chinua A chebe, A Man of the People, Heinemann 1966.
20. A Man of the People, P. 60.

« ... من تظن نفسها فتضحك معتقدة بأنها أقوم من غيرها . ألا يوجد في بلادها من امور أكثر من هذه لتجعلها تضحك طوال حياتها ؟ أو تبكي ان شاءت ذلك ؟[٢١] .

ان هذا النضوج المتنامي لادب الاحتجاج الافريقي ، وفهم تعقيدات الوضع البشري ، وفقدان المستويات والاجابات البارعة هي التي تقودني الى مجلة « التحول » . تذكرون ان مجلة (اورفيوس الاسود) بدأت الحديث عن الماضي الافريقي باعتباره جذورا للمستقبل واستهلت ذلك باغاني الصيد التراثية لقبائل اليوروبا . تؤكد مجلة « التحول » على الانتقال نحو المستقبل والادراك بان المستقبل أمر معقد ومتعدد الجوانب حقا . أما المحيط فالعلاقة به غير وثيقة . نشرت مجلة (اورفيوس الاسود) في نيجيريا باحساس عميق بالماضي . أما (التحول) فقد حررها شاعر من اوغندا ينحدر من الهند اسمه راجات نيوگي من دائرة في كمبالا ، غير انها تعبر بصورة أوضح عن جـو فكري حضري . شرع نيوگي منذ البدء بعيدا عن تقديم أي شيء من الثقافة الافريقية، ارادان يزعزع ويمزق مفاهيم القراء. وكما يصرح كاتب «ملاحظات» من مفكرة رجل خطر : « والامـر واضـح مرة اخرى : النظـام العبقـري والاساسي بلا انسجام . عبقري مثل ثور الحقيقة الهائج في حانوت خزف صيني للعلوم الاكاديمية ، الخ ... »[٢٢] ويقدم لنا راجات نيوگي قصيدة سريالية لا يعثر فيها القارىء على الزنوجة أو شيء من هذا القبيل . وهاانذا اقتطف منها مقطعا يمكن ان يفهم أكثر من غيره :

ارسلت سكك الحديد رسائل برقية وصنعت الحجب عذارى .
بعضهم يحب نور الشمس في كرات مغلقة .
واخرون يفتحون عيونهم ويلعبون مع الحيوان المريح

---

21. A Man of the People, P. 60-1.

22. Transition, No. 1, P. 49.

في مستنقعات ضائعة •
ذبذبات البعوض تنقل الجبال والنمل ملحوس والاطفال
في الحامض مغموسون[23] •

على ان نوايا راجات نيوگي هي ان المرء يجب ان لا يتوقف عند تحطيم ما هو مسلم به عند الجمهور • ففي العدد ٢٤ في مقالة عنوانها : هـــل المجلات تثقف ؟ يميز بين المجلات التي تفعل ذلك والمجلات التي لا تفعل • يجب ان تكون « التحول » مجلة ايجابية تفعل ذلك[24] •

كيف يمكن لمرآة مكسرة شظايا ، كما يريد لمجلته الدورية ان تكــون ايجابية ؟ أظن انه سيجيب ان التشظي جزء من الصراع والتوتر الافريقي في فترة الانتقال فبواسطة التعبير عن الاوجه المتصارعة يقوم المرء بابداء المسألة الايجابية الوحيدة التي يمكن القيام بها • وبهذا يعطينا كلا جانبي مناظرة الزنوجة • لعل الزنوجة نظام منهجي وهو ضد النظام المنهجي ، فان أكثر النقاط تأثيرا كما هو متوقع لدينا ، تقوم بحملات هجومية على الايديولوجية كما فعل فرانك فايجر في (اساطير افريقية جديدة) «العــدد ١٦ »[25] وديفد روبيداري في (لماذا الادب الافريقي ؟) حيث يؤكد « ان الزنوجــة امر خطير لان نتيجتها النهائية هي انها تضغط على الروح الخلاقة »[26] •

ان موضوع الحب شيء يتكرر وروده في مجلة (التحول) وينقل الى ما وراء حدود مفاهيم سنغور عن العاطفية المعمقة الخاصة بالزنوج • هــذا وتدعي ان امور الغريزة الجنسية والعاطفة وجه حاسم من وجــوه الصراع العنصري في أفريقيا • فهناك درس وتمحيص للحب في العلاقة الدولية « هل تحب امريكا افريقيا ؟ » (العدد ٢٥) وفي « ثقافتنا والحب » يحلل المسهمون

23. Transition, No. 1, P. 10.
24. Transition, No. 24, PP. 30-32.
25. Transition, No. 16, PP. 14-17.
26. Transition, No. 15, P. 41.

في كتابة العدد الاتجاهات الداخلية نحو افريقيا التي يحملها گراهام گرين والبرت شفايزر وجوبس كيري . وهناك دراسة للمنحوتات الجنسية (الشهوانية) مدغشقر . والعدد ١٧ مخصص جميعا لمظاهر الغريزة الجنسية ـ اجتماعيا وبدنيا ونفسيا وحتى سياسيا . اجد ذلك امرا منعشا منورا ، فهو يوسع النقاش الافريقي ، كما يجب ان يوسع ، الى ما وراء حدود افريقيا نفسها . ويحشد طاقاتها من ادراك مشاكلها التي لا يفكر المرء عادة في استعمالها . ولكن لسوء الحظ لا تنجو من الرطانة التقليدية المشتركة التي يجب ان تتجنبها الطريقة الجديدة . واليك جزء من خاتمة مقالة علي مزروي ، عن الغريزة الجنسية السياسية :

ثمة شيء بخصوص الزواج الاحادي الذي يشجع زواج الاقارب أي التقليد الدائم الذي نحصل عليه من النظر الى جماعات مختلفة . هذا اميل نحو الزواج بالاقارب لا يكون سائدا دائما انما تخففه اعتبارات اخرى ، أو قد يكون حياديا تماما[٢٧] (وهلم جرا) .

ان وضع نيوگي الفنون والاجتماع والاقتصاد والسياسة تحت ظرف واحد لهو اسلوب بارع في تناول تعقيدات التطور الاجتماعي . ولدينا الى جانب النقد السياسي البحث الشامل عن العوامل الكامنة وراء الصراعات. فنحصل مثلا على نتيجة كاملة مخصصة للعنف واللاعنف . وقد ادلى القادة السياسيون الافارقة بارائهم الفلسفية . فثمة مقالة ممتازة لجوليو نيريري عن (الحرية والوحدة) « العدد ١٤ »[٢٨] ومقالة مخيبة للامال بالنسبة لمواهب كاتبها كينث كاوندا بعنوان « مستقبل الديمقراطية في افريقيا » (العدد ١٥)[٢٩] على انني أود ان ارى الصراعات السياسية تقدم بمنظور أكثر صراحة . وهناك تقرير لطيف متزن عن (نكروما) (في العدد ٢٦)[٣٠] غير

27. Transition, No. 17, P. 23.
28. Transition, No. 14. PP. 39-44.
29. Transition, No. 15. PP. 37-9.
30. Transition, No. 26. PP. 8-17.

انه نشر عام ١٩٦٦ في وقت كان يمكن ان ينشر دون أية مجازفة حقيقية ومقالة ممتازة عن القوى المشتتة في نيجيريا بقلم ج. پ . ماكنتوش بعنوان (النضال من أجل السلطة في نيجيريا) (العدد ٢٢)[٣١] تختتم بمجاملة الجميع وتؤكد ان :

« التطورات من كل نوع تستمر وسوف تظل نيجيريا بكل تأكيد البلد الذي يستطيع ان يتمتع فيه الافارقة باوسع الفرص والحرية[٣٢] .

نشر ذلك عام ١٩٦٥ . وان مجلة (التحول) بحاجة الى لذع اقوى لتكون العضو اللائق بصورة سديدة الذي يمكن ان تكونه .

غير اني لا أريد ان أكون غير منصف . فمجلة (التحول) هي مجلة دورية تنشر في افريقيا في الوقت الذي يبدو فيه ان مجلة (اورفيوس الاسود) سائرة نحو نهايتها[٣٣] . وهي تعكس أكثر من غيرها التوترات والصراعات الدائرة في القارة الافريقية . والاحساس بأنها حوار حي يتضاعف قوة بواسطة « ركن بريد المجلة » حيث يجيب ويناقش كل مقالة جدلية مراسلون ليس من افريقيا وحدها بل من اوربا وامريكا ايضا . واود أيضا ان اختتم رأيي بمجلة (التحول) برسالة وردت في حقل بريد المجلة في العدد ١٨ .

الى عزيزي راجات نيوگي

لابد ان اخبرك اني لا اتذكر اني قرأت أي مجلة ـ عدا مجلة (المزولة) في ايام شبابي ـ رفدتني كثيرا بالمعلومات عن قضايا لا أعرف عنها شيئا .

المخلص

ليونيل ترلنك[٣٤]

---

31. Transition, No. 22. PP. 21-25.
32. Transition, No. 22, P. 23.
33. A New series has since started, edited by J. P. Clark and Abiola Irele First number, February 1968, Mbari, Ibadan.
34. Transition, No. 18, P. 6.

ليونيل ترلنك هذا عالم جليل تتلقى منه المجلة مثل هذه التحفة : ولابد ان اسجل لراجات فضلا في وضعها في حقل بريد المجلة . فلو كنت المحرر فيها لاغرتني ان أضعها على غلاف كل عدد[٣٥] .

الاحتجاج والصراع في الادب الافريقي ، لم الخص ذلك الحقل لحد الان ولا اظن ان القيام بذلك أمر ممكن . بيد انني أود ان اختتم باعادة ما سبق ان قلته في البدء . في وضع مشحون بالصراعات كالوضع فيافريقيا، يستطيع الادب ان يبلغ منزلة ذات اهمية ودلالة عظيمة . وهو لايمكن ان يجزم : فالقيم كثيرة في حالة من التدفق المستمر . فمحتم ان يصبح شكلا من أشكال الاحتجاج . يكون الادب في الوضع المثير الذي يتكلم عليه الشاعر شيلي عندما يكتب عن الشعراء بقوله «انهم مشرعوا سنن الانسانية غير معترف لهم بهذا الفضل . » لان الكاتب بالمعنى الاجتماعي التام انسان مبدع يبحث عن الحقائق والقيم التي يعيش بموجبها الانسان . ولهذاالسبب بالذات انغمر كثير من الكتاب الافارقة مباشرة في الحركات الاجتماعية والسياسية ، عاملين في مجال الصحافة والتعليم والمراكز التي تتطلب النقاش والجدل . ومن الممتع حقا ان نجد كثيرا من الروايات الافريقية لم تنته نهاية

35.

لقد حوكم راجات نيوگي . منذ ان كتبت هذه المقالة ، وبرئت ذمته ، لنشره مقالة تحث على التمرد . ولكنه وضع في ذمة التوقيف بموجب انظمة الطوارىء .

جازمة بل بعلامة استفهام • مثل رواية الوكو (رجل واحد مدية واحدة) التي تسأل قبل الختام ، ماذا يفعل الشعب ؟[٣٦] ثم تنتهي بالسؤال : ولكن كيف يتسنى لنا ان نجعل الشيء باكمله ان يعمل بكفاءة ؟ كيف[٣٧] ؟

حدّث شينوا اشيب عن قارئة واعترضت على نهاية روايته « لـم يعد في يسار »[٣٨] : لماذا تنتهي روايتك بتدمير اوبي ؟ لم لاتعلم النيجيرين من هم في وضع اوبي كيف يتصرفون للتخلص من هذا الوضع ؟ » ولعل اشيب اشار الى انه بعرض سقوط اوبي كان يحذر الافارقة من نتائج بعض الاعمال ولكن ذلك جعله يدرك المسؤولية الخاصة للكاتب في افريقيا ، عندما قال :

لايمكن للكاتب ان يتوقع ان يعفى من مهمة اعادة التثقيف والتجديد الواجب القيام بهما في نيجيريا • في الواقع يجب ان يسير الكاتب في المقدمة تماما لانه ، قبل كل شيء النقطة الحساسة في مجتمعه »[٣٩] •

---

36. T. M. A luko, One Man, One Matchet, 1964, P. 197.
37. One Man, One Matchet, P. 197.
38. Chinua Achebe, No. Longer At Ease, Heinemann 1960.
39. Chinua A chebe, "The No. velist as Teacher" in John Press, ed. Commonwealth Literature, Heinemann, 1965, P. 204.

- ١٠ -

نبذة عن حياة الكتاب

المسهمون في هذا الكتاب :

١ ــ دينيس بروتس :

شاعر ، وقائد الحملة العالمية من أجل اطلاق سراح السجناء السياسيين في جنوب أفريقيا • تجربته الخاصة في جزيرة روبن الهمته تأليف « رسائل الى هارتا » المنشورة عام ١٩٦٩ •

ولد عام ١٩٢٤ في سالسبري في روديسيا الجنوبيــة من ابوين افريقيين • درس في فورت هير وفي أوائــل الســتينات في جـامعــة وتوترسرند • اشتغل في التدريس أربعة عشر عاما في المدارس الثانوية الجنوب افريقية • متزوج وله ثمانية أولاد • شعره واسع الانتشــار والترجمة نال جائزة مبــاري للشعر عــام ١٩٦٢ • نشــرت مجموعته الشعرية الاولى وهو في السجن •

٢ ــ لويس جيمز :

محاضر في الادب الانكليزي في جامعة كنت في كنزبري • اهتمامه الرئيس في الكتابة عن الهند الغربية ، والانكليزية في القرن التاسع عشر • وتنعكس في منشوراته : الجزر الوسطية ١٩٦٨ ، الادب القصصي والعمال ١٩٦٣ • ولد عام ١٩٣٢ في افريقيا الجنوبية ، ودرس في جامعة اوكسفورد وحصل فيها على درجة الدكتوراه • القى دروسا في جامعة هال والكلية الجامعة في الهند الغربية وجامعة نيويورك •

٣ ــ جانيت مكولي :

تشتغل بالتدريس في جامعة سيراليون حيث تأمل ان تؤسس قسما للدراسات الافريقية . ولدت في فريتاون عام ١٩٤٣ . ودرست الفرنسية في بريطانيا عام ١٩٦١ . امعنت كثيرا من وقتها بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٧ في باريس تدرس الرواية في المناطق الناطقة باللغة الفرنسية .

٤ ــ جيرالد مور :

يطور تدريس الادب في مدرسة الدراسات الافريقية والاسيوية في جامعة سكس . ولد في لندن عام ١٩٢٤ . درس في جامعة كيمبرج. كان مديرا للدراسات خارج اسوار الجامعة في مكريرو . من كتبه : « سبعة كتاب افارقة » بالاشتراك مع اولي براير ١٩٦٣ ، اللسان المختار .

٥ ــ دونالد مونرو :

مدير الدائرة التربوية في المركز الافريقي في لندن . امضى قرابة ثلاث سنوات ينظم مناقشات ثقافية عن افريقيا . استقال في صيف ١٩٦٨ . ولد في اسكتلنده عام ١٩٣٦ . درس الجغرافية في جامعة ابردين ، وبعد ان اشتغل في مجلس مقاطعة لندن انتقل الى الدراسة العليا في الادارة العامة في مدرسة لندن للاقتصاد . له مؤلف بالاشتراك مع بيترز اسمه « الماضي الافريقي » والاخر « التركيبة الافريقية » يحلل فيه الاتجاهات الحديثة . في المجالات الرئيسة للتطورات الافريقية المعاصرة .

٦ ــ جون ناجيندا :

شاعر وكاتب قصص قصيرة . مشهور في افريقيا وبريطانيا وامريكا . ولد في گاهيني ، اوغندا عام ١٩٣٨ . درس في مكارير . اشتغل في النشر والاذاعة في افريقيا الشرقية وفي بريطانيا .

٧ ـ جيمز نگوگي :

روائي • القى دروسا في الكلية الجامعية في نيروبي • له « لاتبك ايها الطفل ، والنهر الوسيط ، وحبة قمح » • ولد في كينيا عام ١٩٣٨• ودرس في مكارير وجامعة ليدز • كان محررا لـ (پين يوينت) واشتغل في (سندى نيشن) في نيروبي • عمل محررا في (زوكا) • كتب ايضا مسرحيات • له (الناسك الاسود) و (غدا في مثل هذا الوقت) • وله كتاب (انطباعات عن افريقيا الشرقية • نال جائزة لوتس للادب الاسيوي الافريقي عام ١٩٧٣) •

٨ ـ كوزمو بيترز :

ممثل ومعلم وكاتب يعمل في لندن • ولد في وندهولك في جنوب افريقيا عام ١٩٣٠ • تلقى دراسته في جامعة كيب تاون • القى دروسا في جنوب أفريقيا لمدة أحد عشر عاما قبل انتقاله الى لندن •

نشر شعره في صحف مختلفة • حرر مجموعة (عشر مسرحيات ذات فعل واحد) عام ١٩٦٨ • له ايضا (مسرحيات قصيرة من افريقيا) و (سبعة شعراء من جنوب افريقيا) •

٩ ـ روبرت سيروماگا •

اقتصادي • نشر روايته الاولى (العودة الى الظلاه) عام ١٩٦٩• وهو كاتب مسرحي أيضا • ولد في اوغندا وتلقى علومه في مكازير وكلية ترنتي ، في دبلن • مثل على المسرح وفي التلفزيون والاذاعة ونشر شعرا في مجلة (التحول) •

١٠ـ كلايف ويك :

محاضر في اللغة الفرنسية جامعة كنت في كنتربري يسعى كثيرا من أجل التعريف بالكتاب في افريقيا الناطقة باللغة الفرنسية • الـى القراء الانكليز مع تقديم ترجمات ومجموعات شعرية • ترجمبالاشتراك مع جون‌ريد استاذ الانكليزية آنذاك في جامعة زامبيا ، ترجم لسنغور: نثر وشعر • وله كتاب (الشعر الافريقي) وكذلك مجموعة من الشعر الافريقي والملاگاشي باللغة الفرنسية • له دراسـة في الادب الافريقي باللغة الفرنسية •

ولد في كيب تاون عام ١٩٣٣ • تلقى علومه في جامعة كيب تاون قبل حصوله على الدكتوراه من السوربون عام ١٩٥٨ •

المحتويات

الصفحة

تصميم الغلاف : نضال الاغا

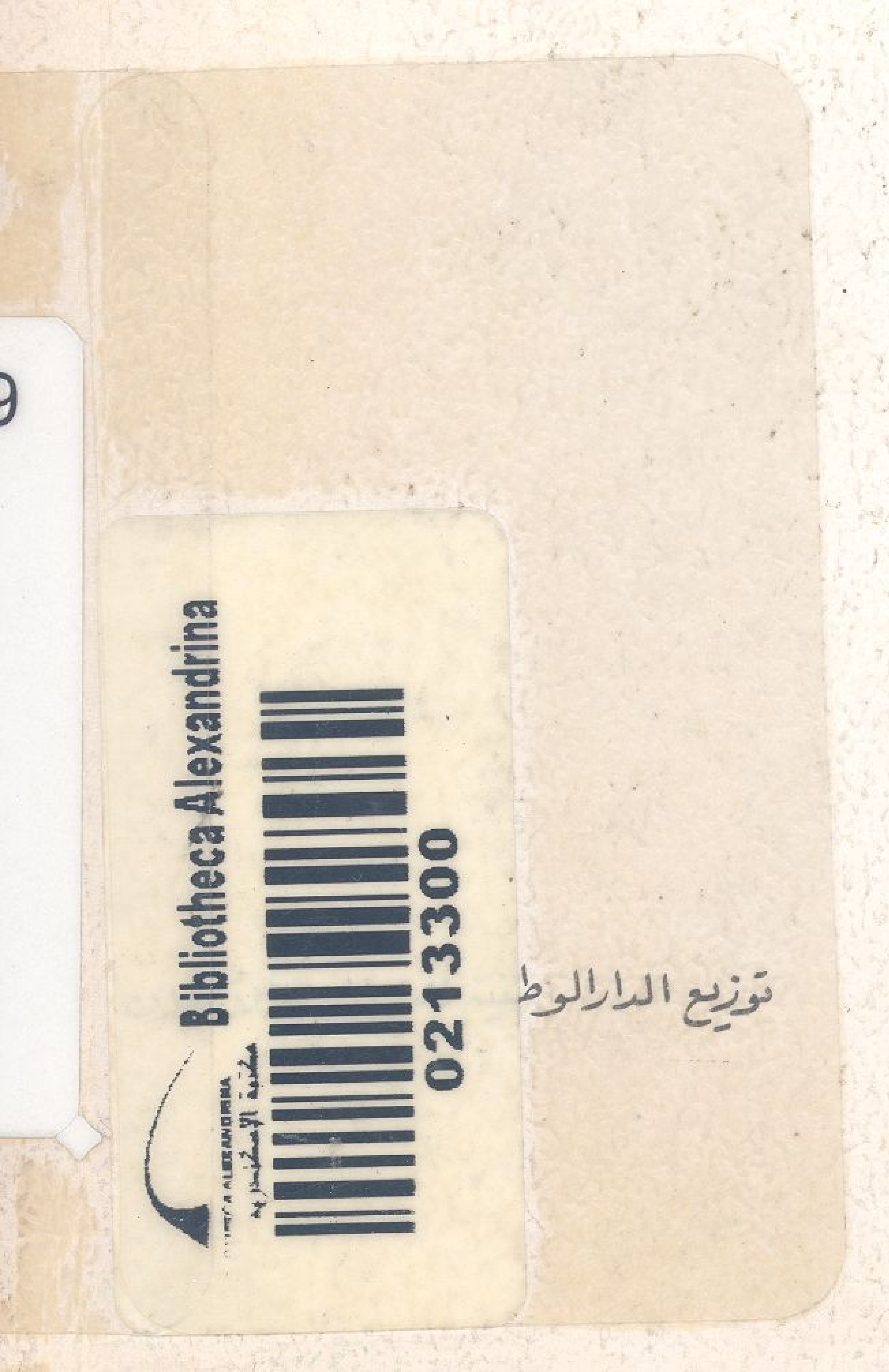
الخطوط : حميد حسين

الاشراف الفني : خضير عباس اللامي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
٦٧٧ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

وزارة الثقافة والفنون
دار الرشيد للنشر



السعر ٢٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٩٧٩